



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثامنة

تموز - كانون الأول ١٩٨٤م

العدد المزدوج (٢٥ - ٢٦)

شوال ١٤٠٤هـ. - ربيع الثاني ١٤٠٥هـ.

الفهرس

صفحة

أولاً - البحوث:

- ١ - اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدها
للدكتور عبدالكريم خليفة ٧
- ٢ - مع أسماء الأعلام العربية الإسلامية
للدكتور ابراهيم السامرائي ٣٥
- ٣ - تعريب التعليم العالي في العراق
للدكتور أحمد مطاوع ٤٥
- ٤ - قراءات في حرف الوصل بين القدماء والمحدثين
للدكتور علي توفيق الحمد ٧٣
- ٥ - وقائع احتفالات مجمع القاهرة بعيده الخمسيني
للدكتور عدنان الخطيب ١٠٩
- ٦ - الاتجاهات اللغوية للطلبة الجامعيين العرب
للدكتور محمد رامي الزغول ولوسين تأمينيان ١٤٧

ثانياً - مع الكتب:

- ٧ - محمد كرد علي و«المعاصرون»
للأستاذ عيسى الناعوري ٢٠٣

ثالثاً - تعليقات ومناقشات :

- ١ - مقابسة في جملة الصلة : هل تقع شرطاً؟
للدكتور نهاد الموسى ٢١٥
- ٢ - ردّ على مقابسة الدكتور نهاد الموسى
للدكتور ابراهيم السامرائي ٢١٩
- ٣ - تعقيب على نقد كتاب «الامل والمأمول»
للاستاذ محمد أحمد الدالي ٢٢١
- ٤ - تقرير حول كتابة الأرقام
للجنة الأصول والتراث في المجمع ٢٢٩

رابعاً - أخبار جمعية :

- ١ - مجمع اللغة العربية الأردني يمنح
عضوية الشرف لخمس زملاء جدد ٢٣٥
- ٢ - مناقشة رسالتي ماجستير ٢٣٦
- ٣ - تصحيح ٢٣٨
- ٤ - المجمع ينمى زميلين عزيزين ٢٤١

أولاً - البحوث

١- اللغة العربية أساس نهضة أمننا ووحدة^(١)

للدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس المجمع

تحتل الدراسات اللغوية مكانة متميزة في الوقت الحاضر، في مؤسسات البحث العلمي في الأمم المتقدمة؛ فهي دعامة أساسية في توثيق الصلات وتوطيد دعائم التفاهم بين الأفراد والجماعات في مجال تكوين الأمة. وقد استطاعت هذه الدراسات أن تبين الصلة الحيوية بين اللغة، من حيث هي لغة، وبين أفكار الناس وأحاسيسهم وأعمالهم. وبعبارة أخرى استطاعت أن تبين أن اللغة ليست أداة للتعبير فقط، ولكنها على صلة وطيدة بالحياة الفكرية والعاطفية والاجتماعية لهذه الشعوب، أفرادا وجماعات. وبالتالي فإن لها أثرا عميقة في السلوك الانساني بمختلف أشكاله وأنواعه^(٢).

فاللغة أم التفكير، وما كان للمعرفة أن تأتي الى حيز الوجود من دون اللغة، وهي في الوقت نفسه على صلة وثيقة بالحياة العاطفية للانسان، بأحاسيسه وانفعالاته؛ فالانسان لا يستخدم اللغة للتعبير عن شيء معين أو فكرة محددة فقط، بل يستعملها للتعبير عن نفسه. ولذا فمن الواجب أن لا نأخذ بعين الاعتبار الصورة التي تصاغ عليها الأفكار فحسب، بل من الواجب أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي توجد بين هذه الأفكار وبين حساسية المتكلم. وهذا يعني، بطبيعة الحال، الجانب العاطفي الذي تمثله لغة هذا الفرد، وبالتالي لغة الجماعة أو لغة الأمة. وقد ذهب بعض الباحثين

(١) محاضرة ألقيت بكلية الآداب في الجامعة الأردنية بتاريخ ٣/٤/١٩٨٤.

(٢) انظر: اللغة في المجمع، ص ٢٦.

الى أن كلا العنصرين: الفكري والعاطفي، لا ينفكان عن الاختلاط في كل لغة. وإذا استثنينا اللغات الاصطلاحية، واللغة العلمية منها بوجه خاص - تلك التي تعد خارج الحياة بطبيعتها - أمكننا أن نقول إن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي^(١). وقد ذهب بعض علماء اللغة في الكشف عن دور اللغة في المجتمع، الى القول: ان وظيفة الكلمات انما كانت التأثير في أفكار الآخرين، لا أن تقوم بنقل الأفكار نقلاً مجرداً؛ وبعضهم يذهب الى أبعد من ذلك فيقول ان الكثير من المسائل الظاهرة في طبيعة التفكير ليست في الحقيقة أكثر من مسائل لغوية... وإن المنطق وما وراء الطبيعة، بل حتى الرياضيات كلها في جوهرها، إنما هي بنية اجتماعية ذات طبيعة لغوية في أساسها، وإن دراسة اللغة لظاهرة غالبية في كثير من حقول الفكر... وهكذا يتضح الآن شيئاً فشيئاً أننا، اذا أردنا أن نفهم الفكر والتفكير، فالواجب أن ندرس اللغة، واذا أردنا أن ندرس اللغة، فعلى أن ندرس عملها في المجتمع^(٢). وبعبارة أخرى فان طبيعة اللغة لا تفهم الا من خلال المجتمع الذي تُمارس فيه اللغة وظائفها.

ألا نرى أن الطرق الخاصة بالتفكير انما تشيع في المجتمع بوساطة الاتصال... وتظل اللغة الوسيلة الرئيسية للاتصال، ومن ثم للتأثير في الإدراك بنحو تذكر الماضي عند الفرد والجماعة ووعيهما بالحاضر، وتوقعيهما وتنبؤيهما بالمستقبل. وقد استطاعت الابحاث اللغوية أن تقرر أن الفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نما فيه، وأن اكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير. ولا شك أن هذه النتائج العلمية تطرح مفاهيم ومبادئ معينة على مؤسساتنا التعليمية والتربوية، ولا

(١) انظر: اللغة، ج. فندريس، ترجمة القصاص ورفيقه، ص ١٨٢-٢٠٢.

(٢) أنظر: اللغة في المجتمع، ص ٢٩٤.

سيما فيما يتعلق بالكتب المدرسية ، ووضع المناهج السليمة التي تركز على أن كل معلم هو معلم لغة ، وأن كل كتاب مدرسي هو كتاب لغة . . . ان هذه العلاقات العضوية بين اللغة وبين الحياة الانسانية في جميع مجالاتها الفكرية والعاطفية والاجتماعية ، لتدعم الرأي الذي يقول ان العالم الآن يعيش في غمرة «ثورة لغوية» وأن التقدم العلمي والتقني يزداد بتسارع كبير، ويبشّر بأن الانسان ربما يقف على أعتاب فجر جديد من الحضارة الانسانية . وقد أحدث هذا كله تقدماً هائلاً في طرق الاتصال الفردية والجماعية ، ولا سيما في مجال الهاتف ، واللاسلكي ، والطيران ، والاذاعة المرئية والمسموعة ، والسينما ، والأقمار الصناعية ، والنزول على القمر ، ورحلات الاستكشاف الى الكواكب ، فضلاً عن التقدم الهائل في تقنيات الطباعة ودور النشر والصحافة . . . الخ .

وكان لهذا التقدم العلمي والتقني دور كبير في إحداث تغييرات كبيرة في الحياة الاجتماعية لبني الانسان ، ولا سيما ذلك التطور الذي أصاب تقنيات الاتصال اللغوي . وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين اللغويين : «إننا لا نزال في بدء ما لا بد أن يكون تغييرات كبيرة في وظائف اللغة بالنسبة الى البشر . فنحن نشهد الآن ، لأول مرة في التاريخ ، امكان القضاء على الأمية في العالم بأسره ، وامكان استماع الناس جميعا في اللحظة نفسها الى الصوت نفسه ، أو قراءتهم الكلمات نفسها ، كما نشهد منافسة الكلمة المسموعة للكلمة المقروءة» (١) .

ونحن في الوقت الحاضر ، اذ نعيش في خضم هذا السباق العلمي والتقني الذي يشمل جميع أنواع المعرفة ، وبين مختلف الشعوب وعلمائهم

(١) انظر: السمران ، ص ٤٣ .

من خلال لغاتهم القومية التي لا يتم الابداع الفكري الا بها، أتساءل: أين تقع لغتنا العربية الفصحى - ولا لغة لنا غيرها - وأين يقع علماؤنا في هذا الموكب الانساني للحضارة الحديثة!! وأجدني غير راغب في الاجابة عن هذا التساؤل. وعلى كل فإن هذه الرغبة أو عدمها لا تُغَيِّر في الأمر شيئاً. أليست اللغة مرآة الأمة، ترى من خلالها ذاتها!! أليست اللغة، كما أشرنا سابقاً، الظاهرة الانسانية التي تتجسد فيها الحياة الفكرية والعاطفية والاجتماعية لهذه الشعوب او لتلك الأمة؟ . . . فماذا عسانا نقول وأمتنا العربية الآن، بل الاسلامية، في محنة التمزق والتشتت والتشردم، تخوض صراعاً دامياً مريراً وحزيناً؟ أقول مريراً، لأن الدماء تسيل فيه من كل جانب؛ وأقول حزيناً، لأن معظم الدماء تسيل بين ابناء الأمة الواحدة والشعب الواحد، بل الجماعة الواحدة ومن هم في خندق واحد، وعلى مقربة من العدو اليهودي ومرأى منه .

ان واقع الحال ونواميس الأشياء تقضي بأن تكون اللغة العربية الفصحى، تبعاً لذلك كله، في محنة توازي محنة هذه الأمة. وانها لذلك .

وقد يقف الباحثون اللغويون من خارج هذه الأمة، ومن اعداء اللغة العربية، من حاقدين وموتورين في داخلها وبين صفوفها، أقول قد يقف هؤلاء حيارى أمام هذه الظاهرة التي تتميز بها اللغة العربية الفصحى، التي صمدت شامخة حية، أمام نوابث الدهر وزعازعه عبر القرون، ولم يجر عليها ما جرى على اللغات العامة التي ظهرت في التاريخ، ثم تحللت الى لغات كثيرة. ولا شك أن هؤلاء الباحثين قد نظروا الى اللغة الفصحى من جانب واحد، وربما من الجانب الذي يستهويهم في حياة اللغة، من حيث ميلها نحو التقسيم الى لغات ولهجات؛ ويستدلون على ذلك بأنه ما ظهرت لغة عامة الا

تقسمت في لغات كثيرة. والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم، ولا سيما القديمة منها. وقد فاتهم أن هنالك أيضاً ميلاً آخر في حياة اللغة، يتعارض مع الميل نحو التقسيم الى لغات ولهجات، وهو الميل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع. ونحن اذا نظرنا الى هذين الميلين المتعارضين في حياة كل لغة من اللغات، نجد أنّ كلياً منهما ناجم عن فعل أحداث تؤثر في الجماعات. ويرى بعض اللغويين أن الاتجاه نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحيد، وأنهم يطلقون عليه عملية التطور الطبيعية للغة. والأدلة على ذلك كثيرة، فقد انقسمت اللغة اللاتينية، مثلاً، الى لغات عدة هي: الفرنسية، والبرتغالية، والأسبانية، والرومانية، والايطالية الحديثة... وكذلك انقسمت اللغة الجرمانية الى اللغات الانجليزية، والألمانية، والفلامنكية، وغيرها... وقل مثل ذلك في التطورات التي أصابت كل لغة من هذه اللغات عبر مسيرتها حتى الوقت الحاضر...

ويرى لغويون آخرون أن هنالك قوى لا يجوز التغافل عنها، تعمل في الاتجاه نحو الوحدة، وأن هذه القوى الموحدة كانت في العصور التاريخية أقوى في حقيقة الأمر من القوى المقسمة؛ وانها كذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص، وستكون كذلك يقيناً في المستقبل. وحببتهم في ذلك أنه، على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه في بعض العصور الماضية، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة، في عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاماً لم يُعرف من قبل، هو في معظم الحالات أكثر أضعافاً مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة^(١)

وقد أشار الامام أبو محمد بن حزم الى العوامل التي تؤثر في اللغة نحو التقسيم والاندثار، فقال: «إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها،

(١) أنظر: السمران، ص ١٧٠-١٧١.

ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم من ديارهم واختلاطهم
بغيرهم. فانما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها
وفراغهم. . . وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف
والحاجة والذل وخدمة اعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان
ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، ويبود علومهم. وهذا
موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة»^(١).

ونحن اذا نظرنا الى اللغة العربية، نظرة موضوعية وبصورة علمية، نجد
أنها لغة من هذه اللغات النامية، يصدق عليها ما يصدق على جميع اللغات،
من قوانين الحياة ونواميس الأشياء. وان دراسة علمية للأحداث الكبيرة التي
أثرت في حياة هذه اللغة، تؤدي بنا بالضرورة الى اقامة حدّ فاصل بين الفترة
التي عاشتها هذه اللغة بأصولها التي تضرب بعيداً في أعماق التاريخ حتى
نزول القرآن الكريم «بلسان عربي مبين»، وبين حياة هذه اللغة الفصحى
المزدهرة النامية والموحدة، منذ أن شرفها الله سبحانه وتعالى بالتنزيل العزيز
والى الأبد. وفي هذا الصدد يقول ابن الجزري: «وقد خصّ الله تعالى هذه
الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم ﷺ، بما لم يكن لأمة من الأمم في
كتبها المنزلة. فانه تعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب، ولم يكل حفظه
الينا، قال تعالى: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» . . . لأن الله تعالى
تحدى بسورة منه أفصح العرب لساناً واعظمهم عناداً وعتواً وانكاراً، فلم
يقدروا على أن يأتوا بآية من مثله، ثم لم يزل يتلى آناء الليل والنهار من نيف
وثمانمئة سنة، مع كثرة الملحدين وأعداء الدين، ولم يستطع أحد منهم
معارضته في شيء»^(٢).

(١) الأحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣١.

(٢) ابن الجزري، ج ١ ص ٤ - ٥.

أما الفترة الأولى من حياة اللغة العربية، أي قبل نزول القرآن الكريم بها وحيأ على سيدنا محمد، ﷺ، فإن الباحثين في تاريخ اللغة العربية الفصحى وفقها يكادون أن يجمعوا على أننا لا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة . . . وأن أقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي . . . ويرجع تاريخ أقدم هذه الآثار الأدبية إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير . . . وهذه النصوص الأدبية تمثل اللغة العربية الفصحى في عنفوان (إكتمال قوتها وعظمتها)، بعد أن اجتازت مراحل كثيرة في التطور والارتقاء . . . ويعد أن تغلبت لهجة من لهجاتها، هي لهجة قريش، على اخواتها واستأثرت بميادين الأدب، شعرها وخطابيتها ونثرها في مختلف القبائل العربية (١).

وحول هذا الموضوع يقول الأستاذ علي عبد الواحد وافي: «غير أنه من المسلّم به الآن لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق، أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى. ويرجع السبب إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين، وبقائها في منطقة مستقلة منعزلة، فقلّت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، ولم تُذلل لها سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم (٢).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الظروف الأخيرة حول نشأة اللغة العربية ومواطنها، أمكننا أن نقول، إذا لم تكن هذه العربية هي اللغة السامية الأم، فلا شك أنها الوريثة الرئيسة لها، من حيث أصول بنيتها ومفرداتها. وربما

(١) انظر: لغة اللغة، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.

يرجّح رأينا هذا ما ذهب اليه الامام ابو محمد بن حزم الأندلسي قبل نحو تسعة قرون ونصف، اذ يقول: «الا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية - هي لغة مُضر وربيعة لا لغة حَمِيرَ - لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جَرَشُ^(١)، كالذي يحدث من الأندلسي اذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني اذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني اذا رام نغمتهما. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحوص البلوط، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد أن يقول: انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة؛ وهكذا في كثير من البلاد؛ فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تديلاً لا يخفى على من تأمله»^(٢).

فهذا النص يطرح أمامنا قضايا عدّة، ليس فقط فيما يتعلق بالفترة الأولى من حياة اللغة العربية، وعلاقتها بالجذور السامية، ولكنه يطرح أمامنا قضايا مهمة تتعلق بمسيرة اللغة العربية المنطوقة، بعد أن أصبحت لغة عامة لهذه الشعوب التي تمتد من أواسط آسيا شرقاً، الى أوربا واسبانيا الاسلامية غرباً. وهنا لا بد من أن نفرّق منذ البداية بين اللغة المنطوقة، لغة الكلام، وما يطرأ عليها من نغم ولهجات، وبين اللغة المكتوبة، لغة القرآن، اللغة العربية الفصحى التي نزل بها الذكر الحكيم.

فاذا تركنا جانباً اللغة العربية في فترة حياتها الأولى، وصراع اللهجات بين القبائل العربية في العصر الجاهلي، فان الأحداث العظيمة التي أثرت

(١) الجَرَشُ: حك الشيء الخشن بمثله وذلكه (انظر: لسان العرب مادة جرش)، ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض.

(٢) الأحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣.

في حياة العربية الفصحى ونقلتها نَقْلَةً تاريخية حاسمة، من الميل نحو التقسيم والتفتت الى الميل نحو التوحد والاتساع، تنحصر على وجه اليقين في نزول القرآن الكريم «بلسان عربي مبين»، وحيأ على النبي، ﷺ، وما صاحب ذلك، منذ اللحظات الأولى، من الحرص على كتابته وحفظه وجمعه، ثم ما حدث فيما بعد من توحيده في مصحف واحد وفي قراءات مضبوطة محددة، وما نشأ بعد ذلك من علوم ودراسات كانت تهدف الى الامعان في فهم آياته وسوره، وتفسيرها وتوضيحها للأجيال . . .

حقاً، إن اللغة العربية تتميز بعناصر أساسية في بنيتها الصرفية والنحوية، تجعلها طيعة قادرة على استيعاب ما يجد من المعرفة الانسانية، وهي في ذلك، شأنها شأن اللغات الأخرى، تمتاز فيما بينها بما لها من جذور تاريخية، وتجارب خصبة في المشاركة في بناء الحضارة واستيعاب حصيلة المعرفة الانسانية. وهذا يعني أنه ليست هنالك لغة أفضل من لغة بحد ذاتها، حيث أنها متصلة بالانسان، كما بينا سابقاً، اتصالاً جوهرياً، وحيث أن البشر يتساوون في قيمتهم الانسانية، فلغاتهم متساوية أيضاً. ويطيب لي في هذا المجال أن أورد رأي ابن حزم اذ يقول: «وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات؛ وهذا لا معنى له، لأن وجوه الفضل معروفة، وانما هي بعمل او اختصاص، ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة. وقد قال تعالى: «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم». وقال تعالى: «فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون». فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب الا ليفهم ذلك قومهُ (عليه السلام)، لا لغير ذلك»^(١). وبعد أن يفرق الامام ابو محمد بن حزم، بين اللغة العربية، من حيث هي لغة لا فضل لها على لغات الأمم الأخرى، وبين ما شرفها الله - سبحانه

(١) الاحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣٢.

وتعالى - به بأن جعلها لغة القرآن، «لِيَفْهَمَ ذَلِكَ قَوْمَهُ عَلَيْهِ السَّلَام»، نجده يسخر من مقولة جالينوس سخرية شديدة فيقول: «وقد غلط في ذلك جالينوس فقال: ان لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأن سائر اللغات انما هي تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع. قال علي (أي ابن حزم): وهذا جهل شديد، لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها، فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق»^(١).

وتناول ابن حزم أيضاً مقولة بعض من كان يزعم بأفضلية اللغة العربية، فيقول: «وقد قال قوم: العربية أفضل اللغات، لأنه بها نزل كلام الله تعالى. قال علي: وهذا لا معنى له، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه. وقال تعالى: «وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ». وقال تعالى: «وانه لفي زبر الأولين». فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه. وقد أنزل التوراة والانجيل والزيبور، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية. فتساوت اللغات في هذا تساوياً واحداً»^(٢).

وبعد هذه المناقشة العميقة، يسخر ابن حزم باليهود سخرية شديدة فيقول: «وقد أدى هذا الوسواس العامي باليهود الى أن استجازوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية، وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال، لا يفهمون الا العبرانية، فلا يكتبون عليهم غيرها. وفي هذا من السخف ما ترى، وعالم الخفيات وما في الضمائر، عالم بكل لسان ومعانيه، عز وجل. لا اله الا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل»^(٣).

(١) الأحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣٢.

(٢) المصدر عينه.

(٣) المصدر عينه.

وإذا كان ابن حزم يناقش هذا الموضوع من خلال نصوص الآيات الكريمة وجوهر العقيدة الإسلامية السمحة، التي تساوى بين أبناء البشر، وتجعلهم على مختلف أجناسهم وألوانهم على قدم المساواة، وأن لا تفاوت بينهم الا فيما ينجزونه من الأعمال الصالحة: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، أقول: اذا كان الإمام صاحب كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» يناقش هذا الموضوع من هذه الناحية، فانه من ناحية أخرى يذهب بعيداً في فهم طبيعة اللغة الانسانية، اذ يقول: «وحروف الهجاء واحدة، لا تفاضل بينها ولا تُبج ولا تُحسن في بعضها دون بعض. وهي تلك بأعيانها في كل لغة، فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجينة»^(١) وهو يقصد بذلك دعاوى جالينوس ومن سار على مذهبه.

ونحن في هذا البحث يهمننا أن نتوقف عند نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، نبراس هداية للناس كافة، كي يخرجهم من الظلمات الى النور. فكان حدثاً عظيماً في تاريخ الانسانية، وكان كذلك حدثاً عظيماً في حياة اللغة العربية الفصحى، لسان قريش؛ فقد أصبحت هذه اللغة خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز، وأصبحت نتيجة الأحداث العظيمة التي أحاطت بكتابته وجمعه والحرص على تلاوته كما أنزله سبحانه وتعالى على قلب نبيه، ﷺ، أقول أصبحت طبيعة هذه اللغة تتجه الى التوحد والى الاتساع، مناقضة في ذلك اتجاه التقسيم والتشتت الذي كانت سائرة في مداره بأصولها السامية.

ومن هنا فان كتابة القرآن الكريم وحفظه زمن الرسول، ﷺ، وكذلك جمعه وتلاوته وقراءاته، وجميع العلوم التي نشأت حوله، أصبحت بالضرورة تحتل مكانة جوهرية في حياة اللغة العربية الفصحى منذ ذلك الوقت، وعبر

(١) الأحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣٢.

القرون والأحداث التي مرت بها أمتنا العربية والاسلامية . وكان الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور بالدرجة الأولى ، لا على حفظ المصاحف والكتب . وهذا ، على حد تعبير ابن الجزري ، «أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة . . .» . اذ يقول «ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات ، تجردوا لتصحیحه ، وبذلوا أنفسهم في اتقانه ، وتلقوه من النبي ، ﷺ حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ، ولا اثباتاً ولا حذفاً ، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم . وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ، ومنهم من حفظ بعضه . كل ذلك في زمن النبي ﷺ .

وقد ذكر الامام ابو عبيد القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات مَنْ نُقِلَ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ وَجْهِ الْقِرَاءَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَذَكَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ : أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعِثْمَانَ ، وَعَلِيًّا ، وَطَلْحَةَ ، وَسَعْدًا ، وَابْنَ مَسْعُودٍ ، وَحذيفة ، وسالمًا ، وأبا هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبدالله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبدالله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ؛ وهؤلاء كلهم من المهاجرين . وذكر من الأنصار: أبا بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبا الدرداء ، وزيد بن ثابت ، وأبا زيد ، ومجمع بن جارية ، وأنس بن مالك ، رضي عنهم أجمعين^(١) .

وهكذا فقد أخذ النص القرآني حفظاً في الصدور ، وكتابة على المواد التي كانوا يكتبون عليها في ذلك الوقت ، منذ بدء نزوله منجماً على رسول الله ، ﷺ . ولما توفي النبي ، عليه السلام ، وقام بالأمر ابو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، أشير عليه بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب

(١) ابن الجزري ، ج ١ ص ٦ .

بذهاب الصحابة، وذلك بعد أن قتل نحو خمسمئة من الصحابة، رضوان الله عليهم جميعاً، في قتالهم أهل الردة.

وتنقل الينا الروايات أن أبا بكر تردّد في بداية الأمر، من حيث أن النبي، ﷺ، لم يأمر في ذلك بشيء. وما لبث أن اجمع رأيه ورأي الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، على جمع القرآن. فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه. فتمّ جمعه في صحف احتفظ بها أبو بكر، رضي الله تعالى عنه، وبعد وفاته انتقلت عند عمر، رضي الله عنه، حتى توفي، ثم عند حفصة، رضي الله عنها.

وتحدّثنا الروايات انه في نحو ثلاثين من الهجرة، في خلافة عثمان، رضي الله عنه، حضر حذيفة بن اليمان، فاتح ارمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن. ويقول أحدهم للآخر: قراءتي أصحّ من قراءتك. فأفزع ذلك، وقدم على عثمان، وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلني الينا بالصحف ننسخها ثم نردّها اليك. فأرسلتها اليه. فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف. وقال: اذا اختلفتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش. فانما نزل بلسانهم. فكتب منها عدة مصاحف، فوجّه بمصحف الى البصرة، ومصحف الى الكوفة، ومصحف الى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً، الذي يقال له: الامام ووجّه بمصحف الى مكة، وبمصحف الى اليمن، وبمصحف الى البحرين. واجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وابدال كلمة بأخرى، مما كان مأذوناً فيه، توسّع عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن^(١).

(١) ابن الجزري، ج ١ ص ٧.

فكان لهذا العمل العظيم الذي قام به الخليفة الشهيد عثمان، رضي الله تعالى عنه، آثار خالدة في حياة أمتنا، ليس فقط في مجال العقيدة والفكر، ولكن أيضا في مجال اللغة. فقد كان هذا التدبير الملهم يعني توحيد الأمة أيضا على لغة واحدة، وجعل لغة القرآن المادة الأساسية في بنية اللغة الفصحى. وكان للقراءات القرآنية وللقراء دور أساسي في انتشار هذه اللغة وضبطها، فان اكتساب اللغة يكون باكتساب القدرة على التلفظ بها على وجهها الصحيح. وقد حرص القراء على تلاوة القرآن وتجويده، وذلك باخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، فكانوا شيوخ القرآن وفي الوقت نفسه شيوخ العربية.

وأصبح تعلم العربية ودراستها ضرورة أساسية من أجل فهم القرآن الكريم، وتلاوته تلاوة صحيحة كما نطق به الرسول، ﷺ، وهو أفصح قریش.

وكسنت الكتابة التي كُتبت بها المصاحف جميعها خالية من النقط والشكل، مما جعل الاعتماد الأساسي على الحفظ لا على مجرد الخط. وهكذا فقد تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل اليهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت اليهم^(٢).

وقرأ كل مضرٍ بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله، ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي، ﷺ. وهذا الامام ابن حزم يشير الى دقة نقل النص القرآني فيقول: «ان نقل المسلمين لكل ما ذكرنا ينقسم أقساما ستة: أولها شيء ينقله أهل المشرق

(٢) ابن الجزري، ج ١ ص ٨.

والمغرب عن امثالهم جيلا جيلا ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة ، وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها ، لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عز وجل أوحى به اليه ، وأن من أتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن اولئك حتى بلغ الينا»^(١) وان هذا النهج الذي اشار اليه ابن حزم مستمر عبر القرون ، تحرص عليه الأمة جيلا بعد جيل ، حتى الوقت الحاضر والى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يختلف فيه أيضا مؤمن ولا كافر منصف . . . وان الفرق بين المسلم وغير المسلم هو في مجال العقيدة الربانية فقط ، بأنه وحي من الله سبحانه وتعالى .

وقد بدأت العناية باللغة العربية وتعلمها منذ نزول أول آية من القرآن الكريم على رسول الله ، ﷺ ، فقد نزلت بالحث على القراءة والكتابة وطلب العلم : اذ يقول سبحانه وتعالى : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . . .

فبدأت حلقات الدراسة وحلقات التعلم حول هذه الآيات الكريمة ، وكانت العناية بالقراءة والكتابة تسير جنبا الى جنب مع الاخذ مشافهة والحفظ بالصدور ، وفرض على اسرى بدر ان يعلموا القراءة والكتابة عدداً من ابناء المسلمين ، افتداء لأنفسهم . وهذا يشير الى بدء اقدم حملة في التاريخ واعظمتها شأنها لازالة الامية بين عامة الناس ، لا فرق بين ذكر وانثى ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين اسود وابيض ، واصفر واحمر . . الخ .

فهذه العقيدة السماوية التي ساوت بين جميع بني البشر ، بمختلف طبقاتهم ومختلف ألسنتهم ومختلف ألوانهم ، هي الحدث الأزلي الذي انتقل

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ص ٨١ .

باللغة العربية، من لغةٍ مثل بقية اللغات، تصدق عليها قوانين التسميم والتشتت، الى لغة تتجه الى الأبد نحو التوحد والتوسع. وأصبحت اللغة العربية، لغة مضر على حدّ قول عمر، رضي الله عنه، اللغة التي ترتبط بالاسلام من حيث الجوهر فكراً وعاطفة ومادة. وأصبح تعلمها فريضة على كل مسلم ومسلمة، من حيث كونها اللغة التي لا يفهم القرآن والحديث من دونها. فأصبحت اللغة العربية متصلة اتصالاً عضويًا بطلب المعرفة في كل زمان ومكان، من المهد الى اللحد، وفي جميع الأقطار مهما كان بعدها المكاني. وضرب لذلك مثلاً فقيل: «اطلبوا العلم ولو في الصين».

سارت اللغة العربية الفصحى، لغة مضر، ولغة القرآن الكريم، في مسارين متوازيين: أحدهما مجال التوسع والنمو والازدهار، مستوعبة حصيلة ما وصل اليه الفكر الانساني في حقل المعرفة، والمسار الآخر يتمثل في بقائها موحدة ثابتة الأصول، من حيث بنيتها الصرفية، وقواعدها النحوية، والنطق بها، كما أخذت عن اهلها الأولين الذين يُحتجُّ بهم.

وقد اعتُبر الخروج على هذه اللغة، في لفظها او نحوها او صرفها، ضلالاً منذ عهد الرسول، ﷺ؛ فقد رووا أن النبي، ﷺ، سمع رجلاً يذم في كلامه، فقال: «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلَّ»^(١) وان هذه الرواية وغيرها مما يشابهها لها دلالة كبيرة في هذا الانعطاف الجديد في حياة اللغة العربية؛ وأية دلالة اكبر من أن يعتبر الرسول، ﷺ، الخروج على لغة القرآن ضلالاً!!

وسارت اللغة العربية في هذا الاتجاه القويم من التوحد الذي رسمه لها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأصبح جزءاً من عقيدتها، لا

(١) انظر: الخصائص، ج ٢ ص ٨.

تفرط فيه ولا تتهاون به، عُلماء وقراء واصحاب سلطة. فقد رووا، مثلاً، أن أحد ولاية عمر، رضي الله تعالى عنه، كتب اليه كتاباً لحن فيه، فكتب اليه عمر: ان قنع كاتبك سوطاً^(١). وان دلت هذه الرواية على شيء، فإنما تدل على السياسة التي لا تهاون فيها نحو الحرص على سلامة هذه اللغة، والوقوف بحزم أمام اي اتجاه للتسيب والتشتت.

وروي أيضاً عن حديث علي، رضي الله تعالى عنه، مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ «ان الله بريء من المشركين ورسوله». (بكسر اللام في رسوله)، حتى قال الأعرابي: برئت من رسول الله، فأنكر ذلك علي، عليه السلام، ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه... فكان ما يروى من أغلاط الناس من ذلك الى أن شاع، واستمر فساد هذا الشأن، مشهوراً ظاهراً^(٢).

ومهما كان من شأن هذه الرواية، فإنها تُحدّد وقتاً مبكراً لتقعيد قواعد اللغة ووضع ضوابطها النحوية والصرفية. وسار هذا العلم في مدارج النمو والارتقاء، حيث بلغ ذروته في وقت قصير على يدي الخليل بن احمد وتلميذه سيويه.

وكما كان التأكيد على كتابة اللغة رسماً وصرفاً ونحواً، كان التأكيد أيضاً على النطق بها نطقاً صحيحاً، ولذا كان للقراء دور أساسي في تعليم القرآن، وانتشار اللغة العربية الفصحى. «فقد كثر القراء وتفرّقوا في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عُرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم

(١) الخصائص، ج ٢ ص ٨.

(٢) المصدر عينه.

المتقن للتلاوة، المشهور بالرواية والدراية، وفيهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف وكثر بينهم الاختلاف، وقلّ الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا بالاجتهاد، وبيّنوا الحقّ المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ^(١).

وقد استطاع هؤلاء الباحثون أن يخلّصوا الى وضع أصول للتمييز بين هذه القراءات وهذه الأصول التي عدّلوا عليها هي: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل انكارها. . . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة»^(٢).

وكان للتلاوة وأصولها دور أساسي في ضبط اللغة ضبطاً دقيقاً من حيث النطق، بأن يأخذ كل حرف حظّه من الصوت اللائق به من الاظهار او الاخفاء او الجهر أو الهمس، ومدّ الصوت أو قصره وهكذا، وهو ما يسمى في اصطلاح علم النغم «بتجويد الحروف». ولا شك أن للقراءات القرآنية قيمة متميزة في مجال اللغة العربية، اذ تحوي ثروة لغوية ضخمة، وتسجل كثيراً من ظواهر اللهجات.

وقد ذهب جميع الأئمة من المسلمين، ومنهم الشافعي، رضي الله عنهم جميعاً، الى اشتراط اتقان اللغة العربية من أجل فهم القرآن الكريم وشريعة الاسلام. وكثيراً ما كانت الخلافات المذهبية تنشأ عن اختلاف في

(١) ابن الجزري، ج ١ ص ٩.

(٢) المصدر نفسه.

فهم اللغة . وهذا ابن جنّي ، العالم اللغوي المشهور، يقول : «ان أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى اليها، فانما استهواه، واستخفّ حلمه، ضعّفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها . . . »^(١).

وكان من الطبيعي أن يستقطب القرآن الدارسين من حوله، وأن تنشأ العلوم المختلفة، من لغوية ونحوية وبلاغية وتاريخية وجغرافية وفلكية وغيرها، في خدمة النص القرآني . ودخلت العربية أيضاً، باعتبارها لغة الدولة، جميع ميادين المعرفة والحياة فأصبحت اللغة الأولى في العالم اذ ذاك في الآداب والعلوم والفنون، واستمرت عدّة قرون، وهي في هذه المسيرة التاريخية التي تتصف بالاتساع العظيم، ملتزمة أشد الالتزام بهويتها الأساسية في التوحّد والحفاظ على جوهر كيانها، من حيث هي لغة القرآن الكريم، بأصول بنيتها الأساسية نحواً وصرفاً ونطقاً، ولكنها في الوقت نفسه حية نامية طبيعة من حيث الأساليب والمفردات، واستيعاب كل ما يجد من معارف انسانية .

والأمثلة كثيرة في هذا الباب . فهذا الجاحظ يتحدث عن البيان الذي يحتاجه من يريد مقارعة أرباب النحل وزعماء الملل، فيقول : «أن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة، والى ترتيب ورياضة، والى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف واقامة الوزن، وأن حاجة المنطق الى الحلالة والطلاوة كحاجته الى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من اكثر ما تُستمال به القلوب، وتُثنى له الأعناق، وتُزَيّن به المعاني»^(٢).

(١) الخصائص، ج ٣ ص ٢٤٥

(٢) البيان والتبين، ج ١ ص ١٤

ويحدثنا ابو عثمان الجاحظ حديثا مفصلا، في باب البيان من كتابه هذا، عن أهمية اللغة وارتباطها بالمعنى، وانه كلما كانت الدلالة اوضحَ وأفصحَ، وكانت الاشارة ابين وأنور، كان ذلك أنفع وانجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو اليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم^(١).

وسارت العربية في ميادين العلم والمعرفة عبر القرون، وفي خضم الاتجاهات السياسية والعقائدية المختلفة... وظهرت التيارات المتصارعة... فهذا، مثلا، ابن جنّي يرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ واغفالها المعاني، فيقول: «وذلك أن العرب كما تُعنى بالفاظها، فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ احكامها، بالشعر تارة وبالخطب أخرى، والاسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها، وأفخم قَدراً في نفوسها»^(٢). ويواصل ابن جنّي حديثه في العلاقة بين اللفظ والمعنى، وأن العرب، على حد تعبيره، انما تُحلي ألفاظها وتدبجها وتوشبها وتزخرفها، عناية بالمعاني التي وراءها، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها، وقد قال رسول الله، ﷺ، ان من الشعر لحِكمه وأن من البيان لسحرا»^(٣).

وسارت العربية الفصحى، نامية حية، في بناء حضارة عربية اسلامية أصيلة، وأدت الدراسات اللغوية والنحوية الى استكشاف امكانات هذه اللغة ومقوماتها الذاتية، التي تجعل منها لغة مرنة قادرة على استيعاب كل ما هو

(١) انظر البيان والتبين ج ١ ص ٧٥.

(٢) الخصائص، ج ١ ص ٢١٥.

(٣) الخصائص، ج ١ ص ٢٢٠.

جديد، خالدة بخلود هذا الذكر الحكيم . وإن خصائصها الذاتية في الاشتقاق والنحت والابدال والنقل والمجاز والاقتراض والتعريب، تجعل منها لغة قادرة على استيعاب كل ما هو جديد . وبذلك فتحت امامها ابواب واسعة في مجالات من المعاني لا تُحَدِّد . ومثال ذلك (القياس) . ويطيب لي في هذا الصدد ان اقف عند قول ابي عثمان: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، الا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وانما سمعت البعض فقست عليه غيره»^(١).

ولا يلبث ابن جني حتى يدخل الى صميم خصائص التعريب بمعناه الاصطلاحي، الذي يفتح الباب واسعا امام هذه العربية النامية الحية، القادرة على استيعاب كل ما هو جديد، فيورد رأي ابي علي الفارسي حيث يقول: «اذا قلت: طاب الخُشْكُنَانُ»، فهذا من كلام العرب، لأنك باعرابك آياه قد أحلته الى كلام العرب»^(٢). . . . وفي موضع آخر يستشهد برأي ابي علي الفارسي في موضوع الاشتقاق من الأعجمي النكرة، حيث يقول: . . . ويؤكد ذلك أن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها. . . يقال: ذَرَهَمْتُ الخُبَازِي، أي صارت كالدرهم، فاشتق من الدرهم، وهو اسم أعجمي، وحكى ابو زيد: رجل مُدْرَهَم . . .^(٣).

وكان الى جانب هذه المسيرة التاريخية للغة الفصحى، نامية حية محافظة على جوهر بنيتها من حيث هي لغة القرآن الكريم، لغة الفكر والأدب والعلم . . . أقول الى جانب هذا كله، كانت اللغة المحكية التي يستخدمها عامة الناس في حياتهم اليومية، وفي أقطار هذه الدولة المترامية الأطراف،

(١) الخصائص، ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر الخصائص، ج ١ ص ٣٥٨.

يتنازعها عاملان أساسيان: فهناك لغة القرآن الكريم، لغة الأدب والفكر والعلم، تنزع بها إلى التوحد حول مركز لغوي واحد، في مفرداته وتراكيبه ومجآله الكتابيب ودور العلم ودواوين الدولة في الغالب والمساجد؛ وأما العامل الآخر، وهو المناقض للتوحد، فينزع إلى التقسيم والتشتت، وهو ناموس من نواميس الطبيعة اللغوية. وهذا ما يطلق عليه «اللغة العامية» في الوقت الحاضر. . . .

وكانت هذه العامية وما زالت مختلفة في كل قطر، بل في كل مدينة، ولكنها في جميع الأحوال وعبر التاريخ حتى الوقت الحاضر، لغة متحوّلة متغيرة، بعداً وقرباً من اللغة الفصحى، لغة القرآن الكريم، لغة الآداب والعلوم والفنون. . . . وهي في ذلك كلّ صدى للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمرّ بها أمتنا العربية، في مختلف أقطارها وعبر تاريخها حتى الوقت الحاضر.

وان نظرة عامة إلى «بخلاء» الجاحظ، وإلى «الشدة بعد الفرج» للتنوخي، وإلى قصص ألف ليلة وليلة، وإلى خرّجة الموشح الأندلسي، وإلى الزجل، تؤكد لنا وجود هذه اللغة المحكية في مختلف الأقطار. وقد رأينا سابقاً ابن حزم الأندلسي يحدثنا عن الجرّش في لغة الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، وعن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي وعن الخراساني إذا رام نغمتها

ويحدثنا عن الاختلاف في هذه النغمة في البلد الواحد عندما يقول: «ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد أن يقول: إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد؛ فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على

من تأمله . ويضع أمامنا أبو محمد نصاً مهماً، حيث ينقل إلينا بعض ألفاظ العامة إذ ذاك فيقول: «ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق. فتجدهم يقولون في العِنْبِ: آلِ عِنْبٍ، وفي السوط أسطوط، وفي ثلاثة دنانير: ثلثدا. وإذا تعرّب البربري فأراد أن يقول: الشجرة، قال الشجرة. وإذا تعرّب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء، فيقول: مُهْمَدا، إذا أراد أن يقول: محمدا. ومثل هذا كثير^(١).

ونحن أمام هذه العامية في اللغة المحكية، وعبر تقلبات التاريخ السياسي والثقافي في هذه الأقطار، لا نجدتها في جميع الظروف تخرج عن مدار اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم.

ونجد أنفسنا أمام الصورة عينها، مع اختلاف في اللون حيث تبدو قائمة، بعد نحو أربعة قرون، إذ يحدثنا ابن خلدون عن انحسار العربية في كثير من أقطار المشرق الإسلامي فيقول: «ولمّا تملّك العجم من الدّيلم والسّلاجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسَدَّ اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين، وصار ذلك مُرَجِّحاً لبقاء اللغة المضربة. فلما ملك التتر والمغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام، ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر، وبلاد الشمال، وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام، إلا قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين المتداولة من علوم العرب، وحفظ

(١) الأحكام في أصول الأحكام، ج ١ ص ٣٠.

كلامهم لمن يَسره الله تعالى لذلك. وربما بقيت اللغة العربية المُضربة
بمصر والشام والأندلس والمغرب، لبقاء الدين طالبا لها، فانخفضت بعض
الشيء. واما في ممالك العراق وما وراءه، فلم يبق له أثر ولا عين، حتى أن
كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسه في
المجالس»^(١).

فاذا كان الأمام ابو محمد يحدثنا في أوائل القرن الخامس الهجري عن
اللغة المحكية في تلك الأمصار، فان ابن خلدون يحدثنا في أوائل القرن
التاسع الهجري، اي بعد اربعة قرون، حديثا شاملا تختلط فيه اللغة
المكتوبة مع اللغة المحكية. وقد ركز ابن خلدون في رسمه لهذه الخريطة
اللغوية لدار الاسلام على عاملين أساسيين: عامل العقيدة الاسلامية من
ناحية، وعامل السياسة من ناحية أخرى، كما اقتصر على البلاد التي دخلها
الاسلام، وشعوبها تتكلم لغات غير اللغة العربية؛ ولذا نراه يستثني الجزيرة
العربية، مهد العربية والاسلام، من حديثه.

وبعد سقوط الأندلس، توالى النكبات على هذه الأمة وعلى لغتها
العربية الفصحى، وصارت السلطة في معظم بلاد المشرق وجزء من شمال
افريقيا، بيد العجم من الأتراك العثمانيين، وأصبحت اللغة التركية لغة الدولة
في جميع مناسطها، وانحسرت اللغة العربية، وفَسَد اللسان العربي، بل كاد
يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة . . .

وما لبثت موجة الاستعمار الأوروبي أن بدأت تهب عاتيةً، تثير حملاتها
الصلبية من جديد، مستخدمة الوسائل إياها من قوى عسكرية ضخمة،
وحملاتٍ للتبشير، لاختضاع هذه الشعوب ونهب ثرواتها وأوطانها.

(١) المقدمة، ص ٦٧٦.

وكان يصاحب هذه الحملات الاستعمارية الشرسة حملاتٌ مماثلة للقضاء على اللغة العربية، في الجزائر، وفي تونس، وفي المغرب، وفي ليبيا، ثم في بلاد المشرق العربي... وفي كل مرة نجد اللغة العربية الفصحى تتراجع، لكي تنزوي في حلقات حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، داخل حصونها التي لا تقهر.

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وعندما بدأت جيوش الاستعمار الأوروبي تجتاح بلادنا في الشمال الأفريقي، ثم في مصر، وتتسلل إلى بلادنا وتجتاحها في المشرق العربي، ونحن نرى أن الحملة الموجهة إلى اللغة العربية الفصحى تسير باتجاهين متوازيين: فإتجاه لمحاربة الإسلام دون هوادة وبمختلف الوسائل، وإتجاه يقوم بالتمكين للغة الأجنبية ونشرها في بعض المناطق، وبالدعوة إلى العامية، إلى جانب سياسة نشر اللغة الأجنبية في مناطق أخرى... ونحن لا نريد هنا أن نؤرخ للدعوة إلى اللغة العامية في المشرق العربي وفي مغربه^(١) والآثار التي تركتها منذ الغزو الاستعماري في شمالي أفريقيا، وانتهاء بالغزو الأوروبي الصهيوني للمشرق العربي، ولكننا نود أن نقول: إن وجود العامية بجانب الفصحى، على ما بينهما من اختلاف، ظاهرة طبيعية في كل اللغات. وليس وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية بالأمر الشاذ. وقد ظهر لنا مما عرضناه سابقاً أن هذه الظاهرة كانت تلازم الفصحى منذ أقدم العصور، وبكل تأكيد منذ أن أمر، رضي الله عنه، عامله بأن يقنع كاتبه سوطاً عقوبة على لحن اقترفه...

(١) في هذا الموضوع يراجع كتاب «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر»، تأليف الدكتورة نفوسة

زكريا سعيد، الاسكندرية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

ومنذ عشرينيات هذا القرن، بدأت اللغة العربية الفصحى توسع دائرة حلقاتها الى رحاب أوسع، واستطاعت أن تكسب ميادين علمية مهمة في بلاد الشام. . . وتابعت مسيرتها المظفرة بعد الحرب العالمية الثانية، تسير مسيرة الشعوب العربية في تحررها، ومحاربتها للاستعمار بألوانه وأشكاله المختلفة؛ وهي في كل يوم تكسب ميادين جديدة في جميع مجالات المعرفة وفي المؤسسات العلمية. . . . وان انتشار التعليم لكي يعم جميع فئات الأمة في المدن والريف والبادية بلغة عربية سليمة، هو السبيل الوحيد من أجل تضيق الفجوة التي تفصل بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة. وإن اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، تنزع بطبيعتها، كما رأينا، منذ أربعة عشر قرناً الى التوحد والاتساع. فهي اللغة التي تربط بين أبناء أمتنا بالروابط الروحية والعاطفية والفكرية، وهي وحدها التي تصلنا بهذا التراث الضخم عبر القرون.

وان لغة هذا شأنها وهذا تاريخها، لا بد سائرة لكي تحتل مكانتها الطبيعية، سيدهاً في بيتها وبين أهلها، بعد أن غصبتها اللغات الأجنبية هذه السيادة، وما زالت مع الاسف تدافعها في كثير من الأقطار العربية. واننا على ثقة بأن اللغة العربية، وليس لنا لغة سوى لغة القرآن، ستكون في المستقبل - ونرجو أن يكون قريباً - لغة التعليم في جميع مراحلها وفي جميع مجالاته، بأن تكون لغة التعليم الجامعي والبحث العلمي. ولا سبيل لأمتنا لكي تلحق بركب الحضارة، وتشارك مشاركة أصيلة في بناء هذه الحضارة، الا من خلال لغتها، فهي الأساس الروحي والفكري الذي تقوم عليه وحدة هذه الأمة، فأمتنا العربية هي لغتنا العربية الفصحى، ولغتنا العربية الفصحى هي أمتنا، وبالتالي فهي أساس نهضة أمتنا ووحدتها.

المصادر والمراجع

- ١ - ابراهيم الأبياري، تاريخ القرآن، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٢ - ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٣ - ابراهيم علي أبو الخشب، القرآن الكريم، القاهرة.
- ٤ - ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد دمشقي، النشر في القراءات العشر، ج ١-٢، مصر.
- ٥ - ابن خلدون عبدالرحمن بن خلدون المغربي، المقدمة، بيروت، ١٩٦١م.
- ٦ - ابن مطرف الكناني، القرطين أو كتابي شكل القرآن وغيره لابن قتيبة، ج ١-٢، مصر ١٣٥٥هـ.
- ٧ - أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، بنغازي، ١٣٩٤هـ.
- ٨ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج ١-٣، بيروت.
- ٩ - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الاحكام في اصول الاحكام، ج ١-٨، القاهرة.
- ١٠ - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١-٥، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١١ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، ج ١-١٣.
- ١٢ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبين، ج ١-٤، تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

- ١٣- ج. قنديرس، اللغة (تعريب: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص) القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.
- ١٤- حسن ظاظا، كلام العرب، من قضايا اللغة العربية، الاسكندرية، ١٩٧١م.
- ١٥- السيوطي عبدالرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وانواعها، ج١-٢، شرح محمد أبو الفضل ابراهيم ورفيقه، مصر.
- ١٦- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، القاهرة.
- ١٧- محمد عزة دروزة، القرآن المجيد، صيدا.
- ١٨- محمد السَّغران، اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، القاهرة، ١٩٦٣.
- ١٩- م. م. لويس، اللغة في المجتمع (ترجمة، تمام حسان و ابراهيم أنيس)، مصر، ١٩٥٩م.
- ٢٠- نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الاسكندرية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

مع أسماء الأعلام العربية الإسلامية

للدكتور إبراهيم السامرائي

كنت قد كتبت في هذا الباب «كتاباً» أتيت فيه على «الأعلام» وتاريخها، وكيف تأثرت باللغات القديمة كما تأثرت بالملل والنحل. وقد عرضت لما نال «الأعلام» في مختلف البلاد الإسلامية من «خصوصيات» بسبب التاريخ الخاص، وما تفرضه «الإقليمية» من خصائص مميزة.

وكانني شعرت أن الأمر ما زال معوزاً وأنه مفتقر الى شيء آخر، وقد بدا لي وأنا أقرأ كتب الصحابة - رضوان الله عليهم - ان الأعلام العربية الجاهلية تحمل من آثار الوثنية الجاهلية ما تحمل، حتى اذا جاء الاسلام لم يبق شيء من تلك «الرسوم». ولنبدأ بكلمة «عمر» ودلالاتها اللغوية، وكيف تحولت الى «العلمية» ونعرض بادىء ذي بدء لما ورد فيها في كتب اللغة.

ولنبدأ بكتاب «الاشتقاق» لابن دريد فنقرأ قوله:

«وعمر»^(٢) مشتق من شيئين: إما من «العمر» وهو العُمر بعينه، يقال: العُمر والعُمر، بالفتح والضم، ومنه قولهم: لعمرك قسم بالعُمر قال ابن أحمر:

(١) لم أرد به «الأعلام» المشاهير من أهل العلم، والمبرزين في المعرفة، وغير هؤلاء منّا بنصرف اليه الذهن عند سماع هذه الكلمة، ولكنني أردت أن اعرض لطائفة من أعلام الناس رجالاً ونساءً، أي أسمائهم العربية الإسلامية التي عرفوا بها لأشير كذلك الى طريقة إطلاق الاسم ودلالته وأبنيته.

(٢) ولا أكثرث بهذه الواو التي رسمت في آخر «عمر» العلم التي زعم النحاة انها للفرق بينها وبين «عُمر» في حالتي الرفع والجر، ومن ثم لم تُزد في حالة النصب.

قال ابن قتيبة: ولم تزد اذا كان مضافاً لمضمر، ولم تُزد للعلم مصغراً أو معرفاً به، وقافية.

انظر «معجم الهوامع» للسيوطي ٢/٢٣٨.

بأن الشباب وأخلف العَمْرُ وتغيّر الإخوان والدهرُ
قال الأصمعي في تفسير هذا البيت: العَمْر والعُمْر واحد، وقال غيره من أهل
العلم: أراد خلوف فمه للكبر، وتغيّر نكهته. والعَمْر واحد عُمور الأسنان،
وهو اللحم المطيف بأسنانها أي بأصولها^(٣).

وكانت كلمة «عَمْر» من مواد القسم القديم فقد جاء في «التهذيب»:
قال الله - عزّ وجلّ - في كتابه . . . «لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون» ٧٢
سورة الحجر. روى أبو الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى «لعمرك»:
يقول: «بحياتك». وأخبر المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: النحوون ينكرون
هذا ويقولون: معنى «لعمرك» لدينك الذي تعمر، وأنشد:
أيها المنكحُ الثرياً سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
قال: «عمرك الله» أي عبادتك الله.

والعَمْر والعُمْر واحد. وسُمّي الرجل «عَمراً» تفاقلاً أن يبقى^(٤).

وجاء في «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس:

. . . . «العَمْر» ضرب من النخل، وكان فلان يستاك بعراجين العَمْر.
وربّما قالوا: العُمْر. ومن هذا أيضاً «العَمْر» ما بدا من اللثة، وهي العمور،
ومنه اشتق اسم «عَمرو»^(٥).

وذكر ابن سيدة:

«العَمْر» و«العُمْر» الحياة، والجمع أعمار.

والعرب تقول في القسم: لعمري، ولعمرك يرفعونه بالابتداء.

ثم عرض لوجوه الأعراب المختلفة وعاد إلى القول: و«العَمْر» ها هنا
«الدين»، وأياً كان فإنه لا يستعمل في القسم إلا مفتوحاً. وفي التنزيل:

(٣) الاشتقاق لابن دريد (القاهرة ١٩٧٩) ص ١٣.

(٤) التهذيب للازهري (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ج ٢ مادة (عمر).

(٥) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ط عيسى البابي الحلبي) ج ٤ مادة (عمر).

«لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» لم يُقرأ إلا بالفتح ، واستعمله ابو خراش فقال :

لَعَمْرُ أَبِي الطيرِ المُرْتَبَةِ غُدْوَةً على خالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ على لحم
وقالوا: عمرك الله أفعل كذا، وإلّا فَعَلْتَ كذا، وإلّا ما فعلت، على الزيادة.
وقد اقتصر نظر النحاة واللغويين في مادة «عمر» هذه على الآراء
النحوية ودلالة الكلمة على معانيها المعروفة المشهورة ولم يتجاوزوها الى
شيء آخر، فهذا ابن سيده يعلق فيقول:

وهو من الأسماء الموضوعة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل
المتروك إظهاره وأصله من «عمرتك الله تعميراً» فحذفت زيادته فجاء على
الفعل. وأعمرك الله أن تفعل كذا، كأنك تحلفه بالله، وتساله بطول عمره،
قال:

عَمَّرْتُكَ اللهُ الجليل فإنني الوي عليك لو أن لبك يهتدي

وبعد أن تحدث عن مشتقات كثيرة من هذه المادة، قال:

و«العمر» لحم من اللثة، سائل بين كل سنين، قال ابن أحمر:

بأن الشباب واخلفَ العمر

والجميع عمور، وقيل: كل مستطيل بين سنين «عمر». و«عمرو»: اسم،
والجمع أعمر وعمور^(٦).

وفي «الصحاح»:

عَمَرَ الرجل يَعْمُرُ عُمُرًا وَعُمْرًا، على غير قياس، أي عاش زمنًا طويلًا.
وهما وإن كانا مصدرين بمعنى، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما، وهو
المفتوح^(٧).

(٦) المحكم لابن سيده، مادة (عمر).

(٧) الصحاح للجوهري، مادة (عمر).

وجاء في «أساس البلاغة»:

استعمر الله تعالى عباده في الأرض، أي طلب منهم العمارة فيها.
وتقول: ما الدنيا إلا «عُمري»، ولا خلود إلا في الأخرى، من «أعمره الدار»
إذا قال له: هي لك عُمرك، ثم هي لي، قال لبيد:
وما البرُّ إلا مضمّراتٌ من التَّقَى وما المالُ إلا مُعمّراتٌ ودائعُ
و«عُمرك الله»: دعاء بالتعمير^(٨).

وفي «المحيط» لابن عبّاد: أن «عمرو» اسم شيطان الفرزدق^(٩).
وقد جمع ابن منظور في «اللسان» أشتات هذه المادة التي أشرنا إليها وجاء
فيها من الزيادة:

و«العُمَر» لحم من اللثة سائل بين كل سنين، وفي الحديث:
«أوصاني جبريل بالسواك حتى خشيت على عموري، والعمور منابت
الأسنان، واللحم الذي بين مغرسها، الواحد «عُمَر» بالفتح، وقد يضم، وقال
ابن أحمر: . . البيت.
والجمع «عُمور».

و«العُمَر» ضرب من النخل، وقيل من التمر، والعمور نخل السكر خاصة،
وقيل: هو «العُمَر» بضم العين والميم عن كراع. وقال مرة: هي «العُمَر»
بالفتح، واحدها «عُمرة» وهي طوال سُحق.

وقال أبو حنيفة: «العُمَر» و«العُمَر» نخل السكر، والضم أعلى اللغتين.
وحكى الأزهري عن الليث في تفسير «العُمَر»: و«العُمَر» نخل السكر، يقال
له: «العُمَر»، وهو معروف عند أهل البحرين، وأنشد الرياشي في صفة
حائط نخل:

(٨) أساس البلاغة (للزمخشري) ١٤١/٢ (عمر).

(٩) المحيط في اللغة (للمصاحب بن عباد) ١١١/٢. وفي اختيار الفرزدق هذا دلالة تاريخية هي أن عمراً
كان له في الجاهلية شأن ومكان في رسومهم الوثنية كما سنرى.

اسودّ كالليل تدجى أخضره مُخالطُ تَعَضُّوْضِه وَعُمْرُه (١٠)

أقول: لقد أحطنا بهذه المادة في كتب اللغة التي اجمعت كلها على دلالات واحدة، وكأنّ اللاحق من أصحاب هذه المصنفات قد احتوى ما أورده السابق، وصار كل منهم يعيد ما ذكره غيره. غير أنني أريد ان أقف على قولهم: ان «عمر» المفتوحة العين هي الخاصة بالقسم، وان النحويين قد ذهبوا الى ان المعنى فيها هو «الدين»، وكأنّ المقسّم به هو «العبادة». ولا بد لنا قبل الذهاب في استقراء القسم بـ«عمرو» أن نعرض لمسائل نمهد بها لشيء سنخلص إليه فنقول:

جاء في قوله تعالى: «والبيت المعمور» ٤ سورة الطور
قال المفسرون فيما قالوا: إنه بيت في السماء بإزاء الكعبة
ومن هنا فالعمارة هي «عمارة» البيت، و«عمارة البيت» وإن دلت على شيء
أخص من «البناء» فهي لا تبعد عن هذا المعنى في الأصل، قال تعالى:
«أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله . . .» ١٩ سورة التوبة. ثم نجد في المصطلح
الاسلامي «العمره» والعُمرة هي الاعتمار وهو معروف، وهي مقرونة بالحج
في قوله تعالى: «وأتموا الحجَّ . والعُمرة لله» ١٩٦ سورة البقرة.

أقول: اذا كان هذا كله قد دعانا الى أن نجد في هذه المادة الجليلة قبساً من الاحترام للمعمور فليس بعيداً ان تأتي مادة «عمر» ويراد بها الدين والدعاء كما بينا. وليس اتفاقاً أن هذه المادة ويراد بها «التحية» لأن التحية شيء من دعاء، قال الأعشى:

(١٠) اللسان، مادة (عمر).

فلما أتانا بُعَيْدَ الكرى سَجَدْنَا له ورفعنا العَمَارا(١١)
أي رفعنا اصواتنا بالدعاء وقلنا: عَمْرُك الله . ولا أرى وجهاً ان يُصْرَفَ قوله
«العَمَارا» الى الأَس، ليكون ذلك كالتحية .

ونرجع الى دلالة هذه المادة على البناء فنقول: إن «العُمرَة» فيما تدل
عليه أن «بني الرجل بامرأته في أهلها . ودلالة البناء تشير الى أن «عمر» ليس
بعيداً عن «البيت او المنزل ولعل هذا هو من المشترك السامي القديم، وذلك
أن الذي نعرفه ان «عُمر» في استعمال النصارى ينصرف الى ما ينصرف إليه
في العربية، ولكنه احتفظ بخصوصية هي الدلالة على «الدير» . لقد عرفنا
الأديرة او الديرات في التراث النصراني وهي كثيرة، وقد ألفت فيها كتب
ومصنفات(١٢)، وكما كانت أديرة موسومة بأعيانها وأسمائها كدير مَتَى، ودير
زَكِّي، ودير حَنَة ودير مار سرجيس، وأديرة أخرى كان لها حضور وافٍ في
الأدب القديم، كذلك كانت أديرة أخرى عرفت بـ«عُمر» بالضم بمعنى الدير،
ومنها: «دير عُمر الزعفران» بنصيبين الذي قال فيه مصعب الكاتب:

عُمِرْت بقاع عُمر الزعفران بفتيانٍ غطارفةٍ هجانٍ(١٣)
و«عمر أحويشا» وأحويشا في السريانية تعني «الحبيس الراهب (Anchorite)
، وهذا الدير بمدينة سعرت(١٤) . وكذلك «عمر مَريونان» بالأنبار، و«عُمر
كَسُكْر» وهو اسفل من واسط(١٥) .

ولنعد ثانية الى القسم بـ«عُمر» وذهاب النحويين الى ان المراد به هو «الدين»
وذلك في قوله تعالى: «لَعَمْرُكَ إِنَّهم لفي سكرتهم يعمهون» . وعلى هذا
نحمل قول النابغة:

(١١) اللسان (عمر) .

(١٢) ومنها كتاب «الديارات» للشابشتي (طبع مرتين بتحقيق «كوركيس هواد» .

(١٣) الديرات ص ١٩١ (الطبعة الثانية) .

(١٤) المصدر السابق ص ١٩٨ .

(١٥) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

فلا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وما هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ (١٦)
وقول الأَعشى :

وَلَعَمْرٍ مِنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عِلَامَةً فِيهَا تَبَيَّنَ نَقْصُهَا وَكَمَالُهَا (١٧)
وقال القحيف العقيلي :

لئن رضيت عليّ بنوقشير لعمر الله أعجبتني رضاها (١٨)
وقال ابو خراش :

لَعَمْرُ أَبِي الطَّيْرِ المَرْتَبَةُ غَدْوَةٌ عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى لَحْمِ (١٩)
أقول : في جملة هذه الشواهد جاء المُقسَمُ به «عمر» وليس في أيّ منها ما
يؤمىء الى أن المراد به هو «للحياة» أو «العُمر». ومن أجل ذلك ذهب النحاة
في الآية التي سبقت الى القول بالدين.

وهذه الشواهد الشعرية وكذلك الآية، وما كنا قد جئنا به من دلالة «عمر»
على البيت المعمور، أو على «الدير» لتثير في جملتها الى أن سياق «عمر»
سياق خاص، ولا يبعد ان يكون «عمر» هذا شيئاً قديماً لدى العرب الوثنيين
يحمل ما يمكن أن يكون وثناً من أوثانهم، وللوصول الى شيء من هذا نجد
أن من أعلامهم الجاهلية «عبد عمرو»، وقد وقفنا على نفر من هؤلاء كلهم
عرف بـ«عبد عمرو» ومن هؤلاء :

عبد عمرو بن كعب الأصم البكائي

عبد عمرو بن مقرن .

عبد عمرو بن نضلة .

عبد عمرو بن جبل الكلبي .

(١٦) ديوان النابغة (بتحقيق شكري فيصل) ص ٦٨ .

(١٧) ديوان الأَعشى (طبعة صادر) .

(١٨) السيوطي، معجم الهوامع ٢/٢٨ .

(١٩) ديوان الهذليين، قسم ٢، ص ١٥٤ .

عبد عمرو بن مفرغ^(٢٠)

وجاء في «الاصابة»^(٢١) أيضاً: أن بكر بن جبلة بن وائل كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي - ﷺ - بكراً. ذكره ابن الكلبي، وأخرج ابن مندة من طريق هشام ابن الكلبي قال: حدثنا الحارث بن عمرو وغيره قال: قال عبد عمرو بن جبلة كان لنا صنم يقال له: «عَيْرُ (كذا) وكانوا يعظّمونه، قال: فغبرنا عنده فسمعت صوتاً يقول: يا بكر بن جبلة تعرفون محمداً، فذكر الحديث وفيه قصة إسلامه، كذا أخرجه ابن مندة مختصراً، وقد أشار المرزباني الى قصته وأنشد له شعراً ومنه^(٢٢):

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى فأصبحت بعد الجحد لله مؤمناً
أقول: لو لم يكن الاسم «عبد عمرو» مستنكراً في الاسلام، ولو لم يكن فيه شيء من آثار الوثنية لما كان من الرسول الكريم ما كان فقد استبدل بـ«عبد عمرو» بكراً وعرف بهذا الاسم الجديد في الاسلام.

وأعود إلى ترجمة «بكر» هذا في نص «الاصابة» فأقول: ألا يجوز ان الصنم الذي أشير إليه هو «عمرو» وقد صحّف الى «عَيْرُ»، ومثل هذا التصحيف مما لا يستبعد؟

والتسمية بـ«عبد» مضافاً الى أصنامهم معروفة، ومن ذلك عبداللات، وعبد العزى، وعبد شمس، ومن هذا «عبد مناف» وهو أبو جماعة من قريش، و«مناف» من أصنامهم، وهو كقولهم: عبد الكعبة وعبد مناة وعبد ود^(٢٣).

(٢٠) انظر الاصابة لابن حجر ٦/٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٥، و٧/٢٥٧.

(٢١) الاصابة ٣/١٩٦.

(٢٢) وهذا مما ضاع من كتاب «معجم الشعراء» وإشارة ابن حجر تدل على ذلك، وقد كان لي ان قمت بجمع هذا «الضائع» الذي وقفت عليه في «الاصابة» وغيرها من المصادر وسيظهر قريباً ان شاء الله تعالى.

(٢٣) وقد منع الإسلام بوحدانيته هذه العبودية الوثنية وأبقاها مقصورة على لفظ الجلالة وأسماء الله الأخرى فكان عبداً، وعبدالرحمن وعبد القاهر وغير ذلك.

فاذا كان هذا فلم لا نحمل عليه «عبد عمرو»؟

ليس في هذا تجاوز ولا إغراب ولا جور على المادة التاريخية. وأنت لا تستبعد هذا وتتذكر أن من أسلوب القسم عندهم «لعمرك الله» فأين هذا من دلالة «عمر» على الحياة كما زعموا؟ لا شيء من ذلك، وربما أدرك النحاة فساد هذا التفسير فذهبوا في شرح الآية الى قولهم في «لعمرك»: انه بمعنى «لدينك».

واذا كنا قد وجدنا في «بكر بن جبلة» مادة وصلنا بها الى ما نريد، فمن المفيد أن أشير الى ترجمتين أخريين لصاحبين أولهما:

عبدالرحمن بن عبد، وقيل: ابن عبيد، وكان عاملاً على جند فلسطين. وقال أبو أحمد الحاكم: غيّر النبي - ﷺ - اسمه وكنيته، كان اسمه «عبد العزى»، وكنيته «أبو مغوية»، فقال النبي - ﷺ -: بل أنت أبو راشد عبدالرحمن.

وثانيهما:

عبدالرحمن بن عبدالله بن ثعلبة بن بيجان، وكان اسمه عبد العزى، فغيّره النبي - ﷺ - (٢٤).

أقول: هذه خلاصة في دلالة «عمر» وتحولها الى العلمية وما عرض لها في أساليب العربية كالقسم، ومما كان لها من دلالة في الجاهلية. والله أسأل ان ينفع بعلمي هذا إنه نعم المولى ونعم النصير.

(٢٤) الاصابة ٦/٢٩٨، ٦/٢٩٥.

تعريب التعليم العالي في العراق

للدكتور أحمد مطلوب

شهدت الأمة العربية نهضة علمية شغّت أنوارها على العالم، وأخرجته من الظلمات الى النور بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا. وكانت اللغة العربية خير أداة عبّرت عن تلك النهضة، وكان المسلمون من العرب وغيرهم يدرسون ويؤلفون بلغة القرآن. وقد حفل التراث العربي الاسلامي بكثير من الدراسات الفقهية والعلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية والجغرافية والفلسفية، وهي تشهد بأن اللغة العربية كانت مطواعة للعلم والتدريس والتأليف، وانها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة وما يستجدّ من علوم، وأن غيرها ليس بأوسع منها ولا أقدر على التعبير. ويرجع الفضل في ذلك الى القرآن الكريم الذي حفظها وطوّرها، والى اللغويين والأدباء والعلماء الذين صانوها، وكان ثراؤها يزداد بتعاقب القرون وتجدد الحياة، ولكن ما أصاب الأمة من مصائب عاقها عن النمو والتطور، وجعل العربية تنزوي في المعاهد الدينية والمساجد، وتبتعد عن العلم والحضارة. فجمدت ولم تتقدم بعد أن ران الجمود على الأمة، ولو ظلت نابضة بالحياة لكان لها شأن غير ما رأيناه في مطلع القرن العشرين. وحينما بدأ الاتصال بالعالم من جديد احسّ العرب بأن حياتهم لا بدّ من أن تتغيّر، وأن جمودهم لا بدّ من أن تدبّ فيه الحياة.

وهذا ما كان، فقد اندفع الرواد يحيون ما كان، ويأخذون من الغرب ما فيه النفع وإنارة السبيل، وبدأ الجليد يذوب، وأخذت الحركة العلمية تنشط

وتتخذ ألوانا شتى . وكان لهؤلاء الرواد فضل كبير في انماء اللغة وتطورها، فقد بذلوا جهوداً محمودة، ووضعوا مصطلحات تعبر عن الجديد، وأصدروا مجلات تخدم العلم وأهدافه .

وشاء الله أن يعيد الى العربية مكانتها في ظل المعاهد العلمية التي انشئت في عصر النهضة، وكانت مدرسة القصر العيني في القاهرة تدرّس الطب باللغة العربية، ويضع اساتذتها الكتب بها . وكان همّ العائدين من البعثات العلمية أن يدرّسوا العلوم والطب بالعربية، وكان المترجمون يحضرون مع الأجانب في قاعات الدرس لترجمة دروسهم الى العربية، ودرّست الجامعة الامريكية في بيروت أول انشائها الطب بالعربية، ووضع أساتذتها الكتب النافعة بها، ولكن هذين المعهدين تنكرا للعربية فيما بعد، وسادت لغة المستعمر وفرضت على ابناء الأمة فرضاً .

ان الاستعمار وعملاءه لم يتركوا العربية تسير في خطها المرسوم، فقد تألبوا عليها، وبدأت الدعوة الى العامية تظهر وتأخذ طابعاً علمياً، ودعا مهندس الري ويلكوكس الى الاخذ بها في تدريس العلوم، لتتقدم مصر وتلحق بركب الحضارة العالمية^(١) . وكانت مجلة «المقتطف» منذ عام ١٨٨١م، تدعو الى كتابة العلوم بالعامية، لغة الحديث، وكان الغزاة يخططون في الوقت نفسه لفرض لغتهم، وقد صدر أمر وزاري عام ١٨٨٩م، يقضي بأن تكون لغة التعليم في المدارس المصرية هي اللغة الانكليزية؛ ووجهت البعثات الى انكلترا واغلقت مدرسة الألسن التي كانت تعنى بالترجمة، وتخريج القائمين بها^(٢) . وكان أمين شميل من اكثر المتحمسين اندفاعاً الى ذلك، ولم يكتف

(١) ينظر النقد الأدبي الحديث في العراق ص ١٣١ وما بعدها .

(٢) ينظر لغتنا والحياة ص ١٠٤-١٠٥ .

بالدعوة الى لغة المستعمر وفرضها على التعليم، وانما «نادى بأن نتخلى عن العربية، فصحي او عامية، الى لغة اجنبية تحيينا علميا وثقافيا واقتصاديا؛ واكد عقم كل محاولة تبذل لاحياء لغتنا العربية المقضي عليها حتما بالموت» (٣).

ولو استمر المعهدان في بيروت والقاهرة على ما كانا عليه، لأنثرت حركة التأليف ولنال العرب خيرا عظيما، ولكن الغزاة أبوا إلا ان يهتموا بالعربية قليلا، حتى إذا ما اطمأن الناس اليهم أنشبوا مخالبيهم واطهروا نواياهم فتحقق مسعاهم، وظل الأمر ضربة لازب، لا يجرؤ أحد على تغييره حتى وقفت سورية بصفاء عروبتها للمستعمرين، وفرضت لغتها على معاهد العلم وظلت جامعاتها متمسكة بما بدأه الرواد غير ملتفتة الى ما يشاع من تردي مستواها العلمي وضعف طلابها.

وكانت وقفة جامعة دمشق بوجه لغة المستعمر حافزا للاقطار العربية الاخرى، فأخذ المؤمنون بآمتهم، الحريصون على استقلالها، يبذلون الجهد الكبير ويسهرون الليالي في البحث والتأليف، حتى تهيأ لكثير منهم ما سعوا اليه، وظهرت مئات الكتب العلمية، وبدأت بعض الكليات العلمية تدرّس بالعربية وتدفع الطلبة الى التمسك بها والحفاظ عليها وتطويرها لتستجيب لمتطلبات العصر وتقدمه العلمي.

ونالت الجزائر استقلالها سنة ١٩٦٢م بعد كفاح مرير، وبدأت طلابها الشورية تعرب الدوائر والمعاهد وشؤون الحياة، وقد خاضت معارك ضارية للقضاء على التيار المناويء للتعريب، وعقدت مؤتمرات كثيرة، وأكملت الآن تعريب كثير من شؤون الحياة، وعربت التعليم الابتدائي والثانوي،

(٣) لغتنا والحياة ص ١٤٦.

وقسما من التعليم الجامعي، وتقف الأقسام العلمية المعربة في جامعاتها ومعاهدها الى جانب الاقسام المفروسة، وستتم عملية التعريب قريبا إذا توفرت لها الظروف، وساهمت الدول العربية في رقد العملية وتهيئة الاساتذة الذين يدرسون العلوم باللغة العربية.

وبدا الأردن منذ سنوات قليلة يحاول تعريب العلوم في جامعتي عمان واربد، وكان لمجمع اللغة العربية الأردني فضل كبير في عملية التعريب، فقد أخذ على عاتقه هذه المهمة، وبدأ يترجم الكتب ويرصد العملية ويدعو الى المزيد منها على الرغم من المعارضة التي يبديها المناوئون لحركة التعريب.

وما تزال كثير من الاقطار العربية متمسكة باللغات الأجنبية في تدريس العلوم لأسباب غير مقنعة علميا، ولعل تلك الاقطار تحذو حذو شقيقاتها التي سارت في طريق التعريب وقطعت فيه شوطا طويلا.

ولم يكن التعليم في العراق أحسن حظاً مما كان عليه في الأقطار العربية الأخرى، فقد سعت الدولة العثمانية الى تترك القطر، وكانت الدراسة العالية مقتصرة فيه على مدرسة الحقوق. ولما قامت الحرب العالمية الأولى اغلقت ابواب هذه المدرسة كغيرها من المدارس الأخرى، وأعيد فتحها بعد أن وُجد أن الحاجة ماسة اليها. وكانت كتب الدراسة «موضوعة باللغة التركية ومن الكتب التي يدرسها طلاب الحقوق في استانبول»^(١).

وبدا التعليم العالي ينشط في العهد (الفيصلي، فأسست دار المعلمين العالية سنة ١٩٢٣، وجامعة آل البيت سنة ١٩٢٤، ومدرسة الطب سنة ١٩٢٧، وكلية الهندسة سنة ١٩٤٢، وكلية الآداب والعلوم سنة ١٩٤٩.

(١) تقدم التعليم العالي في العراق ص ٢٧.

وكانت جامعة آل البيت أول جامعة في العهد الفيصلي ، وقد بدأ التفكير في انشائها سنة ١٩٢١م وصدرت لائحة نظامها في الخامس من شهر رجب عام ١٣٤٢هـ الموافق للحادي عشر من شباط ١٩٢٤ . وجاء في المادة الأولى من اللائحة : «تحتوي الجامعة على ست شعب : شعبة العلوم الدينية ، وشعبة الحقوق ، وشعبة الطب ، وشعبة الفنون ، وشعبة الهندسة ، وشعبة التعليم والتربية»^(١) . واغلقت الجامعة بعد ذلك بسنوات قليلة واستمرت المدارس العالية والكليات في التدريس حتى عام ١٩٥٦ ، اذ صدر قانون جامعة بغداد رقم (٦٠) لسنة ١٩٥٦ ، وأسست بموجبه أول جامعة في بغداد ، ثم ألغي القانون بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وصدر قانون جامعة بغداد رقم (٢٨) لسنة ١٩٥٨م .

وكانت الكليات العلمية قبل تأسيس جامعة بغداد تدرّس باللغة الانكليزية ، وهو ما سعى اليه الانكليز منذ دخولهم العراق ، ففي عام ١٩٣٢ كانت الدعوة الى التدريس في كلية الحقوق باللغات الأجنبية . وقد جاء في تقرير اللجنة المكلفة باصلاح الكلية اصلاحا جذريا : «لاحظت اللجنة لزوم الاعتناء في كلية الحقوق واعلاء سويتها ، وذلك بنظر اللجنة يتوقف على جلب اساتذة من اوربا واستخدامهم بالتدريس في هذه الكلية ، وان وجودها على ما هي عليه الآن لا يبرر بقاءها ، فيجب حينئذ الغاؤها وتخصيص نفقاتها الى البعثات العلمية ، وارسال الشبان الى الكليات الحقوقية الراقية للتحصيل والتخصص في فروع الحقوق»^(٢) . ولم يستصوب ساطع الحصري - وكان مسؤولاً كبيراً في وزارة المعارف - فكرة اللجنة في انتداب اساتذة من اوربا

(١) ينظر تقدم التعليم العالمي في العراق ص ٣٨٩ .

(٢) مذكراتي في العراق ج ٢ ص ٣٣٦ .

لترقية مستوى التدريس في الكلية، لان الطلبة لم يستطيعوا فهم المحاضرات التي يلقيها الاساتذة الأجانب بلغاتهم في دقائق الامور القانونية، واقترح الاستعانة باساتذة من مصر لان كلية الحقوق في القاهرة قامت على اسس متينة، واستفادت من خدمات الاساتذة الاجانب، وتخرج كثير من أساتذتها في الجامعات الأجنبية وصاروا يدرسون العلوم الحقوقية باللغة العربية منذ سنوات^(١).

وكان التدريس بالانكليزية في كلية الطب؛ لان معظم أساتذتها عند تأسيسها كانوا من الأجانب، وكان عميدها انكليزيا، وقد وضعت مناهج الدراسة فيها على غرار المناهج في الكليات البريطانية. ويبدو ان طلبة الطب لم يستفيدوا كثيراً من التدريس باللغة الانكليزية وكان ضعفهم في تلقي العلم بها واضحا، وقد ضمن مدير التدريس والتربية العام ذلك في تقريره الذي رفعه الى وزير المعارف في الرابع من شهر مارس سنة ١٩٣٨^(٢).

ومرّت الأعوام، وكان العراق يتطلع الى انشاء جامعة تعيد اليه عزه الغابر ومجده التليد. وجاء في تقرير دارون ومورغن في عام ١٩٤٨ ان العربية هي اللغة الرئيسة للتعليم، ولكن ينبغي الاهتمام باللغة الانكليزية، لان الطالب الذي يحسنها يجد في متناوله الكتب الصادرة في بريطانيا وامريكا الشمالية، وجاء فيه ايضا ان جعل التعليم بالعربية اجباريا في كل الموضوعات يؤدي الى تضيق المجال في انتخاب الاساتذة الأجانب الذين يعرفون الانكليزية، مهما تكن لغتهم القومية^(٣).

(١) مذكراتي في العراق ج ٢ ص ٣٣٧.

(٢) ينظر التقرير في كتاب تقدم التعليم العالي في العراق ص ٩٧.

(٣) ينظر تقدم التعليم العالي في العراق ص ٣٠٢.

ورأت اللجنة المشكّلة لدراسة مشروع الجامعة والكلية التوجيهية في الثاني عشر من شهر آب سنة ١٩٤٨ أن تؤسس كلية توجيهية، وقالت: إن «تدريس اللغات يجب ان يختلف عما هو عليه في الثانوية، ويكون الغرض منه اقتدار الطالب على القراءة والكتابة، كأن يعود الطالب في الانكليزية مثلاً على كتابة الرسائل وتلخيص ما يقرأ ومطالعة قطع نثرية وشعرية. ويستحسن أن تكون دراسة التأريخ الاوروبي والجغرافيا ومبادئ الاقتصاد ومبادئ الفلسفة في قسم الآداب بالانكليزية، ودراسة الفيزياء والكيمياء والرياضيات والحيوان والنبات في قسم العلوم بالانكليزية ليقوى الطلبة في هذه اللغة وليعرفوا المصطلحات العلمية»^(١).

ونفذت هذه التوصية وبدأت كلية الآداب والعلوم في سنة ١٩٤٩ تدرّس كثيراً من الموضوعات الانسانية باللغة الانكليزية، فكانت بعض الأقسام تعج بالانكليز والامريكان الذين قدموا لتدريس الاقتصاد والاجتماع والفلسفة والأثار باللغة الانكليزية. وأثار هذا الوضع الحسّ القومي في العراق فتصدى له الوطنيون، وبدأوا يكتبون في الصحف، ويلقون المحاضرات منبهين الى خطورة هذا الاتجاه الذي اخذ يزحف الى الدراسات الانسانية بعد ان ابتلع الدراسات العلمية.

ولم يُصغِ المسؤولون الى هذه الصيحات المخلصة ولم يعباوا بالعربية ويجعلوها لغة التعليم العالي، وكان الأمل معقوداً على جامعة بغداد عند تأسيسها عام ١٩٥٦، فقد نصت المادة الخامسة والاربعون من قانونها رقم (٦٠) على ان «اللغة العربية هي لغة التعليم، ولمجلس الجامعة ان يقرر تدريس بعض الفروع والمواضيع بلغة اجنبية». ونصت المادة السابعة من

(١) المصدر السابق ص ١٦٤.

قانون جامعة بغداد رقم (٢٨) لسنة ١٩٥٨ على أن «اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعة، ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة تدريس بعض المواد او الموضوعات بلغة أخرى، ويعيد المجلس النظر في هذا القرار بين حين وآخر». ونصت المادة الثانية والعشرون من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم (١٣٢) لسنة ١٩٧٠ المعدل على أن «اللغة الرسمية في الجامعات العراقية هي اللغة العربية... ولمجالس الجامعات ان تقرر تدريس بعض المواد العلمية بلغات اخرى».



ولم تنفذ هذه المواد القانونية إلا بعد أن تم توجيه النظر العراقي توجيهها قوميا صحيحا بعد ثورة تموز ١٩٦٨، فقد أقر مجلس التعليم العالي والبحث العلمي في حزيران سنة ١٩٧٦ الزام الجامعات ومؤسسات التعليم بالبدء في تعريب التعليم العالي في الصفوف الأولى بصورة تامة، من السنة الدراسية ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، باستثناء مادة دراسية واحدة تدرس باللغة الاجنبية، على ان يطبق ذلك على الصفوف الثانية في السنة التالية، وهكذا حتى يشمل جميع الصفوف، وأن تشكل لجنة وطنية عليا للتعريب لتنسيق هذه المهمة. وتألقت تلك اللجنة في تشرين الثاني سنة ١٩٧٦ وعقدت احدى عشرة جلسة، وضعت فيها الأسس العامة لتعريب التعليم الجامعي، وأقرت فيها تأليف اللجان المشتركة للتعريب للنظر في اختيار كتب الترجمة والتأليف، والمترجمين والمؤلفين للكتب الجامعية. وأجازت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مرحليا استعمال الكتب المعتمدة - العربية والأجنبية - ريثما يتوفر الكتاب العربي المقرر. ثم صدر كتاب مجلس قيادة الثورة - مكتب السيد النائب - لجنة شؤون التعليم - في ايلول سنة ١٩٧٧ الذي ينص على قيام الوزارة بتأليف الكتب وفق المقررات التي تضعها لجنة شؤون التعليم، على ان لا يعتمد اي كتاب تقوم الوزارة بتأليفه إلا بعد اجازته من اللجنة نفسها.

وحدثت اجراءات كثيرة لتيسير عملية التعريب، وقد تقرر تأجيل التعريب في كلية الطب وكلية طب الأسنان ستين، وعقدت ندوة لتعريب الطب في آذار سنة ١٩٧٩ وانتهت الى اقرار التوصيات الفعالة لذلك. وفي تشرين الثاني من العام نفسه أصدر مجلس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي قراراً جاء فيه:

- ١ - يطبق التعريب الالزامي في الصفوف الأولى من كليات الطب وطب الأسنان في القطر ابتداءً من العام الدراسي ١٩٨٠ - ١٩٨١.
- ٢ - يشمل التعريب الالزامي المواد الدراسية للمرحلة الأولى.
- ٣ - يشمل التعريب الالزامي جميع المواد الدراسية للمرحلة الواحدة.
- ٤ - تخويلها بضع صلاحيات منها صلاحيات «لجنة المناهج التعليمية» فيما يتعلق باقرار الكتب المنهجية، عدا كتب الثقافة القومية والاشتراكية ومنحها صلاحية الوزير في الامور المتعلقة بانجاز مهامها من اجل انجاح عملية التعريب^(١).

وكان قرار مجلس قيادة الثورة بتعريب العلوم دافعاً قوياً الى تنفيذ الخطوات التي بدأتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، فقد صدر قانون «الحفاظ على سلامة اللغة العربية» رقم (٦٤) لسنة ١٩٧٧ وجاء في المادة الثانية منه: «على المؤسسات التعليمية في مراحل الدراسة كافة اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم، وعليها أن تحرص على سلامتها لفظاً وكتابة، وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير بها وادراك مزاياها والاعتزاز بها». وحسبت هذه المادة القانونية الموضوع، وكان هذا القرار ثورياً، اعاد الى

(١) تنظر مقدمة الدكتور جميل الملائكة لخلاصة التشريعات ص ١-٢، ومقدمة كتاب مؤتمر تعريب التعليم

العراق وجهه العربي الأصيل، وحرر التعليم من التبعية والتخلف، وحقق للوطنيين ما كانوا يصبون اليه .

وسارت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في طريقها المرسوم، وأخذت تحقق قرار الثورة وآمال الوطنيين، وبدأ التدريس الزامياً باللغة العربية في الصفوف الأولى من الكليات العلمية سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨، وفي الصفوف الأولى من كليات الطب وطب الاسنان سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١، على ان تدرس مادة واحدة في كل سنة دراسية بكل قسم جامعي بلغة أجنبية لاتقان اللغة العلمية الأجنبية . ويتم هذا كله بطريق المؤسسات والهيئات في الوزارة، وقد صدرت لوائح تنظيمية لسير العملية وانجاح حركة التعريب، وانيطت بالمجمع العلمي العراقي مهمة المصطلحات العلمية تنفيذاً لما جاء في المادة التاسعة من قانون «الحفاظ على سلامة اللغة العربية» ونصها: «يكون المجمع العلمي العراقي المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية، وعلى الاجهزة المعنية بالرجوع اليه بشأنها» .

وكانت حصيلة تلك القرارات والجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل انجاح التعريب ما يأتي :

- ١ - بدء التدريس والمناقشات والامتحانات في جميع مواد الصفوف الأولى والثانية والثالثة بكليات القطر ومعاهده باللغة العربية، ما عدا مادة واحدة تدرس بلغة أجنبية، وعدا فروع اللغات الأجنبية .
- ٢ - عقد مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي ببغداد في (٤-٧) من شهر آذار عام ١٩٧٨م وقد شارك فيه علماء من الوطن العربي، وقدموا بحوثاً في المصطلح العلمي وأساليب اختياره، وفي أساليب التعريب والمشاكل والحلول، وأصدر في ختام اجتماعاته توصيات جاء في ديباجتها:

- ١ - ان التفكير والتعبير باللغة القومية من أهم دعائم الاستقلال الفكري والحضاري لاية أمة من الأمم .
- ٢ - ان اللغة العربية هي جامعة كلمة العرب وعماد ثقتهم بأنفسهم ووسيلة وحدتهم القومية .
- ٣ - ان اللغة العربية ثرية ، وسعت القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي الغني في العلوم والآداب والفضون .
- ٤ - ان اللغة العربية ذات طواعية وقدرة على العطاء العلمي وميزات فذة في الاشتقاق والقياس والمجاز .
- ٥ - إن الاستعمار هو الذي شكك في قدرة اللغة العربية ، وان الدعوات المنحرفة هي التي دعت الى احلال اللغات الاوروبية محل اللغة العربية واستعمال الحرف اللاتيني بدلاً عن الحرف العربي .

وبعد أن استعرض الصعوبات التي تحيط بالتعريب والجهود التي ينبغي ان تبذل لنجاحه أوصى بما يأتي :

أولاً - في حركة التعريب :

- ١ - غرس الايمان باللغة العربية ، وتنمية الاعتزاز بها لدى الطالب في مختلف مراحل دراسته عن طريق تعريفه بقيمها الحضارية وتاريخها الثقافي واستيعابها للعلوم وطواعيتها للتعليم .
- ٢ - الارتفاع بمستوى تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية والثانوية بتهديب مناهجها والاعتماد على التطبيقات العملية في تدريسها وتجاوز القواعد الصماء ، والاستزادة من حفظ الذكر الحكيم والحديث الشريف والنصوص الرفيعة من الشعر والنثر سعياً وراء انزال اللغة من النفس العربية منزلة السليقة .

- ٣ - الاكثار من النصوص العلمية في كتب المطالعة لتقوية الطالب الناشيء في اللغة العلمية ولاغناؤه بالمصطلحات تمهيداً للافادة منها في مستقبله العلمي .
- ٤ العمل على انتشار الفصحى واشاعة استعمالها في التعليم ولغة التخاطب، تمهيداً لتضييق الشقة بين لغة الحديث ولغة الكتابة .
- ٥ - الاستفادة من وسائل الاعلام في نشر اللغة السليمة على الجمهور، واختيار المذيعين من بين المتمكنين من الالقاء الصحيح وادخالهم دورات تقوية في اللغة العربية ليكونوا قدوة للمستمعين، وتطبيق ذلك في مختلف الانشطة والفعاليات الاذاعية والفنية .
- ٦ - اتاحة الفرصة للمدرسين الجامعيين الذين اضطرتهم دراستهم للابتعاد عن استخدام اللغة العربية، للعودة اليها والتمرس بها بمختلف الوسائل، وتنظيم دورات لغوية يستفيد منها العلميون من أعضاء الهيئات التدريسية والقائمون على الترجمة والتأليف، يراعى في برامجها سبل الافادة من الطرق الحديثة في تدريس اللغات، وتشمل دراسة طرق الاشتقاق والوضع والقياس في اللغة العربية لاستخدامها في وضع المصطلحات .
- ٧ - العناية بالترجمة، وذلك بفتح دراسة عليا للترجمة يقبل فيها حملة الشهادة الأولية من الكليات العلمية المتمكنون من لغة اجنبية، وكذلك المتفوقون من خريجي اقسام اللغات الاوروبية، لمدح حركة الترجمة العلمية بعناصر ذات كفاية عالية، ويمنح المتخرجون منها شهادة جامعية عليا .
- ٨ - تشجيع النشر العلمي في المجالات العلمية العربية مع تقديم ملخصات وافية بلغة اجنبية حية، وتشجيع كتابة الرسائل العلمية في الدراسات العليا باللغة العربية .

- ٩ - تشجيع المؤلفين والمترجمين وواضعي المصطلحات بتخصيص المكافآت المجزية والجوائز والأوسمة للأعمال المتميزة واحتسابها لاغراض ترقيةاتهم العلمية والتخفيف من ساعات التدريس عنهم .
- ١٠ - انشاء مراكز قطرية للتعريب في الوزارات والمؤسسات المعنية بالتعليم العالي ، وتقديم المشورة فيما يتعلق بتنفيذها .
- ١١ - الاستمرار في عقد الندوات القطرية والمؤتمرات القومية الدورية يحضرها المعنيون بشؤون التعليم لدراسة قضاياها وتقويم حركته ومناقشة الجديد من اموره .
- ١٢ - تأكيد التعاون العربي في عملية التعريب بتوفير الكتاب المعرب لجميع الاقطار العربية ، وزيادة تبادل الخبرات على النطاق القومي في مجالات التدريس والترجمة والتأليف بالعربية .
- ١٣ - السير في تعريب التعليم الجامعي وفق برنامج زمني متصل يشرع بتطبيقه مباشرة على صفوف السنة الجامعية الأولى ، ثم على السنة الثانية في العام التالي ، ويستمر كذلك متتابعاً حتى يشمل جميع سني الدراسة الجامعية ، واصدار التشريعات اللازمة لذلك .
- ١٤ - التحذير من سلوك سبيل التردد او الارتداد او التأجيل في عملية التعريب بحجة عدم التهيؤ لها ؛ لان التأجيل لن يذلل الصعوبات التي ستبقى قائمة ما بقي التأجيل ، ولن يزيلها إلا الاقدام على العملية وبذل أقصى الجهود .
- ١٥ - التحذير من ايفاد الطلبة الى الخارج للتخصص وهم في سن باكرة لم تكتمل معها شخصيتهم وعقيدتهم وثقافتهم ، وعدم ارسال البعثات العلمية إلا بعد الشهادة الجامعية الأولية على الأقل ، وذلك لتجنب التفريط ببعض النخبة الصالحة عن طريق الهجرة العلمية .

ثانيا - في الانفتاح على المعرفة الانسانية :

- ١ - الارتفاع بمستوى تدريس اللغة الاجنبية في مراحل التعليم العام لتزويد الطالب بالمهارات الاساسية في تلك اللغة .
- ٢ - تطبيق برنامج قويم لتدريس الطالب الجامعي لغة علمية حية خلال السنتين الاوليين من الدراسة الجامعية باتباع الوسائل السمعية والبصرية الحديثة تمكنه من المتابعة العلمية ومواصلة الاطلاع على التطور العلمي ، وتيسر له اكمال الدراسة والتخصص عند الحاجة ، وكذلك تمكنه من نشر الابحاث في المجالات العالمية .
- ٣ - مراعاة لواقع التعريب في المرحلة الراهنة يستحسن تدريس مادة دراسية رئيسية واحدة بلغة اجنبية حية في كل سنة دراسية جامعية ، وتقديم الامتحان بتلك اللغة ، والزام الطالب بحفظ المصطلح الاجنبي في حقل اختصاصه ، اضافة الى المصطلح العربي ، ضمانا لمواكبة التقدم العلمي والمتابعة العلمية ، والزام المؤلفين بوضع قائمة في آخر الكتاب تضم المصطلحات المستخدمة فيه .
- ٤ - انشاء شعب قطرية لترجمة امهات المراجع على ان يتم التنسيق بين الجهود العربية لتجنب الازدواج ، والعمل على توفير هذه الكتب للمستفيدين في الوطن العربي ، ثم العمل بعد ذلك على انشاء مركز على المستوى القومي للترجمة لتوحيد هذه الجهود .
- ٥ - توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين الاقطار العربية والبلدان الاخرى .
- ٦ - التوسع في فتح مراكز تعليم اللغة العربية للاجانب في مختلف دول العالم .

ثالثا - المصطلح العلمي في التراث :

تكليف الاختصاصيين في حقول المعرفة الرئيسية بمراجعة كتب التراث العلمي العربي وجرد المصطلحات التي استعملها العلماء الاوائل في مختلف فروع المعرفة لتوفيرها للعاملين في اختيار المصطلح العلمي الحديث ووضعه .

رابعا - في اسلوب اختيار المصطلح العلمي ووضعه :

١ - تكثيف الجهود في قيام اللجان الجمعية بمعونة خبراء في حقول الاختصاص بوضع مجاميع المصطلحات في حقول المعرفة الرئيسية، ومنح المكافآت المجزية لهذه الجهود .

٢ - العمل على تحقيق مشروعات المعاجم العلمية المتخصصة في فروع المعرفة المختلفة، على غرار المعجمات العلمية العالمية، وتفريغ جماعات من العلماء من البلاد العربية لتحقيق ذلك .

٣ - الاستهداء بالقواعد العامة التي انتهت اليها المجامع اللغوية في وضع المصطلحات واختيارها، ومنها :

أ - انه لا يشترط في المصطلح استيعاب كل مدلوله العلمي ، وانما يتخذ لأدنى علاقة بذلك المدلول .

ب - مراعاة الاهتمام بالمدلول العلمي للمصطلح الاجنبي قبل معناه اللغوي عند وضع مقابله العربي .

ج - تجنب الاصطلاح بلفظ واحد لمدلولات علمية مختلفة .

د - تجنب استعمال عدة مصطلحات لمعنى علمي واحد .

هـ - عدم اتخاذ المصطلحات من ألفاظ ذات معان ودلالات شائعة ومعروفة .

و - تفضيل المصطلح العربي على المصطلح المعرب او الاجنبي .

ز - تجنب استعمال النافر القريب من الالفاظ .

ح - عدم اللجوء الى النحت إلا اذا دعت اليه ضرورة ملحة .

٤ - العمل على اصدار معجم معانٍ حديث بالعربية ييسر للمؤلف والمترجم والكتاب مهمتهم ، وتكليف جماعة من ذوي الاختصاص وتفريغهم لاعداده .

٥ - العمل على دعم اتحاد المجامع العلمية واللغوية توجها نحو مجمع قومي موحد تكون المجامع فروعاً له ، وذلك ضماناً لتحقيق اللغة العلمية الواحدة ، والتزام البلاد العربية بما يصدر عنه من مقررات .

خامساً - وحدة الكتاب الجامعي :

١ - بذل جهود متعاونة في الوطن العربي لتنفيذ برنامج محكم ، هدفه تأليف الكتب المنهجية وترجمتها لتكون جاهزة في اي وقت لسنة دراسية مقبلة على الأقل وفق البرنامج الزمني للتعريب .

٢ - العمل على توحيد الكتاب الجامعي المنهجي بدءاً بجامعة قطر الواحد ، ثم على النطاق القومي لما يحققه ذلك من :

أ - اختيار افضل الكفايات العلمية في مجال التأليف والترجمة .

ب - تركيز الجهود على الاخراج الجيد للكتاب المنهجي شكلاً ومضموناً .

ج - تيسير عملية تعريب التعليم العالي .

د - توحيد المصطلح العلمي وتجنب تعدده للمدلول الواحد في

حقل الاختصاص .

إن الأخذ بتوحيد الكتاب الجامعي عملية مرحلية هدفها تسهيل البدء

بالتعريب ، ويمكن إتاحة الفرص للمنافسة العلمية بعد ذلك .

وأوصى المؤتمر توصية خاصة جاء فيها : «إن مؤتمر تعريب التعليم

العالي المنعقد ببغداد بين (٤-٧) آذار ١٩٧٨م الذي يضم العلماء

والمجمعين والجامعيين وأساتذة الكليات العلمية والانسانية في الوطن العربي، إذ ينطلق من الايمان بأن تحقيق الابداع الفكري والاصالة الحضارية للأمة العربية لن يتأتى إلا من خلال لغتها، وقراراً بمقدرة اللغة العربية على العطاء العلمي والتّقنيّ، وادراكاً لضرورة تضافر الجهود العربية لانجاح عملية التعريب في الوطن العربي توخياً لمواكبة التقدم الحضاري، يناشد الرؤساء والملوك العرب اصدار التشريعات والقوانين لتطبيق التعريب في مراحل الدراسة كلها، وهم يضعون جهودهم وامكانياتهم في خدمة هذا الهدف النبيل».

ومعظم ما جاء في التوصيات^(١) متوفر في الاقطار العربية، ولكن التشريع هو الذي يدفع العاملين الى التعريب دفعا. وقد كان العراق سباقا في مثل هذا التشريع وأصبح التعريب واقعا لا ينكره إلا من سُحر بغير لغة العرب. وكنا قد دعونا منذ عام ١٩٧٥ الى اصدار قرارات رسمية لانجاح التعريب وتعميمه، ومما قلناه: إن هناك عاملين يوجهان عملية التعريب توجيها صحيحا وهما:

الاول: ايمان الحكومات العربية بالتعريب، وهذا عامل رئيس يعتمد عليه التعريب كل الاعتماد. والرأي ان الاضطراب سيظل ملازما للحياة الجامعية ما لم تتخذ الحكومات قرارا يلزم الاساتذة التدريس بالعربية. وقد فعلت ذلك حكومات العالم الاخرى لانها تؤمن بأن التمسك باللغة تمسك بتراب الوطن وابتعاد عن التبعية. ولم تقتصر حكومات العالم على هذا الجانب الحيوي وحده، وانما كانت تفرض كثيراً من الاتجاهات التي تراها صالحة وضرورية، كفرض منهج معين او نظام معين؛ لانها تؤمن بأن ترك هذه المسائل للآراء المتضاربة لا يُوصل البلاد الى ما تصبو اليه من تقدم ومنعة. وليست القضايا المصيرية مما تفتح له الابواب لتدخل الرياح من كل جانب،

(١) تنظر التوصيات في كتاب مؤتمر تعريب التعليم العالي ص ٨٨٩.

وليست جدلاً يفضي الى تبادل الآراء وعرض وجهات النظر كما كان أهل روما يفعلون وهم يرون المدينة تحترق، وانما هي اتخاذ القرار الحاسم الذي يصون الأمة ويحمي تراثها وتراثها وآمالها في الحياة الحرة السعيدة. والأمة على تعدد أقطارها قادرة على اتخاذ هذا القرار الحاسم؛ لان فيه عزتها وهيبتها وخدمة العلم والسير به نحو الابداع.

الثاني: ايمان العلماء والاساتذة بالتعريب، ويأتي ذلك ذاتياً وهو بما نتوسمه في العاملين بصدق، والحريصين على تقديم ما فيه النفع لابنائهم وأمتهم، او يأتي من السلطة التي تقرر بحزم يدفع الى العمل والانتاج^(١).
٣ - ومن ثمرة التعريب البدء بتأليف الكتب العلمية او ترجمتها، وكان مركز التعريب قد أصدر قوائم باسماء الكتب التي يجري تأليفها او ترجمتها الى اللغة العربية في جامعات التعليم العالي ومؤسساته، وقد ضمت ألفي عنوان منذ صدور قرار التعريب في حزيران سنة ١٩٧٦، وصدر منها عدد كبير في حقول متعددة، وما يزال القسم الآخر قيد الطبع او الترجمة او التأليف.

لقد سار التعريب بخطوات متزنة، ولم يكن امام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إلا أن تحث الخطى وتغذ السير على الرغم من الصعوبات التي تتمثل في الكتب المنهجية والمساعدة والمصطلحات واعداد تدريسيين قادرين على تنفيذ عملية التعريب، ولكن معظم الاجهزة - على الرغم من ذلك - تسعى باخلاص الى انجاح العملية لانها تظهر وجه العراق العربي وتعيد اليه أمجاده، ولان اللغة من أهم مقومات الوحدة العربية التي ضحى من أجلها المخلصون. وستثمر الجهود المبذولة خير الثمرات، وستؤدي كتابة البحوث العلمية الأصيلة وتأليف الكتب باللغة العربية الى اتقان هذه اللغة

(١) ينظر دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات ص ٤٤-٤٥.

الكريمة والاهتمام بها في العالم كله، وستصبح لغة العلم كما كانت في عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية. وقد خدم العرب الاوائل لغتهم وجعلوها تنتشر ويقبل عليها الناس حينما كانوا يقدمون علما جديداً، وبينون حضارة زاهرة. وسيكون شأنها اكثر رفعة في هذا العصر بعد أن وجد العرب طريقهم وبدأوا يؤلفون ويدرسون بلغتهم ويسعون الى تطويرها وتقدمها. فالتأليف والتدريس بالعربية من أهم وسائل نمائها، ومن الأسس التي تبني عليها الأمة حضارتها ومستقبلها وترسخ موضعها في العالم الممتد الفسيح.

إن التعريب، وقد نجح في القطر العراقي وهو ما يزال في بداية الطريق يهدف الى ثلاثة أمور:

الأول: ان التدريس بالعربية في الجامعات قضية قومية، وان الاعراض عنها تنكر للامة وطعن في اهم مقوماتها، ومن استبدل لغة بلغته خسر قوميته وفقد كيانه.

الثاني: ان التدريس بالعربية يدفع الى التقدم ويخدم العلم ويخلق اجيالاً قادرة على الفهم الدقيق والتطور، لان اللغة لا تنفصل عن التفكير، ومن فكّر بلغته كان أقدر من غيره على العمل والابداع.

الثالث: إن التدريس بالعربية يشيع العلم بين الناس، فقد انتهى ذلك الزمان الذي كان العلم فيه ملكاً لطبقة خاصة، وكان الاسلام قد دعا الى العلم منذ قرون وفضل الله الذين يعلمون وكرم العلماء، وهذا ما تسعى اليه الشعوب الناهضة في هذا العصر.

والتعريب وقد سار بخطوات متزنة لن يسد ابواب المعرفة، فمن أول شروطه معرفة اللغات الأجنبية ومتابعة ما يصدر من بحوث ودراسات. ولأجل تحقيق هذه الغاية وضعت خطة التعريب فقرة تؤكد فيها «تدريس مادة واحدة في كل سنة دراسية بكل قسم جامعي بلغة أجنبية لائقان اللغة العلمية

الاجنبية^(١)». وهذا التأكيد يخدم العلم ويدفع الطلبة الى اتقان لغة أجنبية تنفعهم في تخصصهم وتفتح امامهم سبل الدراسة والاستفادة من البحوث العلمية الجديدة. وكان العرب الاوائل قد اهتموا باللغات الأجنبية منذ القرن الاول للهجرة، واقاموا المؤسسات للترجمة، ورصدوا المكافآت للمترجمين، وبذلك استطاعوا ان ينقلوا تراث الحضارات الأجنبية. ويفعل مثل ذلك معظم دول العالم، ففيها معاهد لتدريس اللغات الأجنبية، ومؤسسات للترجمة، وهي تتابع الحركة العلمية العالمية، وتأخذ منها وتعطيها بقدر ما يبذل أبنائها في حقول العلوم وميادين الحياة.

لقد بدأت عملية تعريب التعليم العالي في العراق، وهي خطوة ثورية عظيمة، ونرى ان ازدهار التعريب يعتمد على اسس مهمة منها:

١ - القرار السياسي الحازم، وقد أصدر مجلس قيادة الثورة قانون «الحفاظ على سلامة اللغة العربية» رقم (٦٤) لسنة ١٩٧٧، ونصت المادة الثانية منه على ما يأتي: «على المؤسسات التعليمية في مراحل الدراسة كافة اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم، وعليها ان تحرص على سلامتها لفظاً وكتابة، وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير بها وادراك مزاياها والاعتزاز بها».

٢ - الايمان بالتعريب، وهي مسألة تخضع للوعي القومي والسياسي، وكثير هم الذين وعوا ذلك وسعوا الى التعريب وحرصوا على نجاحه. ولكن بعض الفئات ما تزال تتربص بهذه الخطوة المباركة وتتحين الفرص للانقضاض على ما تم خلال السنوات الخمس الماضية. وقد يكون هؤلاء احد العوامل المعوقة في حركة التعريب، ولكن حرص القيادة السياسية والمخلصين من أبناء الوطن على التعريب ستفوت على هؤلاء

(١) تنظر في كتاب مؤتمر تعريب التعليم العالي ص ١٩.

المتربصين الفرص، وتقضي على احلامهم باعادة العراق الى ما كان عليه في عهد التخلف والتبعية الفكرية.

٣ - المتابعة الجادة والعمل الدائب لمعرفة كل خطوة جديدة، والاهتمام بمراكز التعريب في الجامعات، ودعم جهود العاملين فيها، وان أي توقف عن ذلك يؤدي الى تعطيل العملية او الرجوع الى ما كان عليه الحال قبل التعريب. ولن تثمر أية خطوة ما لم تتبعها خطوات، ولن تستقر حال إن لم تكن قواعدها سليمة ثابتة. وحركة التعريب التي مرّت بمراحل مختلفة قبل أن تتحقق واقعا ملموسا، سترسخ حين تجد من يحرص عليها ويمهد لها السبيل. وقد مرّت جميع الأمم والأقطار بمثل ما نمرّ به اليوم، واستطاعت بجهود ابنائها المخلصين والمؤمنين بمصيرهم الوطني والقومي أن تفرض لغاتها القومية او الوطنية على التعليم الجامعي، وان تسير به سيرا حثيثا نحو النضج والاكتمال. وكانت كثير من الاقطار تعلم بغير لغاتها القومية أو الوطنية حينما كانت تحت الاستعمار او التبعية الفكرية، واستطاعت بعد سنوات قليلة من العمل المتواصل والايمان الصادق أن تفرض لغاتها على معاهد العلم والادارة وشؤون الحياة العامة، وبدأت تلحق بركب الحضارة وتبدع مثلما أبدع غيرها من أمم الارض التي كان للقائنها سلطان. والعراق وقد تحرر من الاستعمار السياسي والاقتصادي، ومن التبعية الفكرية، يسير في طريق الحرية ويفتح سبل الخير، ويفرض لغته القومية واراادته القوية ليظل كريما ابيا بين الأمم والشعوب، وما حركة التعريب التي بدأها منذ خمس سنوات إلا معلّم من معالم التحرر والانعقاد.

٤ - عقد الندوات والمؤتمرات العلمية وتدارس حركة التعريب ودفعها الى الامام، وتقديم الحلول لما يعترضها من صعاب ومعوقات، وتشجيع الدراسات العلمية الاصلية، وعرض المصطلحات الجديدة، وما ظهر

في الدول الأجنبية من دراسات وبحوث، والتنبه الى الأصيل منها
ليترجم الى العربية ويكون بين ايدي الدارسين والباحثين. وتكون وزارة
التعليم العالي والبحث العلمي مسؤولة عن مثل هذه الندوات
والمؤتمرات، وتنفيذ ما ينتهي اليه المؤتمرون من توصيات تنفع في تقدم
عملية التعريب. وطبيعة مثل هذه اللقاءات تقتضي المتابعة والتنفيذ
لأنها تتصل بحركة علمية مستمرة لا تحتمل التريث والتأجيل والانتظار.

٥ - الاهتمام بالكتاب العلمي وطبعه طبعاً متقناً وتقديمه لطلبة الجامعات
والدارسين، ويكون الكتاب المقرر مؤلفاً وفق المناهج التي ترسم
للجامعات. اما الكتب المترجمة فتكون مساعدة يرجع اليها الطلبة
والاساتذة للاستشارة بها والاطلاع على أحدث النظريات والمخترعات
العلمية. وينبغي أن يعاد النظر في الكتاب المؤلف كل خمس سنوات،
ليحذف منه ما ثبت بطلانه ويدخل فيه ما استجد من نظريات ومعارف
جديدة. أما الكتاب المترجم فلا يعاد طبعه إلا إذا كانت الحاجة ماسة
اليه، وظل محتفظاً بأسسه العلمية وفائدته العملية.

٦ - الاهتمام بالبحث العلمي وتشجيع الباحثين ونشر نتاجهم، وتشجيع
المترجمين وتقديم المساعدة لهم. وقد سارت جامعات القطر سيرة
حسنة في هذا الجانب، وساعدت كثيراً من الباحثين والمترجمين
ونشرت نتاج بعضهم، ولكن ذلك كله تعوزه الجدية في كثير من
الأحيان، والفهم التام لما تؤديه حركة الترجمة والتأليف من نفع للأمة
والوطن.

٧ - الاهتمام بالنشرات العلمية واصدار المجلات باللغة العربية، وترجمة
الأصيل من البحوث المنشورة في المجلات الأجنبية لتكون في متناول
ايدي الباحثين. وقد سهلت الترجمة الآلية نقل العلوم من اللغات

المختلفة وحلّ الرموز الكثيرة، مما دفع حركة العلم الى الامام وجعل الشعوب تتقارب، ويرفد بعضها بعضا بكل جديد.

٨ - العناية باللغات الأجنبية، ويتم ذلك بتدريس مادة علمية واحدة بلغة أجنبية كل سنة؛ لان تدريس اللغة الاجنبية لا يثمر اذا بقي مرتبطاً بالاسلوب التقليدي في الجامعات. وقد احسنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي حينما اقرت ذلك في الاقسام العلمية وطبقته في مناهجها السنوية.

٩ - تهيئة المعاجم اللغوية والعلمية المتخصصة ووضعها بين ايدي الدارسين والباحثين، فما يزال كثير منهم يجهلها او لا يستطيع ان يحصل عليها على الرغم من كثرتها وتدفعها في السنوات الاخيرة. وينبغي ان تُعتمد المعاجم الدقيقة حرصاً على المستوى العلمي وتوحيداً لجهود المؤلفين والمترجمين.

١٠ - توحيد المصطلحات العلمية ومناهج البحث والترجمة لثلا يصدر الدارسون والباحثون والمترجمون عن منابع مختلفة تضع فيها حركة التعريب وتصبح بعض الكتب والبحوث أغازاً لا يحلها إلا أصحابها من المؤلفين والمترجمين.

تلك بعض الأسس العامة التي تخدم التعريب^(١)، ولكن تنفيذها لا يتم إلا بمؤسسات كبيرة تشرف عليها وتقوم بمتابعتها، وأهم تلك المؤسسات:

١ - مؤسسة التعريب، وتكون مستقلة عن الجامعات وترتبط بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، او بمجلس الوزراء، او برئاسة الجمهورية لتكون قادرة على التخطيط والاشراف على التنفيذ. وتضم هذه المؤسسة كثيراً من الأقسام التي تخدم التعريب تخطيطاً وترجمة وتالياً وتنفيذاً،

(١) ينظر دعوة الى تعريب العلوم ص ٤٥ وما بعدها.

وتصدر عنها الكتب والمجلات والنشرات العلمية والكتب المنهجية المقررة والمساعدة، وتقوم بترجمة الكتب والبحوث العلمية المنشورة في المجلات الأجنبية، مستعينة بأساتذة الجامعات ومن تجد فيهم القدرة على ترجمة العلوم.

إن إناطة مثل هذه الأعمال بالمؤسسة يؤدي الى توحيد الجهود والتنسيق ومتابعة التنفيذ ومعرفة ما يعترى عملية التعريب من مشاكل وصعاب لتوكل دراستها الى المختصين. وقد أدى توزيع مثل هذه المهام الى عرقلة التعريب والابطاء فيه والتداخل في كثير من المسؤوليات العلمية والادارية.

٢ - المجمع العلمي العراقي، ودوره في التعريب كبير، وقد بدأ مسيرته بالمصطلحات العلمية وتوحيدها ولكنه لا يزال بعيداً عن التعريب بمعناه الذي يسعى الى تحقيقه القطر العراقي، فهو مثلاً لم يعقد مؤتمرات وندوات لهذا الغرض، ولم يساهم في تأليف الكتب العلمية او ترجمتها كما فعل مجمع اللغة العربية الاردني الذي قاد حركة التعريب في جامعتي عمان واربد في الاردن، وأخذ يضع المصطلحات ويؤلف الكتب العلمية او يترجمها. وقد أصدر كثيراً منها على الرغم من الزمن القصير الذي مرّ على تأسيسه.

إن المجمع العلمي العراقي ليس لغوياً، وان كان الاهتمام باللغة من مهامه، ولكنه مجمع علمي يهتم بكل فروع المعرفة والعلم ويسعى الى تقدمها والنهوض بها. وقد جاء في المادة الثانية من قانونه رقم (١٦٣) لسنة ١٩٧٨ ان اول اغراضه: «النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي والادبي» ومنها «نشر البحوث وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب والفنون». وهذه من المهام الكبيرة التي ينبغي ان يضطلع بها المجمع العلمي العراقي ليساهم هو ووزارة

التعليم العالي في هذه الحركة القومية المثمرة ذات العطاء الدائم، وهي حركة التعريب في العراق.

٣ - الجامعات، وينحصر دورها في تهيئة الاساتذة القادرين على التأليف والترجمة وتقديم العون العلمي لمؤسسة التعريب والمجمع العلمي العراقي.

تلك نظرة في تعريب التعليم العالي في العراق الذي كان من منجزات ثورة تموز ١٩٦٨، وقد تجلى فيها:

١ - ان اللغة العربية كادت تحتضر وتموت في أواخر العهد العثماني، ولولا النهضة الحديثة والوعي القومي والشعور الوطني لحلت مكانها لغة أجنبية مفروضة.

٢ - إن التعليم كان قبل العهد الفيصلي باللغة التركية، وقد بدأت دوائر الدولة والمؤسسات والتعليم الابتدائي والثانوي تسفر عن وجهها العربي سنة بعد سنة.

٣ - جرت عدة محاولات لتعريب التعليم العالي وكان الوطنيون يأملون أن يتم ذلك في عام ١٩٥٨ ولكن الاتجاه الذي ساد القطر في تلك الأيام أحر عمليّة التعريب.

٤ - إن القرار السياسي الذي أصدره مجلس قيادة الثورة كان نقطة البدء في التعريب، ولولا ذلك لظل التعريب بعيداً عن التنفيذ.

٥ - إن عملية التعريب خطت خطوات واسعة خلال السنوات الخمس الماضية، وكانت أهم ثمراتها:

- التدريس والمناقشات والامتحانات باللغة العربية في جامعات

القطر.

ب - عقد مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي ببغداد وفي شهر آذار
سنة ١٩٧٨ .

ج - البدء بتأليف الكتب العلمية او ترجمتها، وقد صدر عدد كبير منه
في حقول العلم المختلفة .

ومهما يكن من أمر فان حركة التعريب في العراق سائرة في طريقها
على الرغم من الصعاب والمشاكل التي تعترضها . واذا كانت الجامعات ما
تزال في بداية طريق التعريب، فان الايمان بلغة القرآن والحرص على هوية
الامة والوطن كفيلا بدفع هذه العملية الى الامام، وتجاوز كل ما يعترضها
من صعاب او ما يثيره الحاقدون على الامة العربية ورسالتها الخالدة،
وستصبح العربية لغة العلم في الوطن العربي بعد ان تخطو الاقطار الاخرى
مثل خطوة القطر العراقي، الذي اعاد الى اللغة العربية مكانتها في ظل ثورته
المباركة المظفرة .

المصادر

لم تكن المصادر كثيرة لان البحث يعتمد على تجربة معاشة، وكانت الممارسة والمشاهدة والواقع أساس التصور العلمي الذي اقيم البحث عليه. ولكن هناك بعض الاشارات الى المصادر، يراد بها الاستزادة والوقوف على الوثائق المهمة في هذا المضمار. وهذه المصادر القليلة هي:

- ١ - تقدم التعليم العالي في العراق، حسن الدجيلي، بغداد، ١٩٦٣.
- ٢ - حركة التعريب في العراق، الدكتور أحمد مطلوب.
- ٣ - خلاصة التشريعات والتعليمات والقرارات والكتب والاوامر الوزارية الصادر حول تشجيع وتعضيد البحوث والكتب التي تؤلف باللغة العربية أو تترجم اليها. أصدرتها بالآلة الكاتبة سنة ١٩٧٨م المديرية العامة لمركز التعريب في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ببغداد، وفيها مقدمة للدكتور جميل الملايكة.
- ٤ - دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات. الدكتور احمد مطلوب بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٥ - لغتنا والحياة. الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٦ - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٧ - مذكراتي في العراق، ساطع الحصري، بيروت ج ١، سنة ١٩٦٧ وج ٢ سنة ١٩٦٨م.
- ٨ - النقد الأدبي الحديث في العراق، الدكتور احمد مطلوب، القاهرة، ١٩٦٨م.

قراءات في حرف الوصل بين القدماء والمحدثين

للدكتور علي توفيق الحمد

تنويه:

هذا بحث خصّصته لحرف الوصل في اللغة العربية، ويأدى بدءاً لا

بد من توضيح نقطتين:

أولاهما: اختياري مصطلح (حرف) في عنوان البحث، إذ لم أشأ فرض المصطلح الذي ارتضيته بعد قراءات متأنية ومناقشة، فقد أطلق عليه بعض القدماء مصطلح «ألف الوصل»، بينما اختار آخرون منهم مصطلح «همزة الوصل»، ورفض بعض المحدثين قبول أي من المصطلحين.

وآثرت مصطلح «حرف» بدلاً من «صوت» أتباعاً للقدماء، بعد الاقتناع بدقته ودلالته. ومن معاني «الحرف» في العربية: «الرمز الكتابي، والصوت، والمقطع، والكلمة، والجملة، والعبارة...»^(١)، وقد يعني الوجه من اللغة أو القراءة القرآنية^(٢).

وقد فرّق ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) في مدخل كتابه (سرّ صناعة الإعراب) بين الصوت والحرف، فقال: «اعلم أنّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً^(٣)». ثم يذكر في

(١) د. كمال محمد بشر / دراسات في علم اللغة - القسم الأول - : ٩٥ هـ ٣.

(٢) ابن الجزري / النشر في القراءات العشر: ٢٣/١-٢٤.

(٣) ابن جنّي / سرّ صناعة الإعراب: ٦/١.

موضع آخر «أن الصوت عام غير مختص، يقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار^(٤)». أما الحرف: «فحد منقطع الصوت وغايته وطرفه . . . ، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواح^(٥)».

بعد هذا التفريق بين الصوت والحرف، وقوله إن الصوت عام غير مختص، وأنه قد يصدر عن جماد أو حيوان أو إنسان، لكن الحرف أخص منه، ارتضى ابن جنى إطلاق مصطلح «الحرف» في كتابه.

ثم نقراً تفريقاً بارعاً آخر بين الحرف والصوت للشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، إذ قال: «أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان^(٦)»، أما الحرف: «فهية للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع^(٧)»، فنفس التموج يفعل الصوت، أما حال المتموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف^(٨).

بعد هذا التحديد والوصف، نجد ابن سينا قد اختار مصطلح الحروف لا الأصوات في رسالته عن علم وفهم لا اعتباطاً أو تعميماً، فوسم رسالته باسم (أسباب حدوث الحروف).

والذي يهمنا في دراسة الصوت هيئته المميّزة له عن صوت آخر، تلك الهيئة التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه، مما يؤكد أن

(٤) نفسه ١١/١.

(٥) نفسه ١٦/١.

(٦) ابن سينا / رسالة أسباب حدوث الحروف: ٥٦.

(٧) نفسه ٦٠، ويقول ابن يعيش: «والحرف إنما هو صوت مقسوع في مخرج معلوم».

(شرح المفصل ١٠/١٢٤).

(٨) نفسه ٥٩ - ٦٠.

مصطلح «الحرف» الذي ارتضاه القدماء لم يكن غائماً ولا قاصراً، بل كان - في اعتقادي - دقيقاً دالاً، وأصدق تعبيراً عن المقصود من المصطلح الحديث.

وتأسيساً على ما تقدم، فلا أعتقد أن ما ذكره د. تمام حسان «من أن الحرف رمز للصوت وصورة له، وأنه رمز كتابي للصوت^(٩)». هو الذي قصده اللغويون القدماء فقط، بعدما عرضنا رأياً لاثنين منهم.

وأرى أن إصرار اللغويين العرب المحدثين على استخدام مصطلح «صوت، وعلم الأصوات» وتخطئتهم لمصطلح «الحرف» فيه تجاهل للمصطلح العربي الأصيل، واتباع للدراسات الغربية، وربما، حيد عن الدقة.

الثانية: سبب تسمية هذا الحرف (. . . الوصل)، إذ ورد فيه أقوال:

١ - قيل إنه سمي كذلك من باب المجاز لعلاقة الضدية، لأنه يثبت - ينطق - ابتداءً، ويسقط وصلأً، فكان حقه أن يسمى (. . . ابتداءً).

٢ - وقيل: لا مجاز، بل سمي بذلك لوصول ما بعده بما قبله عند سقوطه^(١٠).

٣ - وقال البصريون: سمي بذلك لوصول المتكلم به الى النطق بالساكن^(١١).

(٩) د. تمام حسان / مناهج البحث في اللغة: ٨.

(١٠) د. كمال محمد بشر / دراسات في علم اللغة - القسم الأول - : ١٣٧-١٣٨.

(١١) سيبويه / الكتاب: ٤/ ١٤٤، الأشموني / شرح ألفية ابن مالك: ٤/ ٢٧٣.

٤ - وذهب الكوفيون إلى أن سبب التسمية أنه يسقط في درج الكلام، فيصل المتكلم ما قبله بما بعده، وقيل سمي كذلك مع سقوطه أثناء الكلام على الاتساع^(١٢).

وأيًا كان موقف اللغويين المحدثين من سبب هذه التسمية، فإنني أوردت هذه الآراء لتوضيح معنى مصطلح الوصل عند القدماء، لنكون على بينة من القضية التي نتناولها في البحث والدراسة.

الدافع إلى البحث:

لعل ما دفعني إلى هذا البحث ما وجدته في رسالة^(١٣) لأبي بكر ابن الأنباري اللغوي الكوفي (ت ٣٢٨هـ)، إذ يطلق مصطلح (الألفات) على الهمزات بكل أنواعها: الأصل، والقطع، والاستفهام والنداء وغيرها، وهي كلها همزات محققة شديدة انفجارية، علاوة على (حرف) الوصل، الذي أراه يختلف صوتياً عن الهمزات المذكورة.

عدت إلى بعض الكتب اللغوية القديمة لتحقيق المسألة، فوجدت بعضها يطلق على (حرف) الوصل همزة، وبعضها الآخر يطلق عليه ألفاً، علماً بأن أصحاب تلك المؤلفات ميزوا بين الحرفين، كما أكدت الدراسات اللغوية الصوتية الحديثة افتراقهما من حيث الصفة والمخرج، هذا الاختلاف في إطلاق المصطلح يفرض التساؤلات الآتية:

(١٢) أبو بكر ابن الأنباري / إيضاح الوقف والابتداء في كلام الله عز وجل: ١/١٥٥، والأشموني / شرح ألفيه ابن مالك ٤/٢٧٣، ود. عبدالرحمن السيد/ مدرسة البصرة النحوية - نشأتها وتطورها - (ط١).

وانظر في ذلك رأي المستشرق برجشتراسر / التطور النحوي للغة العربية: ٢٩.

(١٣) هي كتاب «الألفات» كتاب مختصر، حققته، وقدمت إليه، وعلقت على قضاياها ببحث سينشر في مجلة «أبحاث اليرموك» في موعد لاحق.

— هل كان هذا عن إدراك واعٍ لصفة الحرفين ومخرجيهما، أو أنه كان تسمّحاً وتجاوزاً وعلى الاتساع؟ وما المبرّر لهذا التسمّح؟ أو أنه كان شيئاً آخر غير هذه جميعاً؟؟

وأكثر ما تثور هذه التساؤلات عند قراءة بحوثهم حول (حرف) الوصل و(حرف) القطع.

استلزمت الإجابة عن هذه التساؤلات العودة الى كتب اللغويين القدماء - أو معظمها - والتنقير فيها لعلّي أظفر بجواب شاف. واستمر البحث فشمّل النظر في كتب بعض اللغويين المحدثين الذين كتبوا بحثاً في الأصوات العربية.

خطوات البحث

اتّساقاً مع طبيعة البحث، كان لا بدّ من العودة الى أقدم كتاب لغوي عربيّ وصل إلينا، ذلكم هو كتاب (العين) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، إذ قدّم له مصنّفه ببحث في وصف الحروف العربية ومخارجها، وترتيبها على تلك المخارج أو المدارج.

فقد أحصى الحروف العربية، وربّتها حسب مخارجها مبتدئاً من أقصى الحلق، وفرق بين الألف اللينة والهمزة، وعدّهما حرفين مختلفين مستقلّين^(١٤)، لكنه وضعهما - مع الواو والياء - بعد الحروف الشفوية، أي أنه وزع الخمسة والعشرين حرفاً الصحاح على مدارج النطق، وأبقى أحرفاً أربعة، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، فأخرج - بذلك - الهمزة من الحروف الصحاح، وسمّاه حروفاً جُوفاً، وقال: «وسميت جُوفاً لأنها تخرج

(١٤) الخليل بن أحمد / العين: ٤٨/١.

من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف^(١٥)». وقال في موضع آخر: «هي في حيز واحد، لأنها لا يتعلّق بها شيء^(١٦)». وأضاف في موضع ثالث فقال: «الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه^(١٧)».

ولكنه وصف لنا الهمزة ومخرجها في موضع آخر في دقة وحقق، بعدما ذكر أنّ مخرج العين والحاء والهاء والخاء والعين هو الحلق، فقال: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح^(١٨)».

هذه نقولُ أوردتها - عامداً - من كلام الخليل في مقدمته عن الحروف العربية، وقد عاودت قراءتها مرات، إذ إنّ ظاهرها يشير إلى الخلط في كلامه عن الهمزة، فقد عدّها مع الألف والواو والياء من الأحرف الجوف، وذكر أنها في الهواء، وليس لها حيز تنسب إليه، أما في النقل الأخير، فكلامه واضح لا لبس فيه، فقد صرّح أنّ مخرجها أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، وعندني أنه مصيب في هذا، ولم يخالف - تقريباً - ما أثبتته المحدثون في بحثهم ومخابرتهم في قولهم «إنّ الهمزة صوت حنجري مزماري^(١٩)»، إذ إنّ أقصى الحلق هو لسان المزمار^(٢٠)، ومحاذٍ للحنجرة.

(١٥) نفسه ٥٧/١، ٥٨.

(١٦) نفسه ٥٨/١.

(١٧) نفسه ٥٨/١.

(١٨) نفسه ٥٢/١. مهتوتة: منطوقة نطقاً واضحاً، أي:

بتكلم بها - اللسان / هتّ).

وذكروا أنّ المهتوت: فيه ضعف وخفاء - أيضاً -، وذكر ابن جنّي منه الهاء (سرّ صناعة الاعراب

٧٤)؛ ولا أرى هذا المعنى هو المقصود المناسب للهمزة.

(١٩) د. أحمد مختار عمر / دراسة الصوت اللغوي ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢٠) المرجع السابق ٨٤، ٨٨-٨٩، ود. كمال محمد بشر/ علم اللغة العام - الأصوات ٦٦-٦٧.

وهذا النقل الأخير عن الخليل يستحق التريث والتدبر، فهو قد عدّ الهمزة من أقصى الحلق حال كونها مهتوتة مضغوطة، أي محققة منطوقة، وأفهم من قوله «مضغوطة»: شديدة، والضغط - أو الشدة - يولد انفجاراً، لهذا أراه سبق المحدثين، معتمداً على الملاحظة الحسية فقط، سبقهم في قولهم: إن الهمزة صوت شديد انفجاري^(٢١).

وأفهم من قوله: «إذا رُفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»، أنه أدرك أنّ الهمزة، إن كانت محققة فمخرجها من أقصى الحلق كما ذكرنا، وأنها قد يُرْفِّه عنها (تُسَهِّل) فتلين، فإن لانت أصبحت حرف مدّ ولين (ياء أو واو أو ألفاً)^(٢٢)، وخرجت - في حالتها الجديدة - عن طريقة الحروف الصحاح.

ويؤيد هذا الفهم ما أورده الميداني (ت ٥١٨هـ) إذ عدّ حروف العلة - وهي الألف والواو والياء، ويقال لها أيضاً حروف المدّ واللين، فقال: «وإنما جعل الهمزة في حروف الاعتلال لأنها تلين فتلحق بحروف العلة، نحو: سأل وقرأ، في تخفيف سأل وقرأ»^(٢٣).

وقال ابن منظور: «والهمزة كالحرف الصحيح، غير أنّ لها حالات من التليين تعتلّ، فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف، وليست من الجوف، إنما هي حلقية في أقصى الفم، ولها ألقاب كالألقاب الحروف الجوف»^(٢٤).

(٢١) د. أحمد مختار عمر / دراسة الصوت اللغوي ٢٧٦.

(٢٢) د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي / مقدمة كتاب العين: ١٧.

(٢٣) الميداني / نزعة الطرف في علم الصرف: ١٢.

(٢٤) ابن منظور / لسان العرب: المقدمة (حرف الهمزة).

فلعلني لا أجانب الصواب إن قلت: إنَّ الخليل ميز بين الحروف الصالح الصامتة وحروف المدّ واللين - الصائتة -، وانه حينما عدّ الهمزة مع الألف والواو والياء في النقول الأولى، إنما عنى الهمزة المرفّهة اللينة - على حدّ اصطلاحه -، أما الهمزة المهتوتة المضغوطة فعنده حرف صحيح^(٢٥) شديد (انفجاريّ) مخرجه من أقصى الحلق، متميزة عن الألف والواو والياء اللينة، بعيدة ومختلفة عنها.

وقد يفسّر هذا التمييز بين الهمزة المهتوتة المضغوطة والهمزة المرفّهة سرّاً إبدال الهمزة من الهاء والعين أحياناً، لقرب مخرجها - مضغوطة - من مخرج هذين الحرفين، وسرّاً إبدالها - مرفّهة - من الألف والياء والواو أحياناً أخرى^(٢٦)، لاتحادها مع هذه الحروف في الحيز والمخرج. فالهمزة المبدلة من الهاء والعين هي غير الهمزة المبدلة من الألف والياء والواو، فالأولى صحيحة (صامتة) مضغوطة من أقصى الحلق (حنجرية زمزارية)، والثانية لينة هوائية جوفية.

وتأسيساً على ما تقدم، فإنّ كلام الخليل عن الهمزة، ووضعه إياها في موضعين متمايزين كلام علميّ دقيق، إضافة الى كونه رائداً في ميدانه^(٢٧). أما ما يعنينا في هذا البحث - حصراً -، وهو الكلام عن (حرف) الوصل، فقد سمّاه الخليل ألفاً^(٢٨)، ولا بدّ أن نقرر - أيضاً - أنّ الرجل كان

(٢٥) نلاحظ أنّ الخليل قال عنها: حرف صحيح، ولم يقل: كالحرف الصحيح كما ذكر ابن منظور، فقد كان الخليل أدقّ وأصوب.

(٢٦) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ٨٢.

(٢٧) لعلنيّ أطلت في عرض آراء الخليل والتعليق عليها، فلم أقصد الخروج عن موضوع البحث، ولكننيّ أبحث لنفسي هذه الإطالة، لأنّ الرجل رائد في مجال الدراسات الصوتية العربية، ولأنّ التعرف على قيمة الهمزة الصوتية - محقّقة ومرفّهة - نهماً في بحثنا.

(٢٨) الخليل بن أحمد / العين: ٤٩/١.

رائداً في فهم وظيفة هذا الحرف الصوتية، فهو يقول: «والألف التي في اسحنكك واقشعرّ واسحنفر واسبكر»^(٢٩) ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسليماً للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل^(٣٠).

وتكاد بحوث اللغويين العرب اللاحقين لا تختلف - كثيراً - عما توصل إليه الخليل وقرّره، إلا بقدر من التوضيح والتفضيل حيناً، أو الخلط والتشويه حيناً آخر^(٣١).

فقد فرّق سيويه (ت ١٨٠هـ) بين الهمزة والألف، ولم يخلط بينهما، فعَدَّ من المجهور: الهمزة والألف . . . ، وعَدَّ الهمزة حرفاً مجهوراً شديداً^(٣٢)، بينما عَدَّ الألف حرفاً هاوياً مجهوراً^(٣٣)، وذكر أنها تبدل ألفاً، فقال: «وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة، فأردت أن تخفّف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في رأس وبأس وقرأت: رأس وبأس وقرأت^(٣٤)». وهذا يوافق ما قرّره الخليل في كتاب العين، وذكرناه في موضع سابق.

(٢٩) اسحنكك (الليل): اشتدت ظلمته (اللسان / سحك).

اسحنفر: مضى، وأسرع، وكثر (اللسان / سحفر).

اسبكر: طال وامتدّ، واضطجع، أو جرى (اللسان / سبكر).

(٣٠) الخليل بن أحمد / العين ١ / ٤٩.

(٣١) الأزهرى / تهذيب اللغة ١ / ٤١، ٤٤، وانظر الهامش (٢٥) السابق.

(٣٢) سيويه / الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٣٣) نفسه ٤ / ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٣٤) نفسه ٣ / ٥٤١، ٥٤٣.

وقال في موضع آخر: «ومن العرب ناس يدخلون بين (ألف) الاستفهام وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا» (٣٥)، واستشهد بقول ذي الرمة:

فيا ظبية السوعساء بين جلاجلٍ وبين النقا أنتِ أم أمُّ سالمٍ

وذكر أيضاً أن الهمزة بُعد مخرجها، وهي نبرة في الصدر تُخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً (٣٦)، وأضاف: «فأما الألف فلا تغيّر على كل حال، لأنها إن حرّكت صارت غير ألف» (٣٧)، يعني همزة.

وقال أيضاً: «وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف، وهي إحدى الثلاث (الألف والواو والياء)، والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها» (٣٨)، وعندي أن الهمزة المقصودة القريبة من الألف هي اللينة المسهّلة.

هذه النصوص تؤكد أن سبويه تنبّه للفرق بين الحرفين، وإلا فكيف يتم إبدال حرف بنفسه، وسجل أن الألف أقرب الحروف إلى الهمزة (اللينة).

ولكن ما يبعث على الحيرة والقلق أنه أطلق على الهمزة ألفاً، حينما ذكر (ألف) الاستفهام قبل عدة أسطر. وقد أطلق الألف على (حرف) الوصل في مواضع كثيرة أخرى (٣٩)، وربما كان ذلك من باب التسمّح والتجاوز، لما أحسّه من قرب بين الحرفين.

(٣٥) نفسه ٣/٥٥١.

(٣٦) نفسه ٣/٥٤٨.

(٣٧) نفسه ٣/٥٤٨.

(٣٨) نفسه ٣/٥٤٤-٥٤٥.

(٣٩) نفسه ٣/١١٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤: ١٤٤-١٥٥، ٤٤٣-٤٤٥ وغيرها.

واستخدم أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) مصطلح الألف والهمزة، في غير ما موضع^(٤٠)، منها قوله: «إلا أن توصل (بألف) الاستفهام فتترك مخففة، لا يحقق فيها الهمزة إلا ناس من العرب قليل». ونراه قد خلط أيضاً في إطلاق مصطلح الألف على الهمزة، وهو يطلق الألف على (حرف) الوصل أيضاً^(٤١).

وإذا ما انتقلنا إلى المبرد (ت ٢٨٥هـ)، رأيناه لا يختلف عن سابقه في إطلاق الألف على الهمزة إلا قليلاً، فقد عقد باباً جاء فيه: «هذا باب معرفة ألفات القطع وألفات الوصل، وهنّ همزات في أوائل الأسماء والأفعال والحروف^(٤٢)».

ويقول في موضع لاحق: «اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدلّ عليها في الخطّ بالعلامات، فأما في المشافهة فموجودة^(٤٣)». فهو في هذا النصّ ذكر ماله صور أو رموز مكتوبة، ولكنه في الوقت نفسه تنبّه إلى القيمة الصوتية المتميزة لبقية الحروف التي لا صور تُكتب لها، ومنها الهمزة.

ويؤكد فصله بين الهمزة والألف قوله: «فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة، وهي أبعد الحروف، ويلها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك^(٤٤)».

(٤٠) الأخفش / معاني القرآن ٨٣ وغيرها كثير.

(٤١) نفسه.

(٤٢) المبرد / المقتضب ١/ ٨٠.

(٤٣) المقتضب ١/ ١٩٢.

(٤٤) نفسه ١/ ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٧.

وقال في موضع آخر: «فإن قال قائل: فهلاً ألقوا على الألف حركة ما بعدها إذ سکنوه؟ قيل: لأنَّ الألف مدَّة، فما فيها عوض عن الحركة على ما تقدم به قولنا من احتمالها. . . . ولو ألقيت عليها حركة لزمك أن تهمز، لأنَّ الألف متى تحرکت صارت همزة (٤٥)».

من هذه النصوص التي نقلناها عن المبرد، يظهر تمييزه - من الناحية الصوتية - بين الألف والهمزة، إذ قال: إنَّ الألف مدَّة، وأنَّ هذه الألف متى تحرکت صارت همزة، أي: حرفاً جديداً مخالفاً صوتياً أساسياً وهو المدَّة ومع ذلك فهو يطلق على (حرف) الوصل ألفاً، وإن كان قد ذكر - أحياناً - أنها همزة في أوائل الأسماء والأفعال والحروف، فهو يراوح بين إطلاق الهمزة والألف في التعبير عن (حرف) الوصل، ولكنه يستخدم مصطلح الألف أكثر، فهو يقول: «هذا باب ألفات الوصل والقطع وهنَّ همزات على الحقيقة؛ وأما ألف الوصل فإنما هي همزة. . . . فزيدت هذه الهمزة ليوصل بها إلى الكلام بعدها» (٤٦). وبذا، فقد بدت عنده إرهاصات لمن تلاه، حينما قال: وهنَّ همزات على الحقيقة.

وقد تعرّض لهذه القضية - قضية (حرف) الوصل: أهمزة هو أم ألف - اللغوي الكوفي أبو بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، إذ قال: «فإن قال قائل: أي شيء تُلقب ألف الوصل، أتلقبها ألفاً أم همزة؟ فقل: اختلف النحويون في هذا، فقال الكسائي والفرّاء وسيبويه: هي ألف وصل، والحجّة لهم في هذا أن صورتها صورة الألف، فقلبت ألفاً لهذا المعنى» (٤٧).

(٤٥) نفسه ٢٠٣/١.

(٤٦) المقتضب ٨٧/٢.

(٤٧) أبو بكر ابن الأنباري / كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب

الله عز وجل: ١٥٤-١٥٥.

وكتابه المختصر (الألفات) ٢ ظ، ولكنه لم يذكر فيه اسم الكسائي.

فمن هذا النصّ نتبيّن أنّ ابن الأنباري لَقِبَ (حرف) الوصل ألفاً اتّباعاً للكسائي والفراء وسيبويه . أما الحجّة لهم وله وللخليل قبلهم في ذلك ، فلا أوافقهم عليها ، وسأذكر الحجّة التي أراها في ذلك في موضعها في نهاية البحث .

وأورد في موضع آخر: «وقال الأخفش : هي ألف ساكنة لا حركة لها، (حركوها بحركة الحرف الذي يلي ما بعدها)، قال أبو بكر: وهذا غلط، لأنها إذا كانت عنده ساكنة لا حركة لها فمحال أن يدخلها الابتداء، لأنّ العرب لا تبدئ بساكن»^(٤٨) . فأبو بكر في ردّه على الأخفش محقّ، لأنّ (حرف) الوصل اجتلب للتخلص من البدء بساكن في أول الكلمة، فما الفائدة من جلبه ساكناً إذن؟

وأضاف أيضاً: «قال قطرب (ت ٢٠٦هـ): هي همزة كثرت فتركت، لأنّ الألف لا تحتل الحركة، قال أبو بكر: وهذا غلط أيضاً، لأنها لو كانت همزة لثبتت في الابتداء والوصل»^(٤٩) .

يتضح لنا مما نقلناه عن أبي بكر ابن الأنباري أن قضية تسمية (حرف) الوصل كانت قضية خلافية، وأنها شدّت اهتمام هذا اللغوي - وربما - غيره .

ويفرّق الزّجاجي (ت ٣٤٠هـ)^(٥٠) أيضاً بين الهمزة والألف اللينة^(٥١)، ويطلق مصطلح الألف فقط على (حرف) الوصل والقطع^(٥٢)، وهو في ذلك كلّه يتابع السابقين .

(٤٨) نفسه / كتاب إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٥٥ . وما بين الهلالين باختصار وتصرف .

(٤٩) نفسه / كتاب إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٥٦ . وكتاب الألفات (٢ظ) ، مع خلاف يسير ، ونسب فيه ردّه على قطرب لأبي العباس ثعلب .

(٥٠) على احد الاقوال .

(٥١) الزّجاجي / كتاب الجمل في النحو ٣٩٩-٤٠٠ .

(٥٢) نفسه ٢٥٧-٢٥٩ .

وإذا ما نظرنا في مصنفات ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) وجدناه أكثر دقة ونضجاً في إطلاق مصطلحاته، إذ فرّق بين الهمزة والألف، فذكر مثلاً: أنّ أداة التعريف اللّام فقط، زيد عليها همزة الوصل^(٥٣).

وقد أجاد حين قال: «اعلم أنّ الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة^(٥٤)»، أي أنّ تلك الألف رمز وصورة فقط، أمّا الصوت المنطوق فهيمزة.

ويقول: «إنّ الحروف الثلاثة اللينة المصوّتة هي الألف والياء والواو، وفيها امتداد ولين، إلّا أنّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، أن تقع بعدها: الهمزة أو الحرف المشدّد، أو أن يوقف عليها عند التذكّر. . . . ، وإنما تمكّن المدّ فيهنّ مع الهمز، أنّ الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه^(٥٥)».

وقد أصاب حينما فسّر سرّ قلب الألف همزة بقوله: «لأنه حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمّل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة^(٥٦)».

وحرص في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) على إطلاق مصطلح همزة على (حرف) الوصل، والتزم ذلك^(٥٧)، وهذا يعني أنه فرّق بين صوتي الهمزة والألف تفريقاً يدل على دقته، وصدق حسّه اللغوي في التمييز بين الحروف على أسس صوتية سليمة، فحرف الوصل عنده همزة لا ألف، ولم يخلط بينهما، لأنّ لكلّ منهما مخرجاً وصفة تميّزه عن الآخر.

(٥٣) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ١/ ١٣٠.

/ كتاب اللمع في العربية ٢٢٣.

(٥٤) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.

(٥٥) ابن جنّي / الخصائص ٣/ ١٢٤-١٢٥.

(٥٦) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ١/ ٨٢.

(٥٧) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٦-١٣٢.

وارتضى إطلاق مصطلح همزة على (حرف) الوصل في غير موضع، إذ يقول في كتاب آخر (وهو كتاب اللمع في العربية): «الألفات في أوائل الكلم على ضربين: همزة قطع وهمزة وصل»، والتزم استخدام مصطلح «همزة» في ما يزيد على عشرة مواضع، ولم يطلق مصطلح «ألف» إلا في عنوان الباب فقط (٥٨).

وفي ظني أنه أطلق مصطلح (ألفات الوصل والقطع) في عنوان الباب، لأنه لم يرد الخروج على القدماء في عناوين الأبواب وتسمياتها فقط، لكنه حينما بدأ بالشرح والعرض، التزم مصطلح الهمزة، الذي ارتضاه لقناعته بالقيمة الصوتية المتميزة لهذا الحرف. وإلا، فكيف نفسّر هذا التداخل أو التناقض؟ ولا أرى ابن جنّي أو لغويًا مثله يقع في تناقض كهذا.

وإذا ما انتقلنا إلى عالم آخر وهو ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، فإننا نجد أنفسنا أمام طبيب عالم لغويّ، يسوق كلاماً دقيقاً، يصدر عن وعي ومعرفة بالأعضاء وتشريحها ووظائفها، ففي رسالته (أسباب حدوث الحروف)، تحدّث في سبب حدوث الصوت، ثم في سبب حدوث الحروف، ثم عرض لنا فصلاً عن تشريح الحنجرة واللسان، وذكر أنّ الحنجرة مكوّنة من غضاريف ثلاثة (٥٩).

ففي الفصل الذي خصّصه للأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب فرّق بحذق ودقّة بين الهمزة والألف، إذ يقول: «أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قويّ من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة

(٥٨) ابن جنّي / كتاب اللمع ٢٢٠ وما بعدها.

(٥٩) ابن سينا / رسالة أسباب حدوث الحروف: ٦٤.

وانظر ما يقابل ذلك في الدراسات الحديثة:

د. أحمد مختار عمر / دراسة الصوت اللغوي: ٨٠، وانظر ما كتبه د. كمال محمد بشر عن دقة

ابن سينا في هذا المجال / كتاب دراسات في علم اللغة - القسم الأول: ١١٦-١١٨.

الطرجهالي الحاصر زماناً قليلاً لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً^(٦٠)». ووضح الطرجهالي بقوله: «إنه الغضروف الثالث من الحنجرة كَقَصْعَة^(٦١)».

ويقول في موضع لاحق عن سبب حدوث الألف اللينة - ويسمىها مصوِّتة -: «وأما الألف المصوِّتة وأختها الفتحة، فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم^(٦٢)».

فهو حينما تكلم عن سبب حدوث الهمزة ومخرجها، أوضح أنها تحدث من حفز قوي لكمية من الهواء من الحجاب وعضل الصدر، وحبسه زماناً قليلاً، ثم اندفاعه مضغوطاً، وهو ما وصف بالصوت الشديد الانفجاري، الحنجري (أو المزماري)، وهي بهذا الوصف تختلف اختلافاً واضحاً عن صوت الألف اللينة المصوِّتة؛ وشتان ما بين صوت يحدث من حفز قوي، وصوت يحدث عن إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم، ينتج الألف الصائتة. ومن يتدبر رسالة ابن سينا هذه، يقرّر أنها وثيقة علمية فسيولوجية لغوية، يحتاج مثلها إلى جهد وتعاون بين الطبيب واللغوي، لكنّ الرجل كان طبيباً ولغوياً في آن واحد.

وتابع اللاحقون سابقهم في الفصل بين الهمزة والألف، فأطلق ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) مصطلح همزة على (حرف) الوصل، والتزموه^(٦٣) أتباعاً لابن جنّي ومن وافقه. ونجد المالقي (ت ٧٠٢هـ) يعدّ الهمزة والألف في المعنى واحداً^(٦٤)، ولكنه أدرك الفرق بينهما، فقال: «إلا أنه إذا كان ساكناً مُدّ الصوت، ويسمى

(٦٠) نفسه: ٧٢.

(٦١) نفسه ٦٥، وانظر توضيح ذلك في كتاب د. كمال محمد بشر ١١٧-١١٨.

(٦٢) نفسه ٨٤.

(٦٣) ابن يعيش / شرح المفصل ١٠/٨-٢٩، ١٢٤، ١٢٦، ١٣١/٩، ١٣٨-١٣١ (متابعة للزمخشري). وابن

عصفور / المقرب ٢/٥، ٣٨، وابن مالك / تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٤٢، ٢٠٣.

(٦٤) سيبع ذلك في موضع لاحق، وسمّع على رأيه وناقشه.

ألفاً، ومخرجه إذ ذاك من وسط الحلق، وهو حرف هاوٍ. وإذا كان مقطعاً يسمى همزة، ومخرجها حينئذ من أول الصدر، وهذا هو الصحيح من أمرهما، وهو مذهب سيويه وأكثر المحققين من أئمة النحويين^(٦٥)».

ويتابع المالقي الكلام بقوله: «وزعم بعض المتقدمين - وهو الأخفش (الأوسط) ومن تابعه - أن الهمزة غير الألف، واستدل على ذلك باختلاف مخرجهما كما تقدم، ولا حجة فيه»^(٦٦).

وأقول: إن الحق في ما ذهب إليه الأخفش، وعلم الأصوات الحديث يؤيده، إذ هما صوتان متميزان، وعندني أن سيويه لم يعارضه أيضاً. ثم يضيف المالقي فيقول: «والدليل على أن الألف هي الهمزة شيان:

- أحدهما: أنا إذا ابتدأنا بالهمزة على أي صورة تحركت، من الضم أو الفتح أو الكسر، كتبناها ألفاً، لا خلاف بين جميعهم في ذلك.

- والثاني: أنا إذا نطقنا بحرف من حروف المعجم، فلا بد من النطق بأول حرف منه في أول لفظه، نحو: باء وتاء وجيم وحاء، إلى آخر حروف المعجم؛ ولما كنا نقول: ألف، فتكون الألف في أوله، علمنا أنه كسائر الحروف في ما ذكرنا. ولكن لما لم يمكن النطق بالألف في أول اللفظ ساكنة، حُرِّكتُ للابتداء بها فصارت همزة، وكان لها إذ ذاك مخرج غير مخرج الألف، وكانا في المعنى واحداً، ولذلك وضعها واضع حروف المعجم أول الحروف همزة، ووضعها مع اللام قبل الياء ألفاً^(٦٧)».

ولا بد من التريث ومناقشة دليلي المالقي؛ - أما الثاني: ففيه نصيب كبير من الصحة والصواب، ولا سيما في قوله «ولكن لما لم يمكن النطق

(٦٥) المالقي / رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٨-٩.

(٦٦) نفسه ٩.

(٦٧) نفسه ٩-١٠.

بالالف في أول اللفظ ساكنة حُرِكتْ للابتداء بها فصارت همزة؛ وأقول: ما دامت صارت همزة، إذن فهي همزة، ولا سيمًا أن واضع حروف المعجم تنبّه الى ذلك، فوضع الألف اللينة الممدودة غير المتحركة مع اللام قبل الياء، وفي ذلك تمييز لصوتيهما، ويدلّ هذا التمييز على أن الصوت الأول (الهمزة) ليس ألفاً، فلا أراهما، والحال هذه، في المعنى واحداً، وإلا كان في حروف المعجم هذه تكرير، وليس الأمر كذلك.

وقد جاء في كتاب سيويه: «أن الألف إن حُرِكتْ صارت غير ألف^(٦٨)»، فكيف يقول المالقي إنهما في المعنى واحد؟!!

ولعلّ ما أورده المالقي من أنهما في المعنى واحد، يجيز إطلاق مصطلح أيّ منهما على الآخر - في نظره -، لكنني أرى الدقة من ناحية القيمة الصوتية لا تحتتمل ذلك.

- وأما الدليل الأول: فقد احتكم فيه المالقي الى الكتابة، ونحن في دراسة اللغة لا نحتكم الى الصور والرموز المكتوبة ولا نعتبرها، بل نقيم دراستنا على الأصوات المنطوقة، فما أورده هنا فيه خلط في المنهج.

أما المرادي (ت ٧٤٩هـ) فقد كان موفقاً، إذ فصل بين الهمزة والألف، فذكر الهمزة في مطلع كتابه^(٦٩)، ولم يخلط بينها وبين الألف، ووضع الألف اللينة في موضع بعيد مستقل^(٧٠)، وقصر البحث تحتها على ألفات المد فقط، ولم يكتف بذلك، بل أتبعه بتنبيه واعٍ جاء فيه:

«إنما أخرتُ الألف الى هذا الموضع، لأن موضعها في ترتيب الحروف على الأسلوب المألوف بين الواو والياء (في آخر حروف المعجم)، والمراد هنا الألف اللينة، فلما قصدوا النطق بالألف، وهي ساكنة لا يمكن الابتداء بها، توصلوا الى النطق بها بإدخال اللام عليها. . . . فإن قلت: قد ذكرت

(٦٨) سيويه / الكتاب ٣/ ٥٤٨.

(٦٩) المرادي / الجنى الداني في حروف المعاني ٣٠.

(٧٠) نفسه ١٧٥.

الألف أول الحروف، قلت: المراد بالألف المذكورة أول الحروف الهمزة،
نصّ على ذلك الأئمة؛ وذلك متعيّن لثلاً يلزم تكرار حرف وإهمال
حرف...» (٧١).

وعندي أنّ المرادّي أصاب حينما فصل بينهما في الموضع والتعليق،
وكان حسّه سليماً في تفريقه بين الهمزة ومدّ الألف، وكان دقيقاً إذ قال: «أولّ
الحروف الهمزة، نصّ على ذلك الأئمة».

أمّا ابن هشام (ت ٧٦١هـ) فقد خلط بين المصطلحين، إذ أطلق على
الهمزة ألفاً في مواضع (٧٢)، وأطلق عليها همزة في مواضع أخرى (٧٣)، جرياً
على سنن الأئمة اللغويين أمثال سيويه والأخفش والمبرد وغيرهم.

ولعلّ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) كان مصيباً أيضاً، حينما لم يضع
الألف اللينة مع الهمزة والهاء في مخرج واحد، وهو أقصى الحلق (٧٤)، وإن
كنا لا نوافق في تحديد مخرجها أنه من الجوف.

أمّا المحدثون :

فيرون أنّ الألف اللينة الممدودة صوت لين صائت مجهور، مخرجه
غار الفم والطبق اللين مع وسط اللسان (٧٥) ومعه الفتحة.

وقد سبق الفراء (ت ٢٠٧هـ) وذكر أنّ الفتحة من خرق الفم بلا
كلفة (٧٦). فإذا ما تذكرنا أنّ ألف المدّ الصائتة هي إشباع للفتحة القصيرة التي
عناها الفراء، كان وصف الفراء لمخرج الفتحة القصيرة وأختها - الألف -
صحيحاً دقيقاً. كما فصل ابن سينا أيضاً بين مخرج الهمزة ومخرج الألف،

(٧١) نفسه ١٧٩.

(٧٢) ابن هشام / مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١٣ / ١٤.

(٧٣) نفسه ١٥، ١٦، ١٧.

(٧٤) ابن الجزري / النشر في القراءات العشر ١ / ١٩٩.

(٧٥) د. أحمد مختار عمر / دراسة الصوت اللغوي ٢٧١.

(٧٦) الفراء / معاني القرآن ٢ / ١٣.

فعدّ الألف المصوتة وأختها الفتحة من مخرج واحد، وذكر أن لهما صفة واحدة مشتركة تختلف عن صفة الهمزة (٧٧).

أما الهمزة فهي عندهم - أعني المحدثين - صوت صامت، مخرجه أقصى الحلق (الحنجرة) بل المزمار نفسه، وهي صوت انفجاري (شديد)، وهو تحديد أدق - قليلاً - كما نرى مما ذكر القدماء، فلم يذكروا المزمار، ولم يصفوها بالانفجار، وإن كانوا - القدماء - لم يتعدوا عن ذلك كثيراً.

أما وصفهم للهمزة من حيث الجهر والهمس: فقد وافق برجشتراسر رأي القدماء بأنها مجهورة (٧٨)، بينما عدّها فريق منهم مهموسة (٧٩)، وعدّها فريق آخر صوتاً لا بالمجهور ولا بالمهموس (٨٠)؛ وعلّلوا ذلك بأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً، فلا نسمع، لهذا السبب، ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفجر فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي، فتنتج الهمزة (٨١).

وانحباس الهواء عند المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضليّ، قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعدّ الهمزة أشقّ الأصوات (٨٢). هذا الملحوظ هو الذي أشار إليه سيبويه حينما ذكر أن الهمزة

(٧٧) ابن سينا / رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٢، ٨٤.

(٧٨) برجشتراسر / التطور النحوي للغة العربية ٨.

(٧٩) جان كاتينو / دروس في علم أصوات العربية ٢٥، محمد الأنطاكي / الوجيز في فقه اللغة العربية

٢٠٠، د. تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها ٧٩، د. عبدالصبور شاهين / المنهج الصوتي

للبنية العربية ١٧٢، د. محي الدين رمضان / في صوتيات العربية ٨٩، ريمون طحّان / الألسنية

العربية (١): ٥١.

(٨٠) د. ابراهيم أنيس / الأصوات اللغوية ٩٠، د. محمود السمران / علم اللغة - مقدمة للقارئ

العربي ١٧١، د. كمال بشر / علم اللغة العام - الأصوات - ٨٨، ١١٢، ١٣٦، ودراسات في

علم اللغة / القسم الأول ٩٢، ١١٠، ود. أحمد مختار عمر / دراسة الصوت اللغوي ٢٧٧.

(٨١) د. ابراهيم أنيس ٩٠.

(٨٢) نفسه ٨٩، ٩٠.

نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً^(٨٣)؛ والنبر والهمز يتساويان، ففيهما كليهما الضغط والحصر^(٨٤).

وما يؤخذ على معظم القدماء في بحث الهمزة والألف، أنهم وضعوا الألف اللينة مع الهمزة في مخرج واحد، وهو أقصى الحلق، وقالوا «إنهما من أصوات الحلق»^(٨٥).

ويدافع د. ابراهيم أنيس عن سيبويه - بالتحديد - دفاعاً لطيفاً في هذه القضية، بقوله: «ربما يكون الذين نقلوا عن سيبويه قد حملوا كلامه أمراً لم يقصده حين ذكر الألف بعد الهمزة، فربما أراد - سيبويه - بكلمة «الألف» تفسير المقصود من كلمة «الهمزة»، التي - فيما يبدو - كانت مصطلحاً صوتياً غير مألوف في أيامه، أو حديث العهد بين الدارسين، فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة، وهو كلمة «الألف»^(٨٦).

ومما يجعل المرء يطمئن إلى ما ذهب إليه د. ابراهيم أنيس، أن القدماء ذكروا حروف المدّ واللين، ووصفها بعضهم كما وصفها المحدثون من علماء الأصوات - إلى حدّ ما -، بأنها أصوات اتسعت مخارجها، والمخرج إذا اتسع انتشر الصوت ولان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب؛ إلا أن الألف أشدّ امتداداً واستطالة، إذ كان أوسع مخرجاً^(٨٧). ولعلّ المبرد سبق في ذلك، حينما قال: «الألف أمكن حروف اللين...»، وفي الياء والواو مدّ ولين»^(٨٨).

(٨٣) سيبويه ٥٤٨/٣، كما سماها الفراء ونبرة؛ أيضاً / معاني القرآن ٢٠٤/٢.

(٨٤) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة - القسم الأول ٦٢.

(٨٥) ما عدا ابن سينا وابن الجزري.

(٨٦) د. ابراهيم أنيس ١١٥.

(٨٧) ابن يعيش / شرح المفصل ١٣٠/١٠، ود. ابراهيم أنيس ١١٦.

(٨٨) المبرد / المقنضب ٢١٠/١.

وقد وصف المحدثون أصوات المدّ بقولهم: «إنها لا تصادف حوائل أو موانع في طريقها، بل يمرّ النفس معها في مجرى خال من تلك الحوائل والموانع، وإنها تنقسم من حيث مجراها واتّساعه إلى نوعين: أصوات ضيقة، وهي: ياء المدّ وواو المدّ، وأصوات متّسعة، وهي ألف المدّ وما يشبهها» (٨٩).

ويؤكد اللغويون المحدثون التعارض بين طبيعة الهمزة من جانب، وأصوات المدّ (الحركات الطويلة) - ومنها ألف المدّ واللين - من جانب آخر، بقولهم: «إنّ الهمزة صوت حنجريّ انفجاريّ، بينما أصوات المدّ أصوات انطلاقية، تخرج من منطقة الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق، والهمزة صوت مهموس (أو لا مجهور ولا مهموس)، بينما أصوات المدّ مجهورة، بل هي أعلى الأصوات إسماعاً، والهمزة من أخفض الأصوات إسماعاً. ويقررون - مطمئنين - أنه لا علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة وبين أصوات المدّ والعلّة» (٩٠). وأرى أنّ هذا المذهب صحيح، إذا عطينا بالهمزة الهمزة الشديدة المحقّقة، أمّا إذا تذكرنا أنّ الهمزة قد تُرفّه فتلين، فإنه يصبح لها صفة مختلفة تدنيها من ألف المدّ اللينة، وهي ما أطلقوا عليه همزة بين بين (٩١)، أو وسّطية، وقد تبدل حركة طويلة أو نصف حركة (٩٢).

ولعلّ هذا الملحظ هو الذي دفع د. كمال محمد بشر لأنّ يقدم دراستين مستقلتين: الأولى للهمزة، والثانية للألف الممدود اللينة، وقد فصل الفرق بينهما في أحد كتبه (٩٣). وذكر أنّ العرب القدماء قد ينعنون - أحياناً -

(٨٩) د. إبراهيم أنيس ١١٧.

(٩٠) د. كمال بشر / علم اللغة العام - الأصوات - ٩٠، ٩٨، ١٠١، ١١١، ١١٢، ود. عبدالصبور شاهين ١٧٢.

(٩١) سيويه ٣/٥٤١-٥٤٢.

(٩٢) جان كاتينو ١٢٤.

(٩٣) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة / القسم الأول ٩١، ١٢٠، وانظر أيضاً د. أحمد مختار عمر ٢٩٥.

الألف بالمدّ واللين، أو بالألف اللينة مقابل الألف اليابسة، التي ينعتون بها الهمزة^(٩٤)؛ أقول: إن هذا التمييز في المصطلح يدلّ على إدراك لطبيعة كلّ من الصوتين.

إذن، أستطيع أن أقرر أن غالبية القدماء أحسّوا بالفرق الصوتي بين الهمزة والألف الصائتة اللينة، لكنهم لم يكونوا دقيقين في الفصل بينهما، حتى أنهم خلطوا في إطلاق المصطلح عليهما أيضاً، كما بينّا في مواضع سابقة.

وقد ذكر بعضهم أن سبب هذا الخلط ما حملوه عن سيبويه من أن مخرج الهمزة والألف واحد، وهو أقصى الحلق، وقد عرضنا ذلك في موضع سابق. وذكر آخرون أن السبب هو خلطهم بين الصوت المنطوق والرمز المكتوب، إذ قال ابن يعيش: «وإنما سمّوها ألفاً - يعني الهمزة - لأنها تصوّر بصورة الألف، فلفظها مختلف، وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة»^(٩٥).

ويؤكد هذا التعليل ما ذكره د. عبدالصبور شاهين أن رمز الألف عند القدماء هو في أصل اللغة رمز الهمزة، ولم يحدث التمييز بين الصوتين في الرمز إلا في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً حين اختار الخليل بن أحمد للهمزة رمز العين الصغيرة^(٩٦).

ومع ذلك، فقلّما نعثر في المخطوطات القديمة، والتي صنّفت بعد ذلك التاريخ، على رمز أو صورة للهمزة، مما يوحي بأنهم لم يؤكّدوا على استقلاليتها عن الألف؛ لذا نراهم يجعلون الهمزة تارة حرف علة، وتارة شبيهة بالعلة^(٩٧)، مع أنها صوت صامت.

(٩٤) د. كمال بشر / دراسات في علم اللغة / القسم الأول ١٢٠.

(٩٥) ابن يعيش / شرح المفصل ١٠/١٢٦، وذكر المالقي مثل ذلك / رصف المباني ٩.

(٩٦) د. عبدالصبور شاهين ١٧١، أقول: إن رمز الخليل برأس العين للهمزة شاهد على احساسه بتقارب مخرج الحرفين.

(٩٧) الميداني / نزعة الطرف في علم الصرف ١٢.

هذا الأمر دفع د. عبد الصبور شاهين الى أن يقول: «ومن ثم اضطرب علاجهم لكل مسائل الهمزة في علاقاتها بأصوات المدّ والعلّة»^(٩٨).

ولكنّي لا أرى أن السبب الوحيد في ذلك هو خلطهم بين الصوت المنطوق والرمز المكتوب، بل ربّما نظروا في ذلك الى حالة عارضة من حالات الهمزة، وهي التليين أو التسهيل؛ يؤكّد ما أذهب إليه قول الميداني: «إنما جعل الهمزة في حروف الاعتلال لأنها تليين فتلحق بحروف العلة»^(٩٩)؛ لا سيّما أن عدم تحقيق الهمزة (تليينها) لغة حجازية قديمة شائعة، إذ كانوا يناون عن الهمز ويميلون الى التليين.

أما عن قضية (حرف) الوصل في نظر المحدثين: - فقد ارتضى له د. محيي الدين رمضان مصطلح «ألف الوصل»، إذ قال: «وتلحق ألف الوصل بحرف الهمزة للمشابهة بينهما، التي تظهر في صوتهما، وفي حذفهما أحياناً، وزيادتهما في مواضع من الأبنية والألفاظ»^(١٠٠)، وأضاف: «وصوت ألف الوصل يماثل صوت الهمزة»^(١٠١).

وهو في ذلك يتابع الخليل ومن تبعه من القدماء ممن ارتضوا إطلاق مصطلح «الألف» على حرف الوصل، وأوافقه في تعليقه إلحاق ألف الوصل بحرف الهمزة - إلى حدّ بعيد -، لكنّي لا أرى أن صوت ألف الوصل يماثل صوت الهمزة (المحققة الشديدة) تماماً، إذ أحسّ بفرق صوتي خفيف بينهما.

ولعلّ أوفى بحث تناول (حرف) الوصل - في ما أعلم - هو بحث د. كمال محمد بشر^(١٠٢).

(٩٨) د. عبد الصبور شاهين ١٧١.

(٩٩) الميداني / نزعة الطرف ١٢.

(١٠٠) د. محيي الدين رمضان / في صوتيات العربية ٨٩.

(١٠١) نفسه ٨٩.

(١٠٢) دراسات في علم اللغة - القسم الاول ١٣٥ - ١٧٥.

فهو بعد أن قدّم تتبّعاً تاريخياً للهمزة - صوتها ورمزها - خلص الى «أنّ ابتكار الرمز الجديد (ء) على يد الخليل، لأنّ الألف جعلت علامة للفتحة، لم يمنع الناس من إطلاق الألف على الهمزة والفتحة الطويلة كليهما»^(١٠٣)، وقرّر حقيقة موضوعية إذ قال: «وعلى كلّ حال، فالوصف الذي قدّموه - يعني القدماء - للهمزة وصف علمي يتمشى - في عمومه - مع ما أثبتته النظر الحديث^(١٠٤)».

ثم يتناول وظيفة (حرف) الوصل، وسبب اجتلابه وطبيعته^(١٠٥). بعد ذلك يرفض تسمية هذا الحرف همزة، فيقول: «إنّ هذا الصوت (همزة الوصل)، والذي يرمز اليه بالألف في الكتابة ليس همزة فيما نعتقد»^(١٠٦). ويورد خمسة أدلة على أنّ (حرف) الوصل هذا ليس همزة، تتركز على الفارق بين طبيعة هذا الحرف وطبيعة الهمزة، ثم على حركته، هل اجتلب ساكناً ثم حُرِّك؟ أم أنه اجتلب متحركاً دفعة واحدة؟ ثم على حركة هذا (الحرف) الأصلية، ويرى أيضاً أنّ هذا (الحرف) ما هو إلا نقلة حركية تختلف عن الصوامت والصوائت القصيرة (الحركات) أيضاً. وأخيراً فهو يرى أنّ إمكانية الابتداء بالساكن في بعض اللغات السامية (السريانية والعبرية)، وبعض اللهجات العربية الحديثة قد يكون دليلاً على احتمال خلوّ اللغة العربية الفصيحة من (حرف) الوصل أيضاً^(١٠٧).

ويورد د. بشر تساؤلاً، وهو: «لِمَ اختيرت الهمزة بالذات ليتوصّل بها الى النطق بالساكن؟»^(١٠٨). ويورد هو نفسه إجابتين لابن جنّي^(١٠٩)،

(١٠٣) نفسه ٦٢.

(١٠٤) نفسه ٦٢.

(١٠٥) نفسه ١٣٧-١٤٤.

(١٠٦) نفسه ١٤٣، ١٤٤.

(١٠٧) نفسه ١٤٤-١٦٠ (بتصرف).

(١٠٨) نفسه ١٦١.

(١٠٩) ابن جنّي / سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٧-١٢٩. ود. كمال بشر / دراسات في علم اللغة / القسم الأول ١٦١-١٦٢.

ملخصهما: أن الهمزة تصلح للحذف والتخفيف وهي أصل، فما بالك بها وهي زائدة للوصل؟.

ويرفض د. بشر تعليل ابن جنّي بقوله: «إنه تعليل ضعيف لا يعدو أن يكون تفسيراً، أو بالأحرى تسويغاً متكلفاً لما وقع بالفعل، وهو تعليل يقتضي أن المتكلم قد أعمل فكره قبل الكلام في ما ينبغي أن يسلكه حتى اختار الهمزة بالذات، للأسباب التي ذكرها ابن جنّي، ومعلوم بالطبع لكل أحد أن المتكلم ما حاول - ولن يحاول - هذا الذي ظنه ابن جنّي، لأنه دائماً وأبداً يرسل الكلام إرسالاً دون التفكير في قواعده الصوتية أو الصرفية» (١١٠).

أقول: صحيح ان المتكلم يرسل الكلام إرسالاً دون تفكير، ولكن كلامه يأتي وفق منطق لغوي سليم منضبط وضابط، اكتسبه بالفطرة فصار مستقراً في سليقته.

بعد ذلك يستنتج د. بشر نتيجتين هما:

- ١ - إمكانية النطق بالساكن في ابتداء الكلام في اللغة العربية.
 - ٢ - أن ما سمّوه همزة الوصل ليست إلا نوعاً من التحريك، أو هو نقلة حركية لجأ إليها المتكلمون في فترة تاريخية من الزمن لتسهيل عملية النطق بالساكن، فهو إذن وصلة، أو وسيلة إيصال ووصل (١١١).
- ويقرّر د. بشر في موضع آخر «أن لهذه الوصلة قيمة صوتية محضنة، أي أنها ظاهرة صوتية لها أثر سمعي تدركه الأذن، وتقترب هذه الوصلة الى حدّ ملحوظ من الحركات العربية، وبخاصة في حالتها الضمة والكسرة (١١٢). ويحسبها نوعاً من التطريز الصوتي في سياقات معينة (١١٣).

(١١٠) د. كمال بشر / المرجع السابق ١٦٣ (بتصرف).

(١١١) نفسه ١٦٣-١٦٤.

(١١٢) نفسه ١٦٥-١٦٦.

(١١٣) نفسه ١٦٧.

ولذلك كله فضل أن يسمى هذه الوصلة أو النقلة الحركية «صوتياً»
على صيغة التصغير^(١١٤).

ولكني أرى أن إمكانية الابتداء بساكن في لغتنا، ولو في بعض
اللهجات العامية، وفي بعض اللغات السامية ليس دقيقاً تماماً، وإنما أحسن
أنه لا بدّ من اجتلاب مساعد ما في النطق، ولو كان ما سمّاه د. بشر «صوتياً»،
أو لا بدّ من قلقلة الحرف الصامت الساكن ولو قليلاً، حتى نعطيه بعض
الحركة فيسهل النطق به.

أما قوله: «إن لهذه الوصلة قيمة صوتية محضة، وأنها تقترب - إلى حدّ
ملحوظ - من الحركات العربية»، فإنني أوافقه في ذلك تماماً، وأرى أن
القدماء أحسّوا بهذه القيمة الصوتية، فلما أرادوا إطلاق مصطلح عليها
اضطربوا في ذلك، فأطلق بعضهم مصطلح «الألف»، واستخدم آخرون
مصطلح «الهمزة».

ولكنني لا أوافق د. بشر في قوله في موضع آخر: «لا فرق عندنا في
النطق بين الهمزتين - همزة القطع و(حرف) الوصل -، فالهمزة في كلّ
الحالات همزة»^(١١٥). بل ربّما كان إحساس اللغويين العرب القدماء بالفرق
بين الاثنتين من ناحية القيمة الصوتية، هو الذي دعاهم إلى إطلاق همزة
«قطع» بتخصيصها بالإضافة إلى «قطع»، وإطلاق «نبرة» عليها في مواضع
أخرى^(١١٦)، وتخصيص الثانية بإضافتها إلى «وصل»، وقولهم فيها «همزة
وصل».

وأرى أن همزة القطع يابسة شديدة (انفجارية)، أما الثانية - حرف
الوصل - فمسهلة لينة أخفّ من الأولى، وربما كان هذا الملحظ هو الذي
دعا الخليل، ومن تبعه، إلى إطلاق مصطلح «ألف» عليها.

(١١٤) نفسه ١٤٤.

(١١٥) نفسه ١٥٥.

(١١٦) سيويه ٥٤٨/٣، الفراء ٢٠٤/٢.

وتأسياً على كل ما تقدم، يتبين أن للهمزة مخرجاً وصفات مختلفة عن الألف الصائتة، التي أطلق عليها القدماء حرف المدّ واللين، وعليه - أيضاً - فإنني أرى أن إطلاق القدماء - وبخاصة أبو بكر ابن الأنباري - على جميع أنواع الهمزات (القطع والأصل والاستفهام والدعاء والوصل) «ألفات» فيه تجاوز أو تسمّح، وكان الأولى أن يفرّق بينها، وبينها وبين الألف الصائتة اللينة.

نتيجة البحث

بعد هذا التتبع والاستعراض، يرى الباحث أن إطلاق الخليل مصطلح «ألف» على (حرف) الوصل قد يكون له ما يبرره، إذ إنه أحسن بفارق صوتي بين الهمزة المحققة الشديدة، وبين (حرف) الوصل، الذي نلفظه في بدء الكلام، ولا نلفظه في دَرْج الكلام ووصله، وحتى عندما نلفظه في بدء الكلام لا يكون محققاً شديداً، وإنما هو من قبيل الهمزة المرفهة اللينة، التي قال فيها: «فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح» (١١٧)؛ فلم يشأ إطلاق مصطلح «الهمزة»، الذي خصصه للشديدة الانفجارية.

وربما كان الخليل قد نظر الى ما أورده برجشتراسر، وهو: «أن الخط العربي مشتق من الآرامي، والإملاء العربي العتيق قريب من الآرامي، فإذا أطلعنا على الإملاء الآرامي رأينا الهمزة موسومة بالألف دائماً، وبالعكس، فكل ألف تشير إلى همزة إلا في أواخر الكلمات، فإنها تشير الى حرف مدّ يشير الى الفتحة الممدودة» (١١٨).

أما ابن جنّي الذي أطلق على (حرف) الوصل اسم «همزة» ففي ظني أنه نظر الى قيمته الصوتية حينما يقع في بدء الكلام، أو أنه نظر الى قيمته الصوتية الأصلية، ولو أن الهمزة كانت تخفّف تخفيفاً زائداً في لغة الحجاز، وقد يؤيد وجهة نظره ما ذكره برجشتراسر «أن الهمزة كانت تخفّف تخفيفاً زائداً

(١١٧) الخليل بن احمد / العين / ٥٢/١.

(١١٨) برجشتراسر ٢٧.

في بعض لهجات العرب القديمة المختلفة» (١١٩)؛ وأن أكثر الهمزات كانت لا تنطق في لهجة الحجاز (١٢٠)، ويضيف:

« . . . ومما حذف فيه الهمز في كل اللهجات العربية لسبب خاص لام التعريف، فأصلها فيما يظهر «أل» بهمزة القطع، غير أنهم سلكوا فيها مسلك همزة الوصل، فأسقطوها في وسط الكلام، وأثبتوها في الابتداء فقط» (١٢١). ولعل ما يقوي رأي ابن جني أن (حرف) الوصل همزة: أن اللغويين القدماء جميعاً - ومن بينهم من عدّ (حرف) الوصل ألفاً - ذكروا أن الألف متى تحركت صارت همزة، وهم قد أتوا بهذا الحرف ليقعوا عليه الحركة، لأن أول الكلمة ساكن، ولا يبدأ ساكن، فهذا الحرف لا بد إلا أن يتحرك، فحتى لو كان ألفاً، فإنه متى تحرك صار همزة.

أما ما ذهب إليه د. بشر، وهو أن (حرف) الوصل صوت، فلا نرى رايه، لأن الصوت يعني صوتاً صغيراً، وهو نفسه يعدّه قريباً من الحركة الصائتة، ونعلم أننا لا نستطيع نطق الصائت إلا مع صامت، والعكس كذلك؛ لذا، فإن الباحث يميل الى أن (حرف) الوصل همزة مسهلة مليئة مخففة (١٢٢)، تشبه في قيمتها الصوتية ما سماه العرب «همزة بين بين» (١٢٣).

وإني لا أشك أن في (حرف) الوصل همزاً يختلف في قيمته الصوتية - تحقيقه - عن قيمة الهمزة الشديدة المحققة. فثمة فرق في تحقيق الهمز وإظهاره بين قولنا: (استغفر) و(أستغفر)، أو بين (اكتب) و(أكل).

(١١٩) نفسه ٢٧.

(١٢٠) نفسه ٢٩.

(١٢١) نفسه ٢٩.

(١٢٢) أو قل: إنه مُتميزة.

(١٢٣) سيويه ٥٤١/٣.

مصادر البحث ومراجعته

- إبراهيم أنيس (د.)
- الأصوات اللغوية، ط ٦، ١٩٨١، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.
- إبراهيم السامرائي (د.)
- مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد - الجزء الأول
- أحمد مختار عمر (د.)
- دراسة الصوت اللغوي: ط ١، توزيع عالم الكتب - القاهرة
١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ).
- معاني القرآن: تحقيق د. فائز فارس، ط ١، توزيع دار الكتب
الثقافية بالكويت، ١٩٧٩م.
- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد
- تهذيب اللغة، ج ١، تحقيق أ. عبدالسلام هارون، الهيئة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م.
- الأشموني: شرح ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب
العربية بالقاهرة، د. ت.
- ابن الأنباري: أبو بكر
- كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل،
تحقيق د. محيي الدين رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية
بدمشق، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

- كتاب الألفات (مخطوط في مكتبة لاله لي بالسليمانية في
استانبول، رقم المجموعة ١٢/٣٧٤٠).
- برجشتراسر:
- التطور النحوي للغة العربية: المركز العربي للبحث والنشر
بالقاهرة، ١٩٨١م.
- تمام حسن (د.):
- اللغة العربية معناها ومبناها: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.
- مناهج البحث في اللغة: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،
١٩٥٥م.
- ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي
- النشر في القراءات العشر: دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت.
- ابن جنّي: أبو الفتح عثمان
- الخصائص: تحقيق محمد علي النجار (ط٢)، دار الهدى للطباعة
والنشر، بيروت د. ت.
- سرّ صناعة الإعراب: تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، (ط١)، شركة
عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.
- اللمع في العربية / تحقيق فايز فارس، دار الكتب
الثقافية بالكويت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- الخليل بن أحمد:
- كتاب العين (ج١)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم
السامرائي.
- ريمون طحان:
- الألسنية العربية (١)، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط١،
١٩٧٢م.

- الزجاجي : أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق .
- الجمل في النحو: تحقيق د. علي توفيق الحمد، منشورات مؤسسة الرسالة ودار الأمل، ١٩٨٤م .
- السعران : (د. محمود) .
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
- سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .
- الكتاب : الهيئة المصرية العامة بالقاهرة، ١٩٧٧م / ١٣٩٧هـ، تحقيق أ. عبدالسلام هارون .
- ابن سينا : الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله .
- رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد إحسان الطيان، ويحيى ميرعلم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق ط ١، مطبعة دار الفكر ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- عبدالرحمن السيد (د) .
- مدرسة البصرة النحوية - نشأتها وتطورها، دار المعارف بمصر .
- عبد الصبور شاهين (د) .
- المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة / بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ابن عصفور (علي بن مؤمن)
- المقرب: تحقيق احمد عبد الستار الجوارى وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني / بغداد، ط ١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد / (ت ٢٠٧هـ) .

- معاني القرآن (ج ٢): تحقيق محمد علي النجار.الدار المصرية العامة
للتحقيق والنشر بالقاهرة.
- كاتينو - جان -
- دروس في علم أصوات العربية، نقله الى العربية: صالح
القرمادي، منشورات الجامعة التونسية، تونس ١٩٦٦م.
- كمال محمد بشر (د.)
- دراسات في علم اللغة / القسم الأول - دار المعارف بمصر،
ط ١، ١٩٦٩م.
- علم اللغة العام / الأصوات - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م.
- المالقي: أحمد بن عبدالنور
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد
الخرّاط، مطبعة زيد بن ثابت - مطبوعات مجمع اللغة
العربية بدمشق، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ابن مالك: ابو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات،
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد.
- المقتضب: تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة،
منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٣٨٦هـ.
- محمد الأنطاكي
- الوجيز في فقه اللغة: مكتبة دار الشروق - بيروت، ط ٣.
- محيي الدين رمضان (دكتور).
- في صوتيات العربية: مكتبة الرسالة الحديثة - عمان - د. ت.

- المرادي : الحسن بن قاسم .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق د. فخرالدين
قباوة ومحمد نديم فاضل ، المكتبة العربية بحلب ، ط ١ ،
١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .
- ابن منظور
- لسان العرب : مطبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٨١م .
- مهدي المخزومي (د) .
- مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد ، ج ١ .
- الميداني : أحمد بن محمد
- نزهة الطرف في علم الصرف ، ط ١ ، دار الأفاق الجديدة
بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، تحقيق لجنة إحياء التراث
العربي .
- ابن هشام : ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين
عبدالحميد ، مطبعة المدني بالقاهرة ، د . ت .
- ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي
- شرح المفصل : ادارة الطباعة المنيرية ، بإشراف مشيخة الأزهر ،
د . ت (طبعة مصورة) .

وقائع إحتفالات مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعيده الخمسيني

١٩٣٤ - ١٩٨٤م

الدكتور عدنان الخليل
(عضو المجمع)

استهل مجمع اللغة العربية في القاهرة دورته الخمسين، بجلسات علمية خصصها للاحتفال بعيده الذهبي، دامت خمسة أيام، وذلك من يوم ١٨ من جمادى الأولى، الموافق ٢٠ من شباط (فبراير) حتى يوم ٢٢ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٤ من شباط (فبراير) سنة ١٩٨٤م. عقد خلالها سبع جلسات.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في تلك الجلسات من بحوث ودراسات:

(جلسة الافتتاح)

عُقدت جلسة الافتتاح في القاعة الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية؛ وقد حضرها أعضاء المجمع من مختلف الأقطار العربية والمدعوون من أعضائه المرسلين العرب والمستعربين، كما شهدها جمع غفير من رجال الفكر والأدب والاعلام. وألقيت فيها كلمات تضمنت ترحيباً حاراً بالأعضاء الوافدين من مختلف الأقطار، وعرضاً مفصلاً عن منجزات المجمع خلال سنواته الخمسين الماضية. وفيما يلي تلخيص موجز للكلمات التي قيلت:

أولاً: - استهل رئيس المؤتمر الدكتور إبراهيم مدكور، رئيس المجمع، الجلسة بتقديم الدكتور مصطفى كمال حلمي، وزير الدولة للتعليم والبحث العلمي.

رحب السيد الوزير بالمؤتمرين، وتحدث عن أثر الحضارة العربية الإسلامية في إثراء الحضارة الإنسانية، مشيداً بفضل اللغة العربية عندما كانت في ازدهار وانتشار على مدى زمني امتد عدة قرون، وعلى مدى مكانيّ امتد إلى كثير من بلدان العالم. ثم تحدث عن انقطاع ذلك الازدهار، عندما تعرض العرب للفرقة وواجهوا الغزو الأجنبي، إلى أن قال: (وحين تحررت بلادنا من قيود الاحتلال ونهضت، أخذت لغتنا تزدهر - مرة أخرى - وتسمى لتلحق بالركب العلمي الحضاري، وحقت انتصارات أكدت مكانتها على المستوى العالمي، فصارت واحدة من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وصارت تُسمع بالتقدير في المحافل والمؤتمرات التي تعقد في أرجاء العالم، وقد أخذت الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا وغيرها تحرص على تعليم لغتنا العربية إلى جانب لغاتها القومية).

ثم نوه السيد الوزير بجهود المجمع في تعريف لغة العلم وفي وضع المعجمات المختلفة. وأنهى خطابه قائلاً:

(فتهنئة لكم بعيدكم الذهبي، وشكراً متجدداً لضيوفنا العلماء الأعلام، ودعاءً خالصاً لله تعالى بأن يظل المجمع منارةً للغتنا الخالدة، وأميناً على خدمة أمتنا العربية المجيدة).

ثانياً: - تحدث رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مذكور، مرحباً بالمدعوين وبالمشاركين في الاحتفال بعيد المجمع الخمسيني، القادمين من مختلف الأقطار العربية والدول الإسلامية، ومن لبي دعوة المجمع من المستعربين والمهتمين بالعربية من سائر البلاد، مؤكداً على عالمية اللغة العربية لعدة قرون خلت، يوم كانت كتب الفكر الإسلامي العربية تترجم إلى اللاتينية ولغات أخرى.

ثم تكلم الأستاذ الرئيس عن جهود المجمع منذ تأسيسه قبل خمسين عاماً، معدداً أسماء الصفوة من أعضائه الاعلام على اختلاف اختصاصاتهم واقطارهم، الذين: (برهنوا على حيوية العربية ومرورها وقدرتها على مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا، فأجازوا الاشتقاق من الجامد وكان ممنوعاً، وتوسعوا في المصدر الصناعي؛ وما أكثر استعماله في أسماء المذاهب والمدارس الفكرية! واستحدثوا صيغاً للدلالة على الآلة والمكان والزمان، وسلموا بجواز النسب الى الجمع كما ينسب الى المفرد، وأقروا ألفاظاً واستعمالات حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها).

ثالثاً:- قرأ الأمين العام للمجمع، الأستاذ عبدالسلام هارون، ما ورد على المجمع من بقرات ورسائل من قبل أعضاء المجمع والمدعويين للمشاركة في الاحتفالات، والمتضمنة تهانيمهم او اعتذارهم عن عدم تمكنهم من شهودها. وكان اعتذار عضو المجمع الأستاذ الشاذلي القليبي الأمين العام لجامعة الدول العربية ابلغ ما قرىء.

رابعاً:- ألقى رئيس مجمع دمشق، الدكتور حسني سبيح، كلمة باسم «اتحاد المجامع اللغوية العربية»، تحدث فيها عن تاريخ كل مجمع منها، بادئاً بلمحة عن تأسيس مجمع دمشق بجهود الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، الذي كان في عداد مؤسسي مجمع القاهرة؛ ثم تحدث عن التعاون بين المجامع الاربعة، وبيّن كيف اجمعت كلماتها متضافرة على تشكيل (اتحاد المجامع العربية) معدداً الجهود التي بذلها في خدمة العربية، في حدود ما توافر لديه من امكانيات. مهنتاً مجمع القاهرة باسم المجامع الثلاثة أعضاء الاتحاد.

وختم الدكتور سبع خطابه مشيداً بجهود مجمع القاهرة، وبالمؤتمر السنوي الذي يجمع كل سنة شمل اعضاء المجمع من سائر اقطار العروبة على المحبة وخدمة العربية .

خامساً:- ألقى علامة العراق الأستاذ محمد بهجة الاثري، عضو المجمع، قصيدة من روائعه الخالدة، معتزاً بالفصحى لغة الذكر الحكيم، مشيداً بمصر ورجالها في جهودهم للحفاظ على العربية سليمة .
بلغت قصيدة الاثري نحواً من ١٥٠ بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية :

شعشتُ كأسها ورفّ الضياء وعلاها من السّنا لالاء
وصفا ماؤها كما شفّ ماسُ أَلقت في الضحى عليه (ذكاء)
لذّة الطعم - ما الشّهاد لذيها؟ ما رضاب العذراء؟ ما الصهباء؟
كلُّ لطفٍ مفرّقٍ في سواها هو فيها، وكلّ حُسنٍ رداء
مثل وشي الربيع . . زانت يدُ الله جِلاه، وابدعت ما تشاء
لغةٌ أم مزاهرٌ أم مناجاة عذارى فواتن أم غناء؟
هي (ليلاي) في الليالي، وتربّي للياليه (ليليات) ظباء
(لليلي) عهد مع العمر باقٍ والفقواني عهدهنّ هواء
لا يَلْمُني اللّوام إن جهلونني كلُّ نفسٍ لها هوى وصباء
قد تعلقتُ مذ صبائٍ بـ(ليلاي) وصحّ الهوى ودام الولاء

نعر الناعرون . لكن إليهم وحدهم عاد ما فرّوا وأساؤوا
هي في أفقها الرفيع، وهم في غائط الأرض رُكّع وقماء
خلّهم عنك قرقروا أو أصاتوا أيّ حسناء مالها اعداء؟

جهلوها وهم مراضُ قلوب نخسر الحققد لبهم والداء
 انقلاب الزمان أغرى الزراير فصالوا واستوقح الأدعياء
 لغة المرء ذاته . . . إن تهن ها . . . ن وأضوى وذلت الكبرياء
 الحفاظ الحفاظ، يغلي به الصد . . . ر، وتحمى ببأسه الحوباء
 لا يماري إلا جهول تساوت في غباه اللسنا والبلماء
 ودعي مزنم متغاضر عنده دعوة الحفاظ هراء
 كثر العاثون فيها فساداً وغلا بادعائها الجهلاء

(لغة الوحي) جلّ ذا النعت نعتاً أين للسن هده السيماء؟
 شرف في السماء والأرض سامى كلّ علياء من ذراه علاء
 اصطفاها ل (وحيه) وهو نور يتللا بها، ونعم السوعاء
 يا لغات . . . اسجدي، ويا ناعق أصمت وحدياك أيها الإدعاء!
 تتعالى من بعد أفق رفيع نحو أفق، ودأبها الارتقاء
 غدت العلم ما تفرع بالزا . . . د كريما وما ابتغى العلماء
 ونمى من نطافها الأدب العا . . . لي، ورقت أفنائه والزهاء
 يخصب الجذب بالغيوث رواء وبها تخصب النهى والذكاء

رويت من سلسالها العذب (مصر) مثلما (النيل) منه تروى الظماء
 وحمّت ذخرها تليداً أصيلاً وكذا تحرس العلى الأصلاء
 نعمت (الدار) هذه الدار، أوفت فوق (نيل الجنات) منها سماء
 هي (دار الفصحى) وللدار ربُّ قد أعز (الفصحى) ومنه الرعاء
 رمز (مصر) . . . فكل قلب بـ(مصر) هي فيه الحبيبة السمراء

شمخ (المجمع العظيم) وأعلى (لغة الوحي) جهده البناء
جمع العلية الفصاح، وعاشت بين جنبه أمه أمناء
أوسعوها تجلة واحتراماً وقياماً، وما عراهم وناء
نحن نبغي من (الفصاحة) أن تُف... صح منا الأفعال والأنباء
قرع (الله) من يقول ولا يف... عل، فالقول شأنه الإيفاء

يا لقومي! وبعض حالات قومي شف داء، والمصلحون الدواء
(وطن العرب) سرّة الأرض (العرب) على الناس حولهم شهداء
وعلى الأمة (الرسول) شهيداً كيف تُهدى بهديه الأحياء
جهلت نفسها الخلائف، فاستعد... لَت ذئابٌ عليهم نزاء
صاح فيها الفناء، فليصدق الذو... ذ لديهم، وليقدم الشرفاء
إن (عهد الحفاظ) للوحدة الكب... رى ضمان، وللحياة سماء
يفرض العز أن يُوثق بالصد... ق، ويقتضيه البقاء

(الجلسة الثانية)

عقدت الجلسة الثانية من جلسات الاحتفال برئاسة عضو المجمع الأستاذ محمد بهجة الأثري، وجرت وقائعها على الوجه التالي :

أولاً :- ألقى شاعر نجد الأستاذ عبدالله بن خميس، عضو المجمع المراسل، قصيدة حياً بها مصر في عيد مجمعها الذهبي، مشيداً برجال المجمع وجهودهم في خدمة العربية، غامزا من قناة اعدائها والعاثين باصولها تحت عنوان (مجمع الخالدين).

بلغت القصيدة نحواً من ثلاثين بيتاً نقتطف منها هذه الأبيات :

حيه بالمنى ونفح العبير مجمع الفضل والعلا والنور
حيه حافلا بخمسين عاما مفعمات بكل معنى جهير
مجمع الخالدين فضلا وعلما وجلالا يحوي صدور الصدور
من أمير في قمة الضاد حبر يتسامى عن قائد وأمير
زامل الطرس والمحابر حتى أخذ العلم من وراء السطور
مجمع الخالدين اهل أنت إلا فلك دائر بأهى البدور؟
أنت للضاد والعروبة ركن لهما فيك كل طرف قرير

مجمع الخالدين! من لي يقوم أولعوا بالمعطل المهجور
اولعوا بالدخيل من ألسن القوم وجاؤا بالتافه المحذور
عطلوا الوزن والقوافي وشدوا كل حبل نحو البيان قصير

خصّها الله بالكتاب وأورى بهداها من كل سفر منير
لم يضق ذرعها بشوس المعاني من كبير مبسط أو حقير
سبقت غيرها جلالاً وفضلاً واستجابت لكل معنى شهير

وأثنى رئيس الجلسة على القصيدة الناصعة الأسلوب، الجودة المعاني
الدالة على روح الشاعر العربية الحيّة.

ثانياً: ألقى الأستاذ عبدالسلام هارون، الأمين العام للمجمع، بحثاً
عنوانه «معجم ألفاظ القرآن الكريم».

بدأ الباحث بالإشارة إلى ضروب العناية التي أحاط المسلمون، منذ
فجر الإسلام، القرآن الكريم بها، والتي كانت موضوع كتاب ضخّم صنّفه
الدكتور محمد حسين الذهبي وأسماه «التفسير والمفسرون».

ثم خص نوعاً من أنواع التفسير يطلق عليه اسم «غريب القرآن» بعرض
موجز مسلسل بحسب الزمن، بادئاً من أيام الصحابي الجليل عبدالله بن
عباس المتوفى سنة ٦٨ للهجرة، والذي كان إذا سأله الناس عن بعض ألفاظ
القرآن، فسّرهما لهم مستنداً إلى حديث ماثور، أو معرفة باللغة، أو اعتماداً
على تصوّره الشخصي.

وبعدئذ فكر نفر من علماء اللغة في تسجيل تلك الألفاظ إلى جانب ما
اتصل بعلمهم من شرح لها؛ إلى أن جاء معمر بن المثنى المتوفى سنة
٢٠٩هـ، الذي وضع مصنفاً أسماه «مجاز القرآن»، فلما ألف ابن قتيبة،
المتوفى سنة ٢٧٦، كتابه في ألفاظ القرآن، أطلق عليه اسم «تفسير غريب
القرآن»، ورتبه بترتيب السور في القرآن: يذكر اللفظ ويتبعه بمعناه،
مستشهداً بالآيات القرآنية الأخرى، أو بما ورد في ماثور الحديث، أو بالشعر
المأثور عن العرب الأوائل.

فلما جاء ابو بكر السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠هـ سمي مصنفه في
ألفاظ القرآن «نزهة القلوب» ؛ وهو اشهر كتب «غريب القرآن» ، وتبعه ابو عبيد
الهروي المتوفى سنة ٤٠١هـ ، وصنف كتاباً في ألفاظ القرآن والحديث سماه
«كتاب الغريبين : غربي القرآن والحديث» .

وصنف الراغب الاصفهاني ، المتوفى سنة ٥٠٢هـ ، كتاباً في التفسير
اسماه «مفردات ألفاظ القرآن» ، وشرح فيه ألفاظ القرآن ، كما فعل ابن قتيبة ،
غير أنه رتبّه على حروف المعجم .

وجاء بعده ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، فأطلق على كتابه اسم
«تذكرة الأريب بما في القرآن من غريب» .

ثم جاء ابو حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ . وصنف كتاباً ، قال الصفدي
إن اسمه «اتحاف الأريب بما في القرآن من غريب» . وجاء بعدهم ابن
التركمانى المتوفى سنة ٧٥٠هـ ، فصنف كتاباً سماه «بهجة الأريب بما في
كتاب الله العزيز من الغريب» .

أما ابن يوسف السمين المتوفى سنة ٧٥٦هـ فسمى كتابه «عمدة الحفاظ
في تفسير أشرف الألفاظ» .

وبعد أن ذكر الباحث منهج كل من ألف كتاباً في تفسير ألفاظ القرآن
الكريم ، سواء أكان بحسب ترتيب السور أم بترتيب المعاجم ، عرض لتاريخ
المعجم الذي اصدره مجمع اللغة العربية باسم «معجم ألفاظ القرآن
الكريم» ، وبيّن المنهج الذي اعتمده فيه . وقد صدرت طبعته الأولى في ستة
اجزاء خلال السنوات من ١٩٥٣ الى ١٩٧٠م ثم صدرت طبعته الثانية
سنة ١٩٧٠م في جزأين ، الى ان ظهرت طبعته الثالثة سنة ١٩٨١ في جزء
واحد .

وذكر الباحث أخيراً أن المجمع عهد الى لجنة من كبار المجمعين
الاعداد لاصدار الطبعة الرابعة من هذا المعجم لشدة الطلب عليه

وشكر الأستاذ الأثري رئيس الجلسة الباحث على جميل عرضه للموضوع، مبدياً العجب من أن يطلق بعض أبناء العصور القريبة من فجر الإسلام عليه اسم «غريب القرآن»، بينما نجد واحداً من أبناء القرن السادس، وهو القاضي الاصفهاني، ينبذ هذه التسمية غير الموفقة، ويسمى كتابه «مفردات القرآن».

وأثارت ملاحظة الأستاذ الأثري عاصفة من التعليقات، اشترك فيها كل من الأساتذة عبدالله الطيب، ورشاد الحمزاوي، ومحمد عبد الغني حسن، وإبراهيم السامرائي، والحبيب ابن الخوجة، فدافعوا عن التسمية وعللوا بما لا يفوت الأستاذ الأثري الذي هنا المجمع على حسن اختياره اسم معجمه عن ألفاظ القرآن الكريم.

ثالثاً:- ألقى الدكتور عدنان الخطيب بحثاً عنوانه: «معجم القرن العشرين العربي» استهله قائلاً:

القرن ماضٍ وانقضى معظمه فهل يُرى، كوعدهم، معجمه؟ وأردف يقول: [إذا تفاخرت اللغى كل بمعجمها، فالفخر كل الفخر لأمتها الضاد، إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم، وسعياً في جمعها وتدوينها، وبحثاً في مفرداتها، وتعقباً للدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد.

يعترف بهذه المستعرب جون أ. هيود، كبير أساتذة الدراسات العربية في جامعة درهام الانكليزية، في كتابه المعنن «صناعة المعاجم في العربية» أو إذا صح التعبير: «معجمة اللغة عند العرب»؟ إذ يقول: «... وكان لدى العرب معجم شامل هو «لسان العرب» كانت دونه دقة وشمولاً معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر».

فكيف يكون الفخر بالمعجم العربي إذا ما أضفنا إلى «اللسان» التهذيب والمقاييس والأساس والقاموس وتاج العروس الذي كان من نتاج القرن الثامن عشر الميلادي!].

ثم تكلم عن معاجم اللغات الغربية، بعد أن هلّ القرن التاسع عشر، وكيف أخذت تتطور، حتى رأيناها في طبعاتها الأخيرة جيدة التنقيح، متقنة الإخراج لدرجة يصح لبعضها أن يحمل اسم «معجم القرن العشرين».

وبعد أن عرض الباحث مراحل التطور التي اجتازها المعجم العربي خلال القرن التاسع عشر ونصف القرن العشرين الأول، بعدما أفاق العرب من سباتهم، مشيداً بالجهود الفردية لمختلف علماء العربية وبما أصدره من معجمات، أثنى على جهود مجمع اللغة العربية في سبيل إخراج عدد من المعاجم، وخصّ بالثناء «المعجم الوسيط».

وبعد أن قدّم للمجمع التهاني بعيده الذهبي قال: «فإليه ترجى التهاني، وعليه تعقد الآمال لتحقيق الوصول بمعجمه الوسيط إلى مصاف معاجم اللغات العالمية».

ثم عدد الباحث مزايا المعجم الوسيط في طبعته الأولى مشيراً إلى ما وُجّه إليه من نقد، وقال: «وكان المعجم الوسيط في طبعته الثانية خطوة جديدة عظيمة نحو المعجم المنشود» وأردف قائلاً: «ولكنه لم يكن إياه».

ثم ذكر أمثلة عما يمكن أن يؤخذ على الطبعة الثانية، وأشار إلى بعض المعالم التي يراها تؤمن الوصول بطبعة المعجم الثالثة إلى معجم القرن العشرين المنشود، الذي يرضي أساطين اللغة وغيرهم من العلماء ويعجب الطلاب وسائر القراء.

وهبت عاصفة من التعليقات على جملة (ولكن لم يكن إياه)، اشترك فيها كبار المجمعين أمثال الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور، والدكتور سليمان حزين، والأستاذ عبدالسلام هارون، والأستاذ محمد الفاسي، والدكتور عبدالله الطيب، والأستاذ الأثري. كما اشترك في التعليق كل من الأساتذة رشاد الحمزاوي، ورمضان عبد التواب^(١)، ومحمد عزيز الحبابي، وعبد الرزاق البصير. لقد استنكر البعض ما سمعه من ان «الوسيط لم يكن المعجم «المنشود» لمجرد أن بعض الأخطاء وقعت فيه، وآخرون أيدوا النقد لأنه كان طلباً للقرب من الكمال في طبعة الوسيط «الثالثة».

رابعاً:- ألقى الدكتور رمضان عبد التواب عميد كلية الآداب في جامعة عين شمس بحثاً عن «معجم العربية الفصحى بالمانيا الغربية»، استهله بقوله: «من القضايا المهمة التي أحسّ بها وناقشها المشتغلون بالعربية في العالم، منذ أكثر من مئة عام، قضية صنع معجم شامل ودقيق للعربية الفصحى، يستقي مفرداته من نصوص هذه العربية. وقد بُذلت في هذه القضية محاولات مختلفة، متعددة الطرائق والأهداف هنا وهناك، غير أن محاولة من هذه المحاولات، لم تصل الى النتيجة المرجوة منها حتى الآن».

وأخذ الباحث يتكلم عن محاولة مهمة بدىء فيها سنة ١٩٥٧م، قامت بها جمعية المستشرقين الالمانية على يد ثلاثة من كبار

(١) عندما يقبل مثل الدكتور عبد التواب تعريف (نيسان) في معجم القرن العشرين بأنه: الشهر السابع من الشهور السريانية، يكون كمن يقبل أن يعرف (سبتمبر) بأنه الشهر السابع من الشهور الرومانية، ثم يقر ابقاء تعريف (ديسمبر) بأنه الشهر الثاني عشر من السنة الرومية، فكيف يحصل مثل هذا في القرن العشرين!!

المستشرقين هم : «كريم» و«جيتيه» و«شيتالر» ، لقد قرر هؤلاء صنع معجم سمّوه «معجم العربية الفصحى» ، وبدأوا فيه من حرف «الكاف» ليكملوا به معجم لين «مدّ القاموس» الذي وقف فيه عند حرف «القاف» .

ثم تكلم الباحث عن الخطوات التي قطعها المستشرقون في محاولتهم هذه، وما استطاعوا نشره منها، وانهى بحثه قائلاً : «هذا هو معجم العربية الفصحى الذي يصدر في المانيا الغربية، منذ اكثر من ربع قرن مضى، ولم يتجاوز العمل فيه حرفاً ونصف الحرف . ولو سار تأليفه على هذا النحو الدقيق البطيء، الذي ينشد الكمال، فإننا نقدر لإتمامه أكثر من أربعة قرون» .

وثار نقاش بين عدد من الزملاء حول ما جاء في البحث من عرض مسهب للأساليب التي تعاقبت في عمل المستشرقين الالمان، وكان من رأي الدكتور رشاد الحمزاوي ضرورة العودة الى محاولة المستشرق فيشر لصنع «المعجم التاريخي» . أما الأستاذ عبدالسلام هارون فمن رأيه أن عمل مثل هذا المعجم لا يدخل في اختصاص المجمع . وقال الدكتور ابراهيم مذكور بأن المجمع لم يغلّق الباب على المعجم التاريخي، والعمل المعجمي ليس قاصراً على المجمع، ولكن المجمع يحصر جهوده الآن في المعاجم اللغوية التي تستهدف نشر عربية فصيحة سهلة، تساعد على الوصول بالعربية الى ان تصبح لغة قومية شاملة، الى جانب جهوده في صنع «المعجم الكبير» الذي سيضم بين دفتيه كل ما وصل الينا من العربية المدونة .

واشترك في النقاش كل من الزملاء الأساتذة: الأثري، وإبراهيم
السامرائي، وعبدالله الطيب، وعبدالهادي التازي، ومحمد الفاسي،
وعبد الرزاق البصير، ومحمد عزيز الحبابي .

وانتهت الجلسة الثانية بكلمة من رئيسها، اثنى فيها على حرارة
النقاش الذي تم، واصفاً أياها بأنها من أروع الجلسات التي شهدتها في
المجمع، مما يعد دليلاً هاماً على غيرة شديدة على الفصحى، ومبشراً
بمستقبل باهر لها قريب بإذن الله .

(الجلسة الثالثة)

عقدت الجلسة الثالثة من جلسات الاحتفال برئاسة الدكتور

حسني سبيع ، وجرت وقائعها على الوجه التالي :

أولاً :- ألقى الدكتور إبراهيم السامرائي ، عضو المجمع المراسل من العراق ، قصيدة «تحية لمصر ومجمعها» . والدكتور السامرائي شاعر مقل ، صرفته عن الشعر - على حدّ تعبيره - هموم جسام راح منها يفزع للدرس والجد مخافة ان يستخذي امامها ، ولكن الدعوة الى الاشتراك بعيد المجمع الخمسيني أجاشت نفسه ، فكان من ذلك شيء من قصيد ، وافاه على استحياء وخفر - كما قال وهو يمهد لشعره - . وقوبلت قصيدته باستحسان كبير لدلالاتها على شاعرية قوية كامنة في صدره ، وعلى عاطفة لديه جياشة . ونحن نقتطف منها هذه الأبيات :

غلبَ الحنين إليك يا مصرُ	فالعلم زادي منك والذكرُ
أسليلاً الأمجاد معذرةً	أن قد تخلف عني الشعرُ
ووريشةً للفن في صورِ	أغفني على جنباتها السحرُ
صنوان شبا توأمين معاً	وقد استظالا: أنت والدهرُ

يا مصرُ جئتُ إليك من بلدٍ	قد جال في احشائه الضُرُ
ما إن رعى الجيزانُ حرمتَه	وعراه ممّا ساء ما يعرفُ
دعوى السلام أسيء بحملها	فكأنها في شرعةٍ كفرُ

يا مصرُ لا أخفيك أن يدي
لكن عذيري من جهابذة
وازود عنه سحرُ أغنية
يا مصرُ والكلمُ النبيلُ زكا
قد هبَّ للفصحى فجدَّ بها
وتلألاً الأدب الرفيعُ به
أفليس لي ألا أشيدُ به
من نعمةٍ مأنوسةٍ صفرُ
أنني امرؤُ أزدى بي الدهرُ
ولقد جفاه الشعرُ والنثرُ
في «مجمع» جلَّى به الفكرُ
لفظُ حكيمٍ مونتقٍ بكرُ
نوراً كما يتنفسُ الفجرُ
زهواً ويملاً ما ضغي الفخرُ؟

ثانياً:- ألقى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، عضو المجمع المراسل من العراق ، بحثاً عنوانه : «تيسير تدريس النحو» ، عرض فيه على المؤتمرين قصة الجهود التي بذلها علماء العربية في سبيل «تيسير النحو» ، والخطوات التي عرفتتها مصر من أجل ذلك ، الى أن آل الأمر ، في أوائل الاربعينات إلى «مجمع اللغة العربية» .

وأشار الباحث إلى الندوة التي عقدها اتحاد المجامع العربية في الجزائر سنة ١٩٧٦ ، وخصها بموضوع التيسير ، والندوة التي تلتها وعقدت في عمان سنة ١٩٧٨ من أجل مواصلة دراسة الموضوع نفسه .

وتساءل الباحث بعدئذ عن الدافع الى طلب التيسير هذا ، ورد السبب الى الأمرين التاليين :

الأول:- تقويم اللسان ، وتحسين التعبير عن الأفكار بعربية سليمة .

الثاني:- انماء تذوق أساليب العربية ودعم انتشارها بين الشعوب غير العربية .

ثم بسط القول عن الفجوة بين اللسان والفكر عند المتعلمين وأساتذة «الجامعات»، وآثارها السيئة على الحياة الاجتماعية، من جهة، وعلى عرقلة تعريب التدريس في الجامعات، من جهة أخرى.

واستشهد الباحث بجملته للدكتور طه حسين يقول فيها: «نحن لا نستطيع إطلاقاً أن نبسط اللغة مهما كانت شاقة عسيرة، ولكننا نملك تبسيط تعليمها فقط»، مؤيداً هذا الرأي، وداعياً إليه قائلاً: «وان مما هو جدير ان يلتفت إليه ابتداءً، ان التيسير ليس في حذف مسائل من النحو او اختصارها، او تمهيد الوعر من مسالكه فحسب؛ ذلك جانب من جوانب التيسير وجزء من وظيفته، ولعله ليس اهم تلك الجوانب ولا اولها بالتقديم، وإنما الجانب الأهم والمقدم والأساس هو: فقه النحو، وفهم وظيفته على حقيقتها، وتكوين المعلم الذي يستطيع أن يدرك ذلك ويتمثله في ذهنه، ثم يكون قادراً على ابلاغ هذا الطراز من المعرفة إلى الذين يقوم على تدريسهم».

وأتى الباحث بأمثلة عن مصاعب النحو وتداخل علله، مما يستوجب استبعاد ذلك لأفضل منه، كما تكلم عن التراكيب والأساليب وأدواتها وضرورة دراسة حروف المعاني دراسة متدرجة، وتكلم عن الاعراب ومشاكله، وعن حروف المعاني ومواطن استعمالها، حاثاً على العناية بها، مع الابتعاد عن العبارات التي لا يفيد استظهارها دون فهم عميق لها.

وأكد الباحث أخيراً على ان تيسير تعليم النحو وعلوم العربية عموماً، ليس أمراً قائماً بذاته منقطعاً عما سواه، عن تعليم سائر المواد؛ فأمرها يتصل أوثق الاتصال بالعربية ويمهد لاتقانها. ثم أنهى بحثه قائلاً: «يجب أن تكون العربية الفصيحة هي لسان المعلم والمتعلم في حجرات الدرس، وأن تُهجر العامية في مجال اللقاء الدروس، وفي ما يجري من مناقشات ومحاورات في المحيط المدرسي، وبهذا يتقن الطلاب العربية».

ثالثاً: - ألقى الأستاذ سعيد الأفغاني، عضو المجمع المراسل من سورية، بحثاً عن «مزاعم الصعوبة في لغتنا».

بدأ الباحث كلامه عن منشأ هذه النغمة التي تتردد عن صعوبة العربية بين الحين والحين، في الصحف وبين طوائف متعددة من المثقفين، وبخاصة بين الأساتذة والمعلمين، مشيراً الى أن مطامع الفرنجة في بلاد العرب دفعت طائفة منهم الى طلب العربية ليسهل تحقيق تلك المطامع، فصعب عليهم اتقانها، فأشاعوا نغمة الصعوبة تمهيداً لقبول العامة بها كواقع هم فيه، فإذا دُعي الى العامية قويت، وتعددت لغات العرب وتشتتوا، وعندئذ يتساوى العربي والمستعرب في لغتهما.

وذكر الباحث ان مزاعم صعوبة العربية تتجمع في ثلاث:

- ١ - الحرف العربي .
- ٢ - الازدواج بين العامية والفصحى، او بين لغة الكتاب والقراءة، ولغة الحوار السوقية .
- ٣ - صعوبة القواعد العربية .

وترك الباحث تفنيد الزعمين الأولين لفساد أولهما، ولوجود الثاني قائماً في جميع لغات العالم من جهة، وللأمل الكبير في القضاء عليه مع انتشار التعليم في جميع اقطار العروبة، من جهة ثانية .

وتابع الباحث قائلاً: «بقي الأمر الثالث الذي زعموا في صعوبة قواعد العربية، وكان مصيره خليقاً أن يكون كمصير الزعمين السابقين، لولا أن كثرة ترديدهم له على الاسماع من حين إلى حين في سنين متباعدة، جعلت بعضنا يتوهم أن هناك مشكلة، وجعلتهم يفكرون ويطبّون لها دون دراسة ولا تمحيص».

ثم أخذ الباحث يعرض على المؤتمرين تاريخ تدريس النحو في سالف العصور، حتى عصر النهضة العربية في القرن الماضي، يوم ظهرت سلسلة «الدروس النحوية»، إلى أن كان ختام السلسلة بكتاب «قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية»، الذي تخرج فيه جيل كبير من المتفوقين في مختلف الأقطار العربية.

وأخيراً بيّن الباحث مسار الدعوة إلى تيسير تعليم النحو منذ اوائل هذا القرن، حتى دخلت إلى ندوات مجامع اللغة العربية، مؤكداً أن حقيقة المشكلة هي «أننا ندرّس أبناءنا بغير اللسان العربي القويم، أي نمارس عملنا في التعليم في غيبة من ضمائرنا ومن مراقبة الله في عملنا». وشرح ما يقصد بقيلته هذه قائلاً: «لقد آن لنا أن نوقن، يقينا لا شك فيه، بالبديهة التي سلم بها كل أصحاب الألسنة، وهي إن اللغات تكتسب بالممارسة سماعاً ونطقاً، لا بحفظ القواعد».



وعندما أعلن رئيس الجلسة فتح باب التعليق على الباحثين المتقدمين، جرت مناقشات مطولة، وطرحت أفكار محددة يمكن تلخيصها فيما يلي:

استنكر الأستاذ محمد الفاسي فكرة تيسير النحو، وقال الدكتور إبراهيم مذكور: إن حقيقة المشكلة هي تربوية، لأن اللغة لا تتقن إلا بالقراءة والكتابة والحوار، وأيد الدكتور اسحق موسى الحسيني الافغاني، مؤكداً على ان الدواء الشافي هو في ممارسة الطلاب التحدث بلغة سليمة، وقال الدكتور رشاد الحمزاوي: إن مشكلتنا تكمن في «منهجية تعليم النحو». ودعا الأستاذ الحبيب ابن الخوجة إلى جهد يحيى السليقة، وينمي الذوق العربي

الاصيل؛ وأكد الأستاذ عبدالله بن خميس على وجوب التلقي عن الاعلام في اللغة بالقدر الممكن.

واعترف الدكتور مهدي علام بالشكوى من الاعراب، وصعوبة تلقي العربية، مشيراً إلى مزاياها العظيمة. وأيد الدكتور محمد عزيز الحبابي ضرورة تسهيل بعض قواعد اللغة لتمكين من اللحاق بالركب الحضاري، مع ادخال تعديل على رسم الحرف العربي، ليتمكن العرب من الاستفادة من الحاسب الالكتروني. وقال الأستاذ محمد شوقي أمين: لا خلاف على أهمية المشافهة والسماع، ولكن المجمع وضع منهجاً لتبسيط تعليم العربية يجب ان يتبع. وقال الدكتور يوسف عزالدين: إن الصعوبات في تعلم العربية حق، ولا بد لتذليلها من تأليف لجان تتولى الأمر.

وهاجم الدكتور أحمد السعيد سليمان العامية وحمل على دعائها، مشيراً إلى حركة حديثة تهدف إلى تعزيزها وخاصة بالنسبة إلى الموفدين إلى الغرب للحصول على درجات علمية. كما حمل الأستاذ عبدالرزاق البصير على وسائل الاعلام التي تشجع العامية، وبيّن الأخطار التي تتعرض لها العربية في الخليج العربي.

واختتمت المناقشات بكلمة للدكتور عزالدين عبدالله، استنكر فيها تحميل النحو العربي مسؤولية ضعف العربية لدى جماهير المثقفين، مؤكداً أن هذا الضعف يرتبط بظواهر مرضية أخرى متفشية في المجتمعات العربية. ودعا إلى لزوم مكافحتها.

(الجلسة الرابعة)

عقدت الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال برئاسة الأستاذ الشيخ إبراهيم القطان، وجرت وقائعها على الوجه التالي :

أولاً:- ألقى الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، عضو المجمع المراسل من تونس، بحثاً عنوانه: «المعجم العربي في القرن العشرين»، استهله بتحية مجمع اللغة العربية في عيده الخمسيني، مشيراً الى الأطروحة التي قدّمها الى جامعة السوربون لنيل درجة (الدكتوراه)، والتي خصصها لبحث تاريخ المجمع وجهوده في سبيل العربية خلال السنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠.

وأكد الباحث على أن الكلام عن المعجم العربي في القرن العشرين ليس كلاماً عن قضية مفردة، بل هو كلام يشمل قضايا متعددة وشائكة، منذ أن ظهرت عدة علوم لغوية معاصرة متشابكة، يقتصر بعضها على الجوانب النظرية بينما يختص بعضها الآخر بالجوانب التطبيقية. ثم عرض الباحث على المؤتمرين المصطلحات العربية المقترحة لتكون بديلة للمصطلحات الاجنبية في تلك العلوم.

وعرض الباحث لتعريف «المعجم» في ضوء علم اللسانيات، ولحقيقة «المعجم» من حيث مضمونه ومحتواه وترتيبه ومصادره، مستنداً في بحثه على امثلة منتزعة من كتب حديثة في هذا الموضوع، بعضها له وأخرى لعلماء آخرين تخصصوا بالعلوم المشار اليها، وعلى امثلة منتقاة من معجم

المجمع «الوسيط»، مقترحاً ترتيباً منطقياً في عرض المادة اللغوية او في تعريفها بما يليق بـ«معجم القرن العشرين».

وانهى الباحث بحثه بخاتمة قال فيها: «إن العرض المتواضع الذي قدمناه في شأن المعجم وقضاياه، يهدف بالضرورة الى الاهتمام بتلك القضايا بالاعتماد على تراثنا اللغوي، الذي ما زال يحتاج الى تحليل ووصف واستقراء حتى ننزله منزلته من التفكير اللغوي الإنساني ماضياً وحاضراً، وعلى ضوء الدراسات اللسانية الحديثة التي نرجو أن نستوعبها استيعاباً ذاتياً، وأن نسهم فيها حتى تصبح أداة من أدوات تطوير المعجم العربي وتقدمه - ورجاؤنا ان يخصص مجمعنا مِدراساً خاصاً للسانيات العربية المعاصرة - وهي موجودة ومفيدة لاستقراء مبادئها، واعتماد طرقها ومناهجها لترقية العربية ومعالجتها».

ثانياً: - ألقى الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع الأردني، بحثاً عنوانه: «نحو معجم موحد للألفاظ الحضارية».

استهل الباحث حديثه بتحية حب وتقدير حملها الى مجمع اللغة العربية في عيدهِ الخمسيني من المجمع الأردني، ثم تحدث عن النهضة العربية المعاصرة، وما استتبعته من نهضة لغوية استهدفت اعلاء شأن الفصحى لتحل في المكانة التي يجب أن تكون فيها، مشيراً إلى التحديات التي واجهتها، وما زالت تواجهها من قبل خصومها والحاquدين عليها دعاة العامية واشباههم. ثم تحدث عن جهود مجامع اللغة العربية في الوقوف في وجه اولئك الخصوم، وعملها الدائب للحفاظ على سلامة العربية، مؤكداً ان انتصار العربية لا بد له من قرار سياسي يفرضها في جميع المدارس والجامعات.

وتناول الباحث بعدئذ الحديث عن الثروة اللغوية العارمة التي رافقت النهضة العربية منذ العشرينات من هذا القرن، داعياً الى ضرورة توحيد الجهود في سبيل توحيد الألفاظ الحضارية التي نشأت في كل قطر مختلفة عن ألفاظ مماثلة نشأت في قطر آخر، مؤكداً على ضرورة (وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة، يشتمل على جميع الألفاظ التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية ومعاشه، كما تحتم - الضرورة - كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحدة، كما هو الشأن في لغتنا الأدبية الواحدة).

وأخيراً أكد الباحث على الدور الذي يجب ان يضطلع به اتحاد المجامع العربية من اجل وضع المعجم المتشود، متبنياً قول من يقول: «إن صناعة المعاجم عندنا في أزمة، وهي بعيدة كل البعد عن مساهمة التقدم الفكري والحضاري في العالم العربي الحديث، وفي العالم الكبير الذي يعيش المدنية المذهلة التي انبثق عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين».

ثالثاً:- ألقى الدكتور غريغوري شرباتوف، عضو المجمع المراسل من الاتحاد السوفييتي، بحثاً تحت عنوان «بعض خصائص لغة المخاطبة ومكانها بين العامية والفصحى».

استهلّ الباحث حديثه بقوله: «كانت الدراسات العلمية لل لهجات العربية من أهم اتجاهات مجمع اللغة العربية، باعتبارها مصدراً قيماً لدراسة تاريخ اللغة». ثم تكلم عن التطور التاريخي والاجتماعي للبلدان العربية منذ أوائل القرن العشرين، الذي تجلّى عن نزعة ملموسة إلى التقارب والتفاعل فيما بين الفصحى الأصيلة والعاميات المختلفة في مختلف الاقطار العربية بصورة عامة، وبين اللهجات المتفاوتة للمدن والقرى في القطر الواحد بصورة

أخص، والذي حصل بتيجته تكوّن لغة ثالثة ارتفعت عن العامية المحكية دون أن تدرك الفصحى، وهي ترتفع باستمرار بتأثير وسائل الاعلام العربية، من صحافة واذاعة مسموعة او مرئية، ومن سينما ومسرح، وبتأثير انتشار التعليم وحركات محو الأمية.

وتكلم الباحث عن تطور الخصائص التكوينية والوظائفية والأسلوبية للغة العربية، وعن أثر هذا التطور في نشوء اللغة الثالثة - لغة المخاطبة - التي هي بين العامية والفصحى. ثم تحدّث عن مستويات لغة المخاطبة داخل القطر الواحد، ولغة المخاطبة فيما بين ابناء عدد من الأقطار، وجاء بأمثلة مطولة من العاميات المتفاوتة رطانة بين مختلف قرى ومدن القطر الواحد وسائر اقطار العروبة. وكادت هذه الامثلة تعطي فكرة عن صاحبها بأنه من الدعاة الى العامية او المحكية، لولا أنه انهى حديثه قائلاً: «أيها الزملاء الاجلاء: باهتمامنا بدراسة اللهجات العربية ولغة المخاطبة اليومية، لسنا من دعاة اللهجات - العاميات - إنما نحن من أنصار اللغة العربية الفصحى، ولهذا السبب لا يجب اهمال الواقع اللغوي الاجتماعي، لكي تحلّ اللغة العربية الفصحى مكانتها في كل عائلة عربية، وكل مدرسة وجامعة عربية».

وختم الباحث المستعرب حديثه بتحية اطلقها باسم رئاسة مجلس العلوم السوفييتي، وباسم جمهوريات الاتحاد السوفييتي إلى أعضاء مجمع اللغة العربية، لجهودهم الكبيرة في سبيل تطوير اللغة العربية، مشيراً الى اهتمام الاتحاد السوفييتي وعلمائه بتدريس اللغة العربية قائلاً: «ولعلكم تعلمون أن - في بلادنا - ثلاثين مليون مسلم؛ فاللغة العربية تدرس هنا اليوم في المدارس الابتدائية والثانوية، وفي الجامعات كذلك. والكلمات الثلاث الأولى التي يكتبها اطفالنا الصغار بالعربية على السبورة... هي: الصداقة والسلام والسعادة».

وبعد أن شكر رئيس الجلسة المستعرب الدكتور شرباتوف على بحثه،
وأشاد بالباحثين اللذين تقدماه، أعلن فتح باب المناقشة والتعليق. فقام
الدكتور ابراهيم مذكور يهنىء الدكتور شرباتوف بعربيته الواضحة السليمة،
وأعرب عن أمله في أن تقود جهود محبي الفصحى الى عربية سهلة سليمة،
يتبادل بها جميع العرب في مختلف اقطارهم، الخطاب والكتاب.

وعلق بعض الزملاء تعليقات عاجلة على ما سمعوه، واشترك الدكتور
عبدالله الطيب في التعليق، مشيداً بالتحليل المنهجي لضروب اللهجات
العربية الدارجة في مختلف البلاد العربية، وطالبا اضافة أثر الادب الشعبي
في لغة المخاطبة، وبالتالي على صناعة المعاجم.

كما علق الأستاذ عبدالرزاق البصير على الأحاديث التي سمعها،
وهاجم بشدة اللهجات العامية التي تسود في دول الخليج العربي، محذراً
من خطر تشجيعها وانتشارها على اللغة الفصحى.

وبعد أن شكر رئيس الجلسة الباحثين والمعلقين أعلن ختامها.

* * *

(الجلسة الخامسة)

عقدت الجلسة الخامسة من جلسات الاحتفال برئاسة الدكتور إبراهيم
مدكور رئيس المجمع، وجرت وقائعها على الوجه التالي :

أولاً:- افتتح الرئيس الجلسة، وأفاد الحضور بأن فقيده المجمع
الدكتور عبدالرزاق محيي الدين، الرئيس السابق للمجمع العلمي العراقي،
كان قد أعد قصيدة يحيي بها مجمع القاهرة في عيده الخمسيني، ففجأه
الأجل وانتقل الى جوار ربه قبل ان تتاح له فرصة القائها. ولما كانت جلستنا
هذه مخصصة للكلام عن شعراء المجمع، فأنا ادعو زميل الفقيه الدكتور
احمد عبدالستار الجوارى ليتفضل بالقاء القصيدة.

قام الدكتور الجوارى بالقاء قصيدة تحمل عنوان «مع الخالدين» وتبلغ
نحواً من خمسين بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية :

غنيت عيدك للأقلام والكتب فعيدت آبدات العلم والأدب
وقلت: مصر ابنت صرحاً لمقولها فقال كل لسان: ليتني عربي
يا معربين وأرض العرب لأحنته وكاتبين ودنياهم بلا قصب
جرّبتموها خلافات بلا سبب فجرّبوها لقاءات على سبب

يا مجمع الخالدين، الخالدين به لا بالحطامين من جاه ومن نسب
سبحانك الله علاماً وهبت لهم من فيض علمك ما استعصى على الحقب

علوت يا بيت ابراهيم مذكراً بالآل والصحب والأنصار والعقب
في كل عام لنا حج وتلبية لم تخل من نصب، لم تشك من تعب

مصر، وما مصر في دنيا عروبتنا إلا الجنان والاملتقى العصب
كبرى الشقائق أحناهن عاطفة وسطى الطرائق إن تمنع وإن تهب
تألفي ما تناءى من مذهبنا وقربي فهو أزكى البر والقرب
حيث عمان في اعلام مجمعها ومجمع الشام في اعلامه النجب

ثانياً:- ألقى شاعر الأهرام الزميل محمد عبد الغني حسن محاضرة
عامه عنوانها «مجمعيون شعراء...».

كانت المحاضرة، محاضرة شاعر عن شعراء معاصرين له، عرف
أكثرهم عن قرب، وتخرج على بعضهم أيام الطلب، وزامل آخرين منهم في
التدريس أو في المجمع، كما تبادل مع عديد منهم آيات من الود والتقدير.

قدم المحاضر لمحاضرتيه بنبذة عن علماء اللغة والنحويين القدامى،
الذين انقاد لهم الشعر وذل لهم عصيه، فنظموا وحلقوا في أبيات أو قصائد
أثرت عنهم، فخلدت أسماءهم كما لم يخلدها علمهم ونحوهم. واستشهد
بأبيات لطيفة المعنى وذات حكمة بالغة أو عالية الدلالة على الشمم، مما
ينسب للخليل بن احمد، أو لابن فارس، وابن السكيت، وابن خالويه،
ومكي بن أبي طالب، أو للمالكي القرطبي.

ثم بدأ المحاضر كلامه عن الشعراء المجمعين بذكر أمير الشعراء
أحمد شوقي المتوفى سنة ١٩٣٢، ففاته قطار الفوج الأول الذي دخل المجمع
سنة ١٩٣٣.

استهل المحاضر تعداد شعراء المجمع بذكر إبراهيم المازني، الذي دخل المجمع سنة ١٩٤٧، معللاً تقديمه على كل من علي الجارم، الذي دخل المجمع سنة ١٩٣٣، وعباس العقاد الذي دخل المجمع سنة ١٩٤٠، بشاعريته الاصيله، مستشهداً بالعقاد نفسه، ماراً على ذكر الحملة التي شنها العقاد، مشتركاً فيها مع المازني، على أحمد شوقي وعلى شعراء المدرسة القديمة كلهم.

وعاد المحاضر الى الكلام عن علي الجارم، الذي نظم الشعر مذ كان طالباً في الأزهر، واستمر يعلو بشعره حتى بلغ القمة. وهو القائل . .

إنما الشعر على كثرته لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين:
نفحة قدسية أو هذراً ليس في الشعر كلام بين بين

واستشهد المحاضر على رقة الجارم وغنائية شعره بغناء أم كلثوم:
مالي فنتت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحة إلاك
فإذا وصلتِ فكلّ شيء باسم وإذا هجرت فكل شيء باكي

وقال المحاضر، إن كان المجمع قد خسر عام ١٩٤٩ شاعراً كبيراً مثل علي الجارم، فإنه ربح بعد عشر سنوات، أي سنة ١٩٥٩، شاعراً فذاً هو عزيز أباظه، وكان من رجال القانون والادارة، ولكنه يعدّ الأول، بعد شوقي، في الفحولة وريادة المسرح الشعري.

ثم تحدث عن شعراء الديباجة والرصانة من المجمعين، فأتى على ذكر حسن القاياتي، وهو من السابقين الى وصف المخترعات الحديثة؛ وعلى ذكر عبدالوهاب عزام المتصوف الذي تأثر كثيراً بما ترجمه من شعر عن الفارسية والتركية.

وتكلم المحاضر على حفنة من شعراء المجمع، لم يهتم واحد منهم بجمع شعره، وعدد من هؤلاء طه حسين، ومصطفى عبدالرزاق، والفاضل ابن عاشور، وعبدالفتاح الصعيدي، واسحق موسى الحسيني. وأتى بعدئذ على ذكر الشعراء (الدراعمة)^(٢) وهم: علي الجندي، ومحمد خلف الله أحمد، ومحمد مهدي علام. ثم قال: (ويسعدني أن أجيء تالياً لهم). وجاء بمقتطفات من شعر كل واحد منهم معلقاً عليه، تاركاً تقدير شعره هو لغيره.

ثم أتى المحاضر على ذكر شعراء المجمع من سائر الأقطار العربية، فذكر منهم:

- ١ - عبدالله كتون، من المغرب، مشيداً بمقدرته على طرق مختلف أبواب الشعر.
- ٢ - عبدالله الطيب، من السودان، الشاعر الفحل الذي يعشق النيل والغريب من الألفاظ.
- ٣ - محمد رضا الشيبلي، من العراق، صاحب الشعر الوطني القومي.
- ٤ - محمد بهجة الأثري، من العراق، صاحب الروائع المجمعية.
- ٥ - عبد الرزاق محيي الدين، من العراق، الشاعر العاطفي الرقيق.
- ٦ - عمر فروخ، من لبنان، الشاعر المسلم المجيد.
- ٧ - أمجد الطرابلسي، من سورية^(٣)، وهو شاعر من المحلقين.

(٢) كلمة من المنحوتات العصرية وتعني خريجي دار العلوم في مصر.

(٣) محاضرة الزميل الشاعر المجمع الكبير كانت منعمة حقاً، كما كانت جامعة الى حد كبير، وفيها مخطط لمؤلف جديد في عالمي الادب والنقد يضاف الى مؤلفاته القيمة العديدة - بعد ان يسد ثغراته ويلحم اجزائه؛ ولعله اذا ما أراد ذلك يرجع الى سجلات المجمع، فيجد بعض الشعراء المنسيين بين اعضائه. ويحضرنا من هؤلاء: اعضاء عاملون من طراز مصطفى الشهابي، والشيخ عبد القادر المغربي، واعضاء مراسلون وفيهم فحول امثال خليل مردم بك، وشفيق جبيري، وفارس الخوري، وزكي المحاسني - انظر كتاب الدكتور شوقي ضيف «مجمع اللغة في خمسين عاماً» القاهرة

٨ - حسن قرشي، من السعودية، صاحب زحام الأشواق، وهي اشواق متراكمة: فمن شوق إلى المجهول أو إلى الحقيقة، إلى شوق إلى تغيير الواقع المرير الذي يعيشه العرب اليوم.

٩ - عبدالله بن خميس، من السعودية، الشاعر الفحل الذي ينم شعره عن صفاء البادية وكرم المحتد.

١٠ - يوسف عزالدين، من العراق، الشاعر الذي يحمل شعره طابع الحزن والألم، وتظهر فيه قسوة عيش مضت ممزوجة بالامل ومحبة الناس.

وكرر المحاضر عائداً الى ذكر من فاته ذكرهم من شعراء المجمع المصريين، فذكر ابراهيم الدمرداش، وحسن علي ابراهيم، ومحمد الخضر حسين، ومحمد محمود الصياد.

ثم أشار الى اربعة من كبار المجمعين، وكلهم مجيد ولكن مقل، وهم: عبدالعزيز فهمي، وحسين والي، وأنيس المقدسي، وعيسى اسكندر المعلوف، وهو والد كل من فوزي وشفيق ورياض المحلقين بشعرهم مجدداً وخلوداً.

واستدرك المحاضر مرتجلاً: إن القصيدة التي سمعناها اليوم من زميلنا ابراهيم السامرائي لتشده شداً الى قائمة (شعراء المجمع). ثم حانت من المحاضر نظرة نحو الدكتور ناصر الدين الاسد، فأبدى اعتذاراً مشوباً بالعتب لأن الأسد ضنين بنشر شعره وجمعه.

وعلى ذكر الكتاب المرجع الذي اشرنا اليه نقول: لو ان مؤلفه سجل فيه اسماء جميع اعضاء مجمع دمشق يوم اتحد ومجمع القاهرة في مجمع واحد سنة ١٩٦٠ - تخليداً للذكرى واقعة تاريخية لا ينكرها احد - لوجد شاعرنا المحاضر نفسه فجأة أمام قمتين من قمم الشعر في عصرنا الحديث، هما المجمعيان بدوي الجبل، وعمر ابو ريشة!

وبعد أن انهى المحاضر كلامه، شكر له رئيس الجلسة محاضرتَه الممتعة، وفتح للمستمعين باب المناقشة والتعليق، فقام بعض الزملاء يشكر للمحاضر ذكره في عداد الشعراء المجمعين، غير أن الدكتور عبدالله الطيب، وقد سمع ما قاله المحاضر عنه وعن عشقه النيل كما يعشق الغريب، استأذن بتلاوة شعر حضره وهو يستمع الى المحاضرة، ثم انشد قصيدة طويلة، بعض ما فيها الأبيات التالية:

مَضَى عَلَى مَجْمَعِ الضَّا	دِ نِصْفِ قَرْنٍ فَحَيُّوا
خَمْسُونَ عَامًا تَصْرُمُ	نَ وَهُوَ بَعْدُ صَبِيٌّ
يَقُولُ إِنِّي بَدَأْتُ أَلْ	مَسِيرَ نَعَمِ الْمُضِيِّ
إِنَّ التَّخْلُفَ عَارٌ	إِذَا الْعَسْقُولُ الْمَطِيُّ
خَمْسُونَ عَامًا تَصْرُمُ	نَ سَيْرُهَا جُلْدِيٌّ (٤)
أَحْيَا الْفَصِيحَةَ فِيهَا	نَ جُهْدُهُ الْمَرَضِيُّ
وَعَابَ عَنْهُ رَجَالٌ	مَا الدَّمْعُ فِيهِمْ عَصِيٌّ
وَلِلْمَنَايَا سَهَامٌ	تَرْمِي وَنَحْنُ الرَّمِيُّ (٥)

بِالضَّادِ تَفْتَرُ مِصْرُ	وَشَفْبُهَا الْعَرَبِيُّ
وَلَسُنُّ يَزَالُ بِمِصْرٍ	لِلضَّادِ حَزْبٌ وَفِي
وَلِلْحَنِيْفَةِ رَكْنٌ	فِي أَرْضِ مِصْرٍ قَوِيٌّ
وَالنَّيْلُ مِنْ جَنَّةِ الْخَلْدِ	دِ مَاؤُهُ الْكَوْثَرِيُّ

(٤) الجلدي بضم الجيم وسكون اللام: الشديد.

(٥) يشير الشاعر الى الزملاء الذين افتقدهم المجمع في السنوات الاخيرة. وقد جاء على ذكر اسماء بعضهم في القصيدة.

قد هَيَّجَ الشُّعْرَ هَذَا اللُّقَاءَ وَهُوَ حَرِيٌّ
 إِذْ هَزُّ أَعْمَاقَ نَفْسِي مَجَالَهُ الْفِكْرِيُّ
 وَالشُّعْرُ وَالْفِكْرُ صَنَوْا نِ قَدْ قَضَى الطَّائِيُّ (٦)
 فَقُلْ لِمَنْ عِنْدَهُ الْوِزُّ نَ مَذْهَبُ رَجَبِيِّ
 دَعِ الْمَحَاكَاةَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَحَاكَاةَ عَيْ
 وَسِنْخُهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ كَلَّهُ أَجْنَبِيٌّ (٧)
 إِنْ أَسْتَجِيدَ لَدَى الْقَوْمِ مِ فَعِنْدَنَا زَرِيٌّ

عَبْدُ الْغَنِيِّ وَبِالْقُضُ لِي إِنَّهُ لَغَنِيٌّ
 أَشَادُ بِي فَجَزَاهُ اللَّـهُ هُ الْحَكِيمُ الْعَلِيُّ
 خَيْرَ الْجَزَاءِ وَعِنْدِي لَهُ الثَّنَاءُ الزَّكِيُّ
 ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَكَلِّكُمْ بِي حَفِيٌّ (٨)

(٦) الطائي هو الشاعر أبو تمام، قال في الشعر: ولكنه صوب العقول، كما قال: خذها ابنة الفكر.

(٧) سنخ الشيء: أصله ومفرزه وتنته.

(٨) تجاوزت القصيدة ثمانين بيتا ووردت فيها أسماء كثيرة، كما جاء فيها بعض الغريب من الألفاظ

اضطر معها الشاعر لشرحها بنفسه، لتدوينها مشروحة في محاضر جلسات الاحتفال.

(الجلسة الختامية)

عقدت الجلسة السادسة والختامية من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسيني للمجمع برئاسة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع، وجزت وقائعها على الوجه التالي :

أولاً:- ألقى الدكتور حسني سبح، رئيس مجمع دمشق، بحثاً بعنوان: «المعجمات وتوحيد المصطلح الطبي»، عرض فيه لتاريخ وضع المعاجم الطبية الثنائية اللغة في مختلف الأقطار العربية، سواء فيها الشامل لمفردات معظم علوم الطب، أم المختص الذي اقتصرت مواده على فرع واحد من فروع الطب، وسواء أكانت من صنع فرد أو أفراد أو من صنع هيئة من الهيئات، وذلك بدءاً من القرن الماضي الى ان اثمرت الجهود المختلفة لتوحيد المصطلح الطبي بصدور «المعجم الطبي الموحد»، الذي وضعته هيئة من كبار الاطباء العرب بتكليف من الهيئات التالية: مجلس وزراء الصحة العرب، واتحاد الاطباء العرب، ومنظمة الصحة العالمية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وذلك في طبعته الثالثة على مطابع (ميدليفانت) في سويسرا في نهاية عام ١٩٨٣، التي اشرف عليها الدكتور محمد هيثم الخياط، عضو مجمع دمشق. والمعجم ثلاثي اللغة بالعربية والانكليزية والفرنسية.

وانهى الدكتور سبح حديثه بقوله: «هذا آخر ما أدت اليه المساعي الحميدة من أجل توحيد المصطلحات الطبية العربية، ولا شك أن غيرها من العلوم الاخرى لقيت، وستلقى الاهتمام المرتجى، لنخلص الى التأكيد بأن لغتنا المقدسة لغة حية خالدة».

وشكر رئيس الجلسة للدكتور سبيح عرضه التاريخي القيم، وشاركه في أن مشكلة توحيد المصطلحات العلمية ستظل قائمة، ما لم تتضافر جهود المتخصصين ويحشدوا طاقاتهم في هذا السبيل.

وسأل الدكتور يوسف عز الدين الدكتور سبيح تقويم تدريس الطب بالعربية في جامعة دمشق، فأجابه بأن جامعة دمشق خرّجت آلاف من الأطباء، منهم من أصبح من أساتذة الطب في الجامعات الأمريكية، وأردف قائلاً: «إن التعليم باللغة العربية لم يحل دون تقدم الطب في سورية، كما يحلو للبعض ان يردد هذا الزعم!»

ثانياً: - ألقى الدكتور محمود مختار، عضو المجمع، بحثاً بعنوان «مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمي».

بدأ الباحث بحثه بالتفريق بين لغتي العلم والأدب، معدداً ما تتميز به لغة العلم، مشيراً الى أن أهم أسباب عجز اللغة العلمية في المجتمع الضعيف عن ايفاء متطلبات العلم، اهمال هذا المجتمع لغته القومية في التعليم، واحلاله لغة اجنبية مكانها.

ثم تكلم عن واقع التعليم باللغة العربية، وأشار الى الصيحات التي تعالت في الثلاثينيات من هذا القرن محذرة من اخطار التعليم الجامعي بغير العربية، وأسباب عدم الاستماع الى هذا التحذير، الى أن تسلمت الى مجتمعاتنا دعوى عقم العربية، وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة.

وقال الباحث: «رب قائل يقول: ان موضوع التعريب في الجامعات لا يحتاج الا الى تشريع يلزم الجامعات بتدريس العلوم بالعربية». ثم انتهى الى القول: «هذا صحيح ولكنه لا يعدو أن يكون نقطة بداية فقط».

ثم اوضح السبيل الواجب سلوكها لتمكين العربية من مواجهة حضارة العصر الحديث، واستيعابها علومه ومصطلحات هذه العلوم المنهجرة باستمرار.

وبعد أن تحدث عن معوقات التعريب الفوري، دعا الى وجوب تضافر الجهود للقضاء عليها، مشيداً بصنيع مجمع اللغة العربية في هذا المجال. وذكر المعاجم التي استطاع صنعها في مختلف العلوم المعاصرة. وختم كلامه بتحية جميع العاملين في وضع المصطلحات العربية وتوحيدها.

وشكر رئيس الجلسة للباحث دقة البحث وعمقه، ثم فتح باب المناقشة، فاشترك بالتعليق على البحث كل من الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، والدكتور ابراهيم مذكور، والاساذ محمد بهجة الأثري، والدكتور محمد عزيز الحبابي، والدكتور عبدالله الطيب؛ فبين كل واحد وجهة نظره، وكانوا بين محبذ لسرعة اتخاذ قرار سياسي لتعريب التعليم الجامعي، وراج اتخاذ الأسباب المؤدية لنجاح القرار السياسي قبل اتخاذه!

ثالثاً:- ألقى الدكتور يوسف عز الدين، عضو المجمع المراسل من العراق، بحثاً بعنوان «المعجمات العلمية وتوحيد المصطلح العربي».

عدّد الباحث سبل وضع المصطلحات العلمية، وأستعرض اسماء كتب العلوم الطبية التي استخدمت عند بدء تدريس الطب وكانت بالعربية، ووصف وضع المصطلحات وجمعها بأنها قضية قومية هامة.

وهاجم الباحث ناشري الكثير من المعجمات، لأن الروح التجارية تسيطر عليهم، ولما يورثه عملهم من بلبلة في وضع المصطلحات وتباينها في الأقطار المختلفة.

شكر رئيس الجلسة للباحث ببحثه وعلق على بعض ما ورد فيه، فاتحا للزملاء باب مناقشته .

وجرت مناقشات حامية اشترك فيها كل من الزملاء : الدكتور محمد رشاد الحمزاوي ، الذي أصر على ضرورة الاتفاق المسبق على قواعد توحيد المصطلحات، فتصدى له الدكتور ابراهيم مذكور. وعلق الدكتور سليمان حزين على موضوع توحيد المصطلح العلمي ، مؤكداً ان العربية لا تتحمل القيود التي يرى بعض الزملاء ضرورة الاخذ بها، مبشرا المتشائمين منهم بان تعريب التعليم الجامعي آت لا محالة، ولكن يجب ان لا نستعجله قبل الاعداد له . .

وتساءل الدكتور حسني سح : كيف تدرس جميع دول البحر الابيض المتوسط الطب بلغاتها القومية، ويخشى العرب فقط من تدريسه بالعربية على مستواه؟ وعاد الدكتور حزين الى التأكيد بأن المشكلة ستحل نهائياً قبل مرور خمس وعشرين سنة، ومن تلقاء نفسها!

رابعاً:- ألقى الدكتور عبد الهادي التازي ، عضو المجمع المراسل من المغرب، بحثاً بعنوان : الكتابة العربية بواسطة ارقام الحساب» .

شرح الباحث الاسلوب الذي كانت السلطات المغربية السياسية تتبعه في تسمية مراسلاتها في القرن الماضي ، مبيناً ان تلك السلطات كانت تستخدم الارقام الغبارية للدلالة على الفاظ او جمل محددة مسبقاً بين المتخاطبين، على نحو يقرب مما يعرف في العصر الحديث (الشفيرة) .

وتضمن البحث دعوة خفية لاستخدام الارقام الغبارية لثبوت اصالتها العربية، ودعاية الى الترميز المغربي للحروف العربية لاستخدامها في الحاسبات الالكترونية.

وشكر رئيس الجلسة للدكتور التازي بحثه، مشيراً الى بعض قرارات المجمع من اجل صور بعض الحروف اللاتينية التي لا نظير لها بالعربية.

خامساً:- ألقى الدكتور علي حسن فهمي، الخبير بالمجمع، بحثاً بعنوان: «اللغة العربية والحاسب الآلي».

بدأ البحث بالاشارة الى الاهتمام الذي يوليه العالم المتحضر للصناعات الالكترونية عامة والحاسبات منها خاصة. ثم تناول الباحث مشكلة برمجة الحاسبات الالكترونية وما طرأ عليها من تطوير سريع، واللغات التي تستخدم في تلك الحاسبات وصفاتها.

ثم تكلم الباحث عن شيوع استخدام الحاسبات في العالم العربي في بعض المجالات التجارية والحسابية، مبيناً ان استخدام الحاسبات الالكترونية في نواح كثيرة يتوقف على حل بعض مشاكل البرمجة بالنسبة للغة العربية.

وذكر الباحث أن برمجة الحاسبات الالكترونية وتبادل المعلومات بوساطتها باللغة العربية، انما يتوقف على الرموز التي تستعمل بدل الحروف العربية، ولا بد للرموز من معايير وقياسات. ثم تكلم عن المحاولات التي تمت لوضع رموز للحروف العربية، وغيوب تلك المحاولات، ثم بين أن المطلوب من أجل ترميز الحروف العربية ترميزاً موحداً لجميع البلاد العربية ان يكون:

- ١ - متفقاً مع النظم العالمية للاتصالات .
- ٢ - متفقاً مع الاستخدامات الحالية والمستقبلية للحاسبات .
- ٣ - صالحاً للاستخدام المزدوج بالعربية واللاتينية معاً .
- ٤ - سليماً من حيث الترتيب الهجائي للحروف العربية ، صالحاً للابحاث اللغوية .

وأخيراً تكلم الباحث عن نظم تسجيل البيانات في الحاسبات الالكترونية، وطرق استخدامها لتبادل المعلومات، وعن ضرورة ايجاد لغة عربية واحدة لتستعمل في تدوين البرامج، على ان تتوفر فيها الصفات التالية :

- ١- سهولة التعبير لتمكينها من الانتشار .
- ٢- التكامل لتفي بأنواع البرامج .
- ٣- قابلية التطوير لضمان مستقبلها .
- ٤- مرونة في التطبيق لتسهيل تنفيذ مختلف البرامج بها .
- ٥- قابليتها للترجمة والتحليل الآلي .

وشكر رئيس الجلسة للسيد الخبير بحثه، وفتح باب التعليق عليه، فعلق الزملاء الدكتور مهدي علام، والاستاذ سعيد الافغاني، والدكتور عبد الهادي التازي، والاستاذ محمد بهجة الأثري، متفقين على اهمية الموضوع، وعلى ضرورة العناية به دون تسرع .

* * *

وأعلن الرئيس ختام جلسات الاحتفال بالعيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية، وصرف النظر عن اتخاذ اية توصيات، اكتفاء بالتوصيات التي ستصدر عن المؤتمر العام السنوي الذي ستوالي جلساته عقب هذه الجلسة .

الاتجاهات اللغوية للطلبة الجامعيين العرب

تركيبها العاملي والمتغيرات المؤثرة بها

- ١- للدكتور محمد راجي الزغول
جامعة اليرموك
- ٢- ولوسين تأمينيان
كلية المجتمع / اربد

* ليقول الآخرون ان لغة شعبنا فقيرة.

اما أنا فأستطيع أن أقول بلغتي كل ما

أريده. ولست في حاجة الى لغة اخرى

كي أعبر عن أفكاري ومشاعري.

رسول حمزاتوف

من كتابه بلادي داغستان

منذ بداية عصر نشوء القوميات في القرن التاسع عشر، ارتبطت اللغة بالقومية ارتباطاً وثيقاً، وتطورت هذه العلاقة فيما بينهما لدرجة أصبحت معها اللغة من الخصائص المعرفية لقومية ما. وفي مرحلة الاستعمار التي أعقبت عصر ظهور القوميات، لجأ المستعمر في محاولته لفرض سيطرته على الشعوب المستعمرة وتشويه هويتها القومية، الى طمس اللغة الأم لتلك الشعوب، فأحلّ لغته محل هذه اللغات في مجالات عديدة، أهمها الادارة والتعليم، بحجة تسهيل ادارة البلاد، وبحجة أن لغات تلك الشعوب فقيرة، وغير قادرة على استيعاب ما يجد من تطورات. ونتيجة لهذه السياسة، أصبح اتقان لغة المستعمر شرطاً ضرورياً للتحصيل العلمي والارتقاء الوظيفي، وبالتالي امتيازاً مقتصرًا على فئة اجتماعية قليلة العدد، ارتبطت مصالحها بمصالح المستعمر. فتراجعت لغات الشعوب المستعمرة لتصبح لغات التداول اليومي لعامة الناس فقط. وخير مثال على ما حدث لهذه اللغات هو حال اللغة العربية في اثناء الاستعمار البريطاني والفرنسي للبلاد العربية: ففي عهد الاستعمار البريطاني لبعض بلدان المشرق العربي، فرضت الانجليزية لغة للادارة والتعليم، فأصبحت هي اللغة المسيطرة، لما يوفره اتقانها من امتيازات وظيفية واجتماعية. ولقد كان وضع العربية اسوأ في بلدان المغرب العربي، حيث حاول المستعمر الفرنسي محو اللغة العربية كلياً، كجزء من سياسة الفرنسة.

ولقد قاومت الشعوب العربية المستعمر مقاومة ضارية، وتمسكت بلغتها العربية رداً على سياسة المستعمر بطمس تلك اللغة، وطالبت القوى الوطنية العربية التي قادت معركة الاستقلال - من بين ما طالبت به - بضرورة جعل اللغة العربية لغة التداول في جميع اوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. الا ان هذه القوى لم تكن تملك في تلك الفترة تصوراً متكاملًا لكيفية تنفيذ هذا الهدف، والمعوقات التي يمكن ان تحول دون التنفيذ

الفوري . وفي هذا الصدد يشير شحنة (١٩٦٩ : ١٠٩) الى أن الاتجاهات اللغوية لقيادة الثورة الجزائرية كانت منصبة على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة الجديدة، بغض النظر عن امكانية تحقيق مثل هذا الهدف، في الوقت الذي كان معظمهم يؤثر التحدث بالفرنسي بدلا من العربية .

وبالرغم من المعوقات الكثيرة حققت عملية التعريب نجاحات لا يستهان بها . الا ان هذه النجاحات تتفاوت من بلد الى آخر؛ فبالرغم من كون العربية الآن اللغة الرسمية لجميع البلدان العربية، فان مدى استعمالها في التعليم، مثلاً، يتفاوت من بلد الى آخر . ويظهر هذا التفاوت اكثر ما يظهر في التعليم الجامعي، اذ يقتصر استعمالها على عدد قليل من الجامعات العربية، ولم يتح المجال للعربية بعد لتأخذ مكانها الطبيعي كلغة للعلم في الجامعات العربية، اذ ما زالت الانجليزية لغة التعليم الجامعي في جل الجامعات العربية، وبخاصة في الكليات العلمية . وما زالت عملية التعريب الجامعي في بعض البلدان العربية تصطدم بمعوقات اهمها: ان قرار التعريب بجوهره قرار سياسي، يتضمن اتخاذه وضع سياسة لغوية شاملة، تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وحتى الآن لم يتم اتخاذ مثل هذا القرار - وان تم اتخاذه - فلم ينفذ فعلاً، ويعود ذلك لسببين، أولاً: ان من بيدهم سلطة اتخاذ مثل هذا القرار هم بعض ممن تلقوا تعليمهم في الغرب، وليس في صالحهم اتخاذ مثل هذا القرار؛ ثانياً: أن المجامع اللغوية، وهي من المؤسسات المؤهلة للضغط في اتجاه اتخاذ هذا القرار، ولوضع سياسة لغوية شاملة، لم تقم بواجبها في هذا المجال بشكل فعال . واقتصر اهتمامها على ترجمة المصطلح الاجنبي وتعريبه^(١) .

(١) من المؤسف أن الباحث لا يعرف الواقع على حقيقته، ولذلك جاء حكمه هذا مجاناً للواقع

(المحرر).

وهكذا بقيت اللغة الانجليزية لغة التعليم الجامعي في كليات العلوم، والرياضيات، وكليات الهندسة، والطب، في معظم الجامعات في البلدان العربية. ويلجأ المشرفون على الشؤون الادارية والتعليمية في هذه الكليات الى تبريرات كالتى يوردها صلاح العربي في مقاله المنشورة في مجلة (التعليم في الشرق الاوسط) (العربي ١٩٧٩ : ١٧٧) فيقول مبررا ذلك ان معظم الاساتذة في تلك الجامعات تلقوا تعليمهم في البلدان الناطقة بالانجليزية، وان اللغة الانجليزية هي لغة الابحاث العلمية التى تنشر في الدوريات المتخصصة، وهي لغة المؤتمرات والندوات التى تبحث في تلك المواضيع. ويورد آخرون تبريرات أخرى، ككون اللغة الانجليزية «لغة العلم» و«لغة التفاهم العالمى»، كما يسميها سامارين (١٩٦٢ : ٧٣) و«لغة التواصل الأبعد» كما يدعوها فثمان (١٩٧٧ : ٧).

ومن الملاحظ ان جميع هذه التبريرات تعتمد على أسباب قائمة على واقع متغير: فكون اللغة الانجليزية لغة العلم لا يعنى ديمومة بقائها كذلك؛ ففي مراحل مختلفة من تطور الحضارة الانسانية لعبت بعض اللغات، كاللاتينية واليونانية والعربية، في مجالات المعرفة المختلفة دورا لا يقل أهمية عن الدور الذى تلعبه الانجليزية الآن في حقل العلم. ومع تراجع الدور الذى كانت تلعبه تلك الشعوب، ماتت اللاتينية، وتراجعت اللغتان اليونانية والعربية، واقتصر استعمالهما على الشعوب الناطقة بهما. ان انتشار أية لغة من اللغات لا يعود لتمييز هذه اللغة في اى من خصائصها اللغوية على اللغات الاخرى، او حبا من الناس بها، بل لأسباب سياسية واقتصادية في الدرجة الاولى. ان الانتشار الواسع للغة الانجليزية، ترافق مع ظهور الاستعمار والسيطرة السياسية للعالم الناطق بالانجليزية على معظم شعوب العالم. وتوطد هذا الانتشار مع هيمنته الاقتصادية على الشعوب المستعمرة،

والتي ما زالت قائمة بالرغم من زوال الاستعمال (يسبرسن، ١٩٣٨، كونراد وفشمان ١٩٧٧).

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى يُجمع الباحثون في علم اجتماع اللغة على ان أي لغة، مهما كانت خصائصها اللغوية، قادرة على التطور، وان تطوّر أي لغة مشروط بالتطور الحاصل في مختلف نواحي الحياة للشعب الناطق بها، لا العكس. ونخرج من هذا بنتيجتين: أولاً: بما ان التطور العلمي والتكنولوجي لبلدان كالمانيا، والاتحاد السوفياتي وفرنسا واليابان لا يقل عن تطور البلدان الناطقة بالانجليزية، لا بد من الاعتراف بأن هناك «لغات علمية» اخرى، من ضمنها الانجليزية. ثانياً: ان فرض «لغة علمية» على مجتمع يعاني من التخلف العلمي لن يؤدي الى حصول تطوّر علمي. ان احدى اهم الوسائل لحصول مثل هذا التطور هي تعميم التعليم، اي جعله في متناول الجميع، ولن يتأتى ذلك الا بجعل اللغة الأم لغة العلم؛ ولن يتم هذا الا كما قلنا سابقا بوضع سياسة لغوية شاملة، يتطلب وضعها وتنفيذها تضافر جهود اللغويين والعلماء المتخصصين.

ومن هنا نرى ان الانتشار الواسع للغة الانجليزية، وكونها لغة علم، لا يبرر مطلقاً استعمالها لغة التعليم في بعض الجامعات العربية، وان مثل هذه الاجراءات تحرم اللغة العربية من فرصة التطور لتصبح هي الاخرى لغة علم، كغيرها من اللغات. ولا بدّ هنا من التنويه بأن اقتصار تعليم اللغات الأجنبية على اللغة الانجليزية، يحرم الطلاب العرب من حق الاطلاع على المنجزات العلمية والتكنولوجية لشعوب أخرى متطورة.

ان فرض الانجليزية لغة للتعليم الجامعي اجراء يرضي مصالح بعض ممن تلقى تعليمه العالي في البلدان الناطقة بها، الا أنه، بالتأكيد، ليس في صالح الطالب العربي، الذي يُطلب منه ان يقرأ ويستوعب مواد علمية بلغة غريبة عنه، يعجز عن استخدامها. ففي الاردن، مثلاً، وبعد ثماني سنوات من تعليم اللغة الانجليزية في المدرسة، يجد الطالب الجامعي نفسه عاجزاً عن استعمال هذه اللغة بكفاءة تمكّنه من تلقي التعليم الجامعي بهذه اللغة (انظر: مقطش ١٩٧٨، زعلول ١٩٨٣).

كيف ينظر الطلبة الجامعيون العرب الى استخدام الانجليزية بدلا من العربية في التعليم الجامعي؟ ما هي اتجاهاتهم نحو استعمال اللغة الانجليزية بشكل واسع في الاردن؟ ما هي اتجاهاتهم نحو الحضارة الناطقة بالانجليزية؟ ما هي اتجاهاتهم نحو الانجليزية بالمقارنة مع العربية؟

لقد تم بحث الاتجاهات اللغوية للطلبة العرب في دراسات متفرقة، الا ان معظم هذه الدراسات اقرب ما تكون الى التسجيلات الانطباعية منها الى الدراسات العلمية المنظمة. وان هدف هذه الدراسة هو استقصاء الاتجاهات اللغوية للطلبة الجامعيين العرب بشكل علمي ومنظم.

أهداف البحث وطرائقه :

يهدف هذا البحث الى غرضين : أولا : استقصاء علمي للاتجاهات اللغوية لقطاع من الطلبة الجامعيين العرب، تمثله عينة عشوائية من الطلبة المسجلين في جامعة اليرموك . ولقد تأسست جامعة اليرموك في عام ١٩٧٦ في مدينة اربد - الاردن، وتدرّس معظم التخصصات الجامعية التقليدية، مع التركيز على العلوم البحتة والعلوم التطبيقية. وتنص انظمة الجامعة وقوانينها على ان اللغة العربية هي لغة التدريس، الا ان الواقع الفعلي هو غير ذلك؛ فلغة التدريس في كليات الهندسة والعلوم والعلوم الادارية والطب هي اللغة الانجليزية. أما الهدف الثاني فهو دراسة تأثير عدد من المتغيرات، كالجنس والدين والتخصص... الخ على الاتجاهات اللغوية لهؤلاء الطلبة.

وتحقيقا لهذين الهدفين تم توزيع استبيان تجريبي على (١٥٠) طالبا من تخصصات مختلفة وعلى مجموعة من المدرسين. ثم عدّل الاستبيان على ضوء الاجابات والتعليقات والاقتراحات الواردة من الطلبة والمدرسين. وزع الاستبيان المعدل (مرفق ١) على عينة عشوائية تتكوّن من (٤١٢) طالبا وطالبة، مسجلين في الجامعة في الفصل الصيفي ١٩٨٢/٨١. ولقد اختيرت العينة لتمثل مختلف التخصصات التي كانت تقدمها دوائر الجامعة في ذلك العام. وكما نرى في الجدول رقم ١ التالي فان (٣٣٧٪) من العينة هم من طلبة كلية العلوم، (٢٣٧٪) من طلبة الاقتصاد والعلوم الادارية، (٢٢١٪) من طلبة كلية الاداب: لغة عربية ولغة انجليزية و(٢٠٣٪) من كلية التربية، وهؤلاء هم من طلبة الدراسات العليا. وتتراوح اعمار الطلبة ما بين ١٩ - ٢٢، عدا طلبة كلية التربية الذين تجاوزت اعمارهم (٣٠) سنة.

جدول رقم (١)
توزيع العينة حسب التخصص

التخصص	عدد الطلاب		النسبة الى العينة %
	مسجلين في الفصل الصيفي	النسبة الى المجموع الكامل %	
علوم*	١٣٩	٨٢٨	٣٣٫٧
عربي	٤١	٢٤٥	١٠٫٠
انجليزي	٥٠	٢٨٨	١٢٫١
اقتصاد			
وادارة	٩٨	٥٥٠	٢٣٫٧
تربية	٨٤	٥١٤	٢١٫٣٨
المجموع	٤١٢	٢٤٢٥	١٦٫٩٨

وبعد أن تمّ التأكيد للمشاركين بأن المعلومات التي سيسجلونها هي لغرض البحث العلمي فقط، طُلب منهم ان يحددوا مدى موافقتهم او عدمها على مضمون كل فقرة من فقرات الاستبيان البالغة تسعاً وعشرين فقرة، حسب سلم معياري من خمس درجات: (وافق بشدة، اوافق، محايد، اعارض، اعارض بشدة). واعطيت كل درجة من هذه الدرجات الخمس نقاطاً محددة: اوافق بشدة (٥)، اوافق (٤)، محايد (٣)، اعارض (٢)، اعارض بشدة (١). واعطيت هذه المعلومات، بما فيها الـ(٢٩) فقرة، ارقاماً

* موزعين كالتالي: ٣٩ كيمياء، ٢١ فيزياء، ٣٤ علم احياء، ٤٥ رياضيات.

وبرمجت ثم أدخلت الحاسب الالكتروني ، وذلك لاجراء تحليل عاملي لـ(٢٩) فقرة وعزل العوامل التي يتضمنها الاستبيان . والتحليل العاملي عبارة عن طريقة رياضية احصائية تعتمد على تبيان مدى ارتباط كل فقرة من فقرات الاستبيان بعامل محدد . ونتيجة لهذا التحليل تم الحصول على متوسط معدل نقاط كل فقرة من الـ(٢٩) فقرة، مصفوفة لثمانية عوامل ، ومصفوفة مدورة لنفس العوامل الثمانية . ولتسمية العوامل ودراستها اعتمد الباحثان على مصفوفة العوامل المدورة (مرفق ٢)، معاملات الترابط (مرفق ٣) وعلى متوسط معدل النقاط لكل فقرة، والنسبة المئوية لعدد الموافقين او المعارضين لأي فقرة من فقرات الاستبيان .

وتحقيقا للهدف الثاني ، اي دراسة عدد من المتغيرات المؤثرة في الاتجاهات اللغوية للطلبة الذين هم قيد الدراسة، فقد تم تحديد خمس متغيرات رئيسية تنقسم الى ثلاثة عشر مجموعة، كالتالي :

- ١- متغير الجنس : مجموعة الذكور، مجموعة الاناث .
- ٢- متغير الدين : مجموعة المسلمين ، مجموعة المسيحيين .
- ٣- متغير المستوى التعليمي للأسرة : مجموعة المستوى المرتفع ، مجموعة المستوى المنخفض* .
- ٤- متغير مكان الإقامة : مجموعة الريف والبادية ، مجموعة المدينة .
- ٥- متغير التخصص : مجموعة العربي ، مجموعة الانجليزي ، مجموعة العلوم ، مجموعة الادارة ، مجموعة التربية .

* يحدد هذا المتغير المستوى التعليمي لأسرة المشارك بناء على مستوى تعليم الوالدين . وبعد أخذ الوضع التعليمي العام في الاردن بعين الاعتبار، اعتبر المستوى التعليمي للأسرة مرتفعا اذا كان الأب جامعا، او خريج كلية، او ثانوية، والام جامعية، او خريجة كلية، او ثانوية او اعدادية، والا اعتبر منخفضاً. اما الذين لم ينطبق وصف اي من المجموعتين عليهم فقد سماوا «غير مصنفين»، ولم يشملهم تحليل المعلومات .

وسيشار الى هذه المتغيرات بالعبارات التالية : الجنس، الدين، مستوى التعليم، الإقامة، التخصص. وللمجموعات بعبارات: الذكور، الاناث، المسلمين، المسيحيين، مرتفع، منخفض، الريف، المدن، العربي، الانجليزي، العلوم، الادارة والتربية.

وقد تم استخلاص هذه المعلومات من نموذج المعلومات الشخصية المرافق للاستبيان والموزع على العينة. وبما ان اختيار العينة كان عشوائيا، فلم يكن بالامكان التحكم بعدد ممثلي كل مجموعة من الثلاث عشرة مجموعة، الا انه اخذت اجراءات للتأكد من تمثُّل جميع المجموعات. جدول رقم (٢) يبين توزيع العينة على كل من هذه المجموعات:

جدول رقم (٢)

المتغيرات الخمس والمجموعات الثلاث عشر

النسبة	العدد	المتغير
		٠١ الجنس
٧٦ر٢١	٣١٤	أ - الذكور
٢٣ر٧٨	٩٨	ب - الاناث
		٠٢ الدين:
٩٣ر٢٠	٣٨٤	أ - المسلمون
٦ر٩٧	٢٨	ب - المسيحيون
		٠٣ الإقامة:
٦٠ر٤٣	٢٤٩	أ - المدن
٣٩ر٥٦	١٦٣	ب - الريف والبادية
		٠٤ المستوى التعليمي للأسرة:
٧٦ر٦٩	٣١٦	أ - منخفض
١٢ر٣٧	٥١	ب - مرتفع
١٠ر٩٢	٤٥	ج - غير مصنف
		٠٥ التخصص:
٩ر٩٥	٤١	أ - عربي
١٢ر١٣	٥٠	ب - انكليزي
٣٣ر٧٣	١٣٩	ج - علوم
٢٣ر٧٨	٩٨	د - ادارة
٢٠ر٣٨	٨٤	هـ - تربية

ولغرض مقارنة تأثير هذه المتغيرات نُفذ برنامج آخر على الحاسب الالكتروني، وذلك لايجاد متوسط نقاط كل مجموعة على حدة (انظر مرفق ٤) والانحراف المعياري لكل مجموعة على العوامل المختلفة (انظر مرفق ٥). ثم حسب معدل متوسط النقاط للعوامل الثمانية لكل مجموعة من الثلاث عشرة مجموعة، وذلك بجمع معدل متوسط لنقاط الفقرات التي تحمل قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على كل من العوامل الثمانية، وتقسيم الحاصل على عدد الفقرات لكل عامل. ولبيان ما اذا كانت الفروق في متوسطات معدل النقاط لكل مجموعة من المجموعات الثلاث عشرة ذات دلالة احصائية ام لا، ثم اجراء اختبار (ت) (t-test) واعتبر الفرق ذا دلالة احصائية ان تجاوز + ٠.٥٠.

التائج وبحثها:

لقد عزل التحليل العاملي ثمانية عوامل مختلفة، قاستها الـ ٢٩ فقرة في الاستبيان، فسرت ما مجموعه ٦٤٧٪ من التباين. ولقد اعتبرت قيمة الاشباع ذات دلالة احصائية ان كانت (± 0.05) وبالقاء نظرة على معدلات الترابط ومصفوفة العوامل المدورة النهائية، يمكن تسمية تلك العوامل وتصنيفها كالتالي:

- ١ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو استعمال الانجليزية لغة للتدريس في التعليم الجامعي.
- ٢ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو الانجليزية كلغة مستعمرين سابقين.
- ٣ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو انتشار استعمال الانجليزية وتأثير ذلك على الهوية العربية.

- ٤ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو «منفعة» الانجليزية مقارنة بـ«منفعة» العربية.
 - ٥ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو العربية في سياق الاسلام.
 - ٦ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو العربية مقارنة بالانجليزية من حيث الخصائص اللغوية لكل منهما.
 - ٧ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو الانجليزية كمؤشر للمكانة الاجتماعية.
 - ٨ - اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو «الغربنة»- الغربية الحضارية.
- يبين جدول رقم (٣) التالي الفقرات التي كان لها قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على كل من العوامل الثمانية:

جدول رقم (٣)

العوامل التمهنية والفقرات ذات الدلالة الاحصائية

عامل ١	عامل ٢	عامل ٣	عامل ٤	عامل ٥	عامل ٦	عامل ٧	عامل ٨
ف	ق	ف	ق	ف	ق	ف	ق
٠.٧٧٧ -	١٢	٠.٧٧٣	١٥	٠.٧٧١	٢٠	٠.٧٧٧	٣
١	٠.٧٧٧ -	١٢	٠.٧٧٣	١٥	٠.٧٧١	٢٠	٠.٧٧٧
٢	٠.٥٠٠ -	١٣	٠.٧٧٦	١٦	٠.٧٧٧	٢١	٠.٧٧٠
٤	٠.٧٧٨ -	١٤	٠.٥٥٨	١٧	٠.٧٣٣	١١	٠.٧٨٥
٥	٠.٧٧٠ -	٢٢	٠.٥٥١				٢٦
٦	٠.٧٨١ -						
٧	٠.٥٥٨ -						
٨	٠.٦٦٧ -						
٩	٠.٥٥٣ -						

*** ق: قيمة الاشباع ذات الدلالة الاحصائية. ف: فقرة.

لقد فسرت العوامل التمهنية المعزولة ١٤.٧٪ من التباين الكلي موزعة كالتالي : العامل الاول

٢٦.٢٪، العامل الثاني ٣.٦٪، العامل الثالث ١.٩٪، العامل الرابع ١.٦٪، العامل الخامس ٥.٥٪، العامل السادس ٨.٥٪، العامل السابع ٣.٦٪، والعامل الثامن ٤.٤٪.

ويتبين الجدول رقم (٤) تكرار الاجابات على كل درجة من درجات السلم الميماري الخمس (اوافق بشدة، اوافق، محايد، اعارض، اعارض بشدة) والنسب المئوية لهذه الاجابات لكل من الـ (٢٩) فقرة.

جدول رقم (٤)

تكرار الاجابات والنسبة المئوية لهذه الاجابات

النقاط	اعترض بشدة		اعترض		محايد		ارافق		ارافق بشدة		رقم الفقرة
	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	
٤٠٨	٣٦٤	١٥	١٠٤٣	٤٣	٨٩٨	٣٧	٢٧٦٦	١١٤	٤٨٢٩	٢٠٣	٠١
٢٥٤	٢١٢٥	٨٨	٣٥٤٣	١٤٦	١٦٧٧٤	٦٩	١٩٩	٨٢	٦٥٥	٢٧	٠٢
٢٩٢	١٦٢٦	٦٧	٢٧٦٦	١١٤	١٣٣٤	٥٥	٣٢٥٢	١٣٤	١٠١٩	٤٢	٠٣
٣٩٧	٣١٥	١٣	١٢١٣	٥٠	١٣٥٩	٥٦	٢٦٦٩	١١٠	٤٤٤١	١٨٣	٠٤
٤١٦	١٩٤	٨٠	٧٢٨	٣٠	١٠٦٧	٤٤	٣٢٢٣	١٣٣	٤٧٨١	١٩٧	٠٥
٣٩٧	٢٤٢	١٠	١١١٦	٤٦	١٤٠٧	٥٨	٣١٣١	١٢٩	٤١٠١	١٦٩	٠٦
٤٣٣	١٢١	٥	٢٩١	١٢	١٠٦٧	٤٤	٣٢٠٣	١٣٢	٥٣١٥	٢١٩	٠٧
٤٣٠	٠٧٢	٣	٢٦٦	١١	٦٥٥	٢٧	٤٥٦٣	١٨٨	٤٤٤١	١٨٣	٠٨
٣٩٧	٣٣٩	١٤	٧٠٣	٢٩	٧٨٢٩	١١٧	٢٩٨٥	١٢٣	٣١٣١	١٢٩	٠٩
٤٤٥	٠٧٩	٤	٢١٨	٩	٩٩٥	٤١	٢٤٠٢	٩٩	٦٣٨٦	٢٥٩	١٠
٤١٧	٢٤٢	١٠	٦٣١	٢٦	١٤٥٦	٦٠	٢٥٠٠	١٠٣	٥١٦٩	٢١٣	١١
٣١٨	٨٩٨	٣٧	٢٨٢٩	١١٧	١٩٤١	٨٠	٢١٣٥	٨٨	٢١٨٤	٩٠	١٢
٣٠٢	١٣٠١	٥٤	٢٦٢١	١٠٨	٢٣٣٠	٩٦	١٩٦٦	٨١	١٧٧١	٧٣	١٣

YJ91	1EJ07	70	Y9JA0	1YF	1A,7A	VV	YF0V	4F	1EJFV	04	1E
YJF9	YJ00	YV	YEJ0Y	44	17,94	V0	YAJ10	117	YEJFV	100	10
YJ0Y	YJ07	Y0	Y1,11	AV	1YJFV	01	YE,90	1E3	Y0JEA	100	17
YJ10	YJF1	Y7	YF,FA	1F4	Y1,FO	AA	Y0JF3	103	1EJA0	71	1V
YJA1	11,70	EA	YF,FA	1E0	Y1JA3	40	Y7,74	110	0JA7	Y3	1A
YJTV	1EJFV	04	YF,17	1E4	YF,FF	4Y	Y1,70	AA	0J0A	YF	14
YJ3V	YJ07	Y0	1V,4V	VY	17,94	V0	EY,FF	1V3	1V,FF	V1	Y0
YJVT	EJAO	Y0	1Y,FF	01	1Y,7F	0Y	E0,FA	1AV	YE,VO	10Y	Y1
YJAF	YJ3Y	10	1Y,1F	00	1V,FF	V1	F0,7V	1E5	YF,0Y	1F3	Y2
YJ3F	4JYF	Y8	17,VE	74	YF,0V	4F	YF,JA1	4E	YAJ7E	11A	YF
YJ0E	0JFF	Y2	1Y,AT	0F	YE,01	101	F1,VA	1F1	Y0JEA	100	Y3
YJ74	FJ10	1F	1Y,FF	01	Y0,00	10F	F0,AT	1YV	YAJ7E	11A	Y0
YJAE	EJ71	14	4J37	F4	14,31	A0	Y4,71	1YF	Y7,JA4	10Y	Y7
YJ10	Y9JA0	1YF	F0,AT	1EA	YE,FF	100	AJ34	F0	1J30	7	YV
YJ77	YAJ10	117	YV,7F	100	1V,97	Y3	1Y,FF	01	YJAA	17	YA
YJ1E	YV,91	110	E1,94	1YF	Y1,FO	AA	0J0A	YF	FJ10	1F	Y4

ولبحث مدى تأثير كل متغير من المتغيرات الخمس: الدين، الجنس، المستوى الثقافي، الإقامة، التخصص، على الثمانية عوامل المذكورة سابقاً، وتسهيلاً لعملية المقارنة وجعلها أكثر شمولية، ستم الإشارة الى متوسط معدل النقاط لكل مجموعة من المجموعات الثلاث عشرة لهذه المتغيرات على كل عامل من العوامل الثمانية. (انظر جدول رقم ٥):

جدول رقم (٥)
متوسط معدل النقاط

المتغير	عامل ١	عامل ٢	عامل ٣	عامل ٤	عامل ٥	عامل ٦	عامل ٧	عامل ٨
ذكور	٣٩٢	٣٢٤	٣٣٨	٣٦٢	٣٨٠	٣٦٤	٣٧٦	٣١١
إناث	٣٧٧	٣١٩	٣١٨	٣٥٠	٣٩٩	٣٦٠	٣٦٩	٣٣٩
مسلمين	٣٩٢	٣٢٨	٣٣٨	٣٥٥	٣٨٧	٣٦٦	٣٧١	٣١٤
مسيحيين	٣٤٣	٣٥٨	٣٧٦	٣٢٤	٣٤٣	٣٣٤	٣٠٨	٣٧٥
المعلمين	٣٨٢	٣٢٠	٣٣٢	٣٦٢	٣٨٦	٣٦٠	٣٨١	٣٣٦
الريف	٣٩٩	٣٢٨	٣٣٦	٣٥٥	٣٨٢	٣٦٩	٣٦٣	١٩٠
منخفض	٣٩٧	٣٢٥	٣٣٨	٣٥٢	٣٨٧	٣٦٦	٣٦٦	٣٠٨
مرتفع	٣٥٠	٣١١	٣١٩	٣٧٧	٣٨٠	٣٦٣	٣٥٥	٣٥٥
عربي	٤١٤	٣٢٥	٣٦١	٣٣٠	٣٨٧	٣٢٥	٣٥٢	١٨٠
انجليزي	٣٨٧	٣١١	٣٤٠	٣٥٠	٤١٥	٣٤١	٣٧٩	٣٤٤
علمه	٣٧٧	٣٣٨	٣٢٦	٣٦٢	٣٧٧	٣٨٢	٣٦٤	٣١٥
إدارة	٣٧٦	٣٢٢	٣٣٢	٣٨٢	٣٦٩	٣٤٣	٣٠٨	٣٤٣
تربوية	٤١٢	٣٠٨	٣٣٠	٣٤٨	٣٩٥	٣٨٩	٣٥٩	١٩٧

الجدول رقم (٦) التالي يبين الفروقات بين متوسط معدل النقاط لكل مجموعة.
الفروقات ذات الدلالة الاحصائية تحمل اشارة (*).

رقم الاختيار(ت)	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
١٩٩٦	٢٠٣٧*	٣٥٤	٢٢٩	١٦٣	١٩٣	١٤١	٢٥	٢٥	ذكور/ اناث
١٩٩٦	٣١١*	١٦٢	١٦٨	٢٠٩*	٣٠*	٢٦٠*	٣٥٤*	٢١٦*	مسلمين/ مسيحيين
١٩٩٦	٤٦٥*	٥٩	٧٦	٤٠*	٥٨*	٣٢	٦٢	١٧٠	مدن/ريف
١٩٩٦	٦٤٤*	١١٨*	١١٨	٤٠*	٤٢*	٣٣	٧٣*	٢٥١*	مرتفع/منخفض
١٩٩٦	٩٨*	١١٧	٥٦*	٣٧*	٧٣*	٨٤*	٥٦*	٤٢*	عربي/ الانجليزي
١٩٩٦	٩٥*	٥٩*	٣٣*	٥٦*	٦١*	٦٤*	٦١*	٣٢*	عربي/ علوم
١٩٩٦	٣٣٤*	٤٥*	٧٠*	٩٤*	٩٩*	٢٩*	١٣*	٣٠*	عربي/ ادارة
١٩٩٦	٤٤*	٣٤*	٥٥*	٤٣*	٣٤*	٣٦*	٧٣*	٤٤*	عربي/ تربية
١٩٩٦	٦٨*	٩٢*	٤٨*	٣٤*	٦٦*	٧١*	٤٧*	٥٣*	انجليزي/ علوم
١٩٩٦	٥٥*	٤٤*	٩*	٦٢*	٦٩*	٣٨*	٥٢*	٥٨*	انجليزي/ ادارة
١٩٩٦	٧٠*	١٣*	٣٤*	١٩*	١٠*	٤٧*	١٤*	٤٥*	انجليزي/ تربية
١٩٩٦	٩٢*	٩٢*	٥٨*	٥٥*	٤٦*	٣٦*	٩٨*	٥٦*	علوم/ ادارة
١٩٩٦	٤٢*	٣٣*	٤٨*	٣٢*	٩٥*	٢٤*	٧٣*	٨٠*	علوم/ تربية
١٩٩٦	٣٣٠*	٩٥*	٨٤*	٧١*	١٨*	١١*	٥*	٤٩*	ادارة/ تربية

* الفرق ذات دلالة احصائية > ٠.٠٥

٥١ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو استعمال الانجليزية

لغة التعليم الجامعي:

يظهر من قراءة الجدول رقم (٣) ان الفقرات ٦، ٤، ١، ٥، ٨، ٧، ٩، ٢ من الاستبيان لها قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على هذا العامل. وكان متوسط معدل نقاط هذه الفقرات، كما يستخلص من الجدو رقم ٤ هو (٤٠٨). وهذا يشير الى ان الطلبة الجامعيين العرب يجذون استعمال اللغة العربية، وليس الانجليزية، لغة للتعليم الجامعي. وقد وافق ٧٦٪ من العينة على ما جاء في الفقرة الاولى، التي تقول «أفضل ان تكون اللغة العربية لغة التعليم في الجامعة» وعارضها ١٥٪ فقط. ووقف ٩٠٪ على الحياد. وتؤكد هذه الموافقة الجماعية بنتيجة الفقرة الثانية: «لو كان لي الخيار لتعلمت كل المواد بالانجليزية»، اذ عارض هذه الفقرة ٥٧٪ من المشاركين ووافق معها ٢٥٦٤٪ فقط، بمن فيهم تخصص اللغة الانجليزية الذين يتوقع ان يوافقوا على هذه الفقرة، وهم يمثلون ١٢٪ من العينة.

ونستطيع تفسير هذا الاتجاه السلبي نحو استعمال الانجليزية لغة التعليم في الجامعة بسببين وردا في الاستبيان، اذ يعتقد ٧١٪ من المشاركين ان نتائجهم ستكون افضل لو كان التدريس باللغة العربية (فقرة ٤) بينما عارضها ١٥٪ من المشاركين. إضافة الى هذا فان ٧٢٪ من المشاركين يعتقدون بأن المنهاج سيخدمهم بفاعلية افضل لو كان بالعربية (فقرة ٦) وقد عارض هذه الفقرة ١٤٪ فقط. كذلك فان ٨٠٪ من المشاركين يعتقدون بأن مشاركتهم في النشاط الصفي ستكون اكثر فاعلية لو كانت العربية لغة التعليم في الجامعة (فقرة ٥) وعارض هذه الفقرة ٢٧٪.

ولا يرى الطلبة المشاركون اي مبرر لغوي لفرض الانجليزية لغة التعليم الجامعي؛ اذ وافق ١٨ر٨٥٪ من المشاركين مع فقرة ٧ التي تقول «اعتقد ان اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الحديثة»، وعارضها ١٢ر٤٪ فقط. وكذلك وافق ٤ر٩٠٪ من المشاركين مع فقرة ٨ التي تنص على انه بالامكان التدريس باللغة العربية على المستوى الجامعي، وعارضها ٣٨ر٣٪ فقط. كما ان المشاركين الذين يعتقد ٩٢ر٤٣٪ منهم انهم لم يكونوا مؤهلين لغويا للدراسة بالانجليزية عند تخرجهم من الثانوية (فقرة ٣) - يشعرون بأن هذا الترتيب يناسب القائمين على امور الجامعة لكنه لا يناسبهم. فقد وافق ١٦ر٦١٪ من العينة مع فقرة (٩) والتي تنص على انه بالامكان استخدام العربية كلغة التعليم الجامعي، ولكن الجامعة لا ترغب في ذلك.

وعند النظر في المتغيرات التي يمكن ان يكون لها تأثير على تفضيل استخدام العربية لغة التعليم الجامعي، يلاحظ ان مجموعات العربي (٤١٤) والتربية (٤١٢) الريف (٣٩٩) منخفض (٣٩٧)، ذكور (٣٩٢)، مسلمين (٣٩٢) هي اكثر المجموعات تفضيلا لاستعمال العربية، تليها مجموعات المسيحيين (٣٤٣)، مرتفع (٣٥١)، الادارة (٣٧٦)، العلوم (٣٧٧)، الاناث (٣٧٧)، المدن (٣٨٢)، الانجليزي (٣٨٧) على التوالي، اقل تفضيلا لاستعمال العربية لغة التعليم الجامعي. واطهرت نتائج اختبارات ان هناك فروقات ذات دلالة احصائية بين مجموعة المسلمين والمسيحيين، بين المنخفض والمرتفع، العربي والعلوم، العربي والادارة، الانجليزي والادارة، العلوم والتربية، الادارة والتربية؛ مما يدل على ان لمتغيرات الدين، ومستوى التعليم والتخصص لها تأثير على هذا العامل. ويلاحظ ايضا انه بالرغم من ان جميع المجموعات تحبذ استخدام

العربية لغة التعليم الجامعي، الا ان مجموعات المسلمين، الريف، المنخفض، العربي، التربية اكثر تفضيلا لهذا الاستخدام من مجموعات المسيحيين، المدن، المرتفع، الانجليزي، الادارة، والعلوم.

لا شك في ان هذا الاتجاه السلبي نحو استعمال الانجليزية لغة التعليم الجامعي امر طبيعي؛ اذ ان من بديهيات التعليم ان الطالب أقدر على الاستيعاب والتعبير بلغته الام من اللغة الاجنبية، فكيف ان كانت قدرة الطالب في تلك اللغة الاجنبية محدودة تماما، ولا تفي بقيامه بأي نشاط تعليمي؟ ويمكن تدعيم هذه المقولة بالاشارة الى تجربة مجمع اللغة العربية الاردني في مجال تعريب التعليم الجامعي؛ فقد أورد د. خليفة (١٩٨٣: ١٤) رئيس المجمع في كلمته الافتتاحية للموسم الثقافي الاول للمجمع، ان المجمع قام بتكليف مجموعة من الاساتذة المتخصصين في العلوم واللغة العربية بترجمة بعض كتب العلوم والرياضيات، ثم قامت الجامعة الاردنية برئاسة مساعي الرياضيات والاحياء لطلبة السنة الاولى باللغة العربية، وقام مدرسون متخصصون في القياس والتقويم بتقويم التجربة. وكانت النتيجة ان الطلبة الذين درسوا بالعربية درسوا مادة اوسع، وبصورة ادق، وان نسبة الرسوب انخفضت من ٣٥٪ الى ٣٪. وبالرغم من هذه النتيجة الغني التدريس باللغة العربية في العام الجامعي التالي.

٠٢ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو اللغة الانجليزية كلفة

مستعمر سابق:

ذكرنا سابقا انه في الفترة التي خضعت بها البلدان العربية للاستعمار، حاولت الادارة الاستعمارية فرض لغتها على الشعوب العربية، في محاولة منها لطمس الثقافة العربية، وفرض لغتها وثقافتها، بديلا عن هذه اللغة

والثقافة، ووقع ايشع تطبيق لسياسة محو الثقافة واللغة الام، واحلال ثقافة ولغة المستعمر مع هذه السياسة، في حين رفضتها الغالبية الساحقة من الشعوب العربية. وقد جاء هذا الرفض نتيجة لادراك الشعوب لمخاطر هذه السياسة على لغتهم وثقافتهم، وليس نتيجة للتعصب القومي، كما يدعي البعض. وتجدر الاشارة هنا الى ما توصل اليه الباحث اللغوي الاجتماعي فثمان (١٩٧٣: ٤٣)، من ان اللغة كانت دائما دعامة قوية لحركات التحرر في العالم، وأن اهم عامل في القومية الحديثة هو الحاجة المطلقة والضرورية للغة تعبر عن اصالة مجتمع ما. وقد ادرك الباحث اللغوي فلمان (١٩٧٣: ٢٤٦) العلاقة بين لغات الدول الغربية والسياسات السلطوية لتلك الدول، فيعترف بأن العرب لا يرفضون اللغة الغربية فحسب، بل ينظرون اليها كنتاج للامبريالية.

هل ينظر الطلبة الجامعيون العرب الى اللغة الانجليزية، كاحدى مخلفات الاستعمار الغربي؟ هل يرفض الطلبة العرب استعمال الانجليزية على اساس أنها لغة قوم استبدوا بهم فيما مضى؟ ان قيمة الاشباع لكل من الفقرات (١٢، ١٣، ١٤، ٢٢) ذات دلالة احصائية على هذا العامل. لم يختلف المشاركون على اي مسألة في الاستبيان قدر اختلافهم حول فقرات هذا العامل. فمتوسط معدل نقاط الفقرات (١٢، ١٣، ١٤) التي ينص مضمونها على رؤية الانجليزية كاحدى مخلفات الاستعمار هو (٣٠٤). وهذا يشير الى موقف حيادي. الا انه، وبدراسة كل فقرة على حدة، وبالرجوع الى النسبة المئوية لتكرار الاجابات على تلك الفقرة، يظهر ان ٤٣٪ يعتقدون بأن استعمال الانجليزية في الشؤون اليومية مظهر من مظاهر الاستعمار (فقرة ١٢) و٣٧٪ فقط يعتقدون انه دليل التخلف الحضاري (فقرة ١٤) و٣٧٪ يعتقدون بأن استعمال الانجليزية في التعليم مظهر استعماري

(فقرة ١٣). اما المعارضون فقد عارض ٣٧٪ ما جاء في فقرة (١٢) و٤٤٪ ما جاء في فقرة (١٤) و٣٩٪ ما جاء في فقرة (١٣). اما فقرة (٢٢) التي تنص على وجوب ابقاء العربية خالية من الالفاظ الاجنبية، فقد لاقت قبول ٦٨٪ من المشاركين، وعارضها ١٥٪ فقط.

يمكن القول بأنه لا يزال هناك قطاع من الطلبة الجامعيين العرب ينظر الى الانجليزية من خلال الاطار التاريخي، كلغة مرتبطة بالاستعمار، لذلك يرفض هذا القطاع استعمال الانجليزية لهذا السبب. الا انه لا يمكن القول ان اتجاه الطلبة السلبي نحو استعمال الانجليزية في التعليم الجامعي (عامل ١) يعود لهذا السبب فقط، ف٧٦٪ حيد استعمال العربية بدلا من الانجليزية في التعليم الجامعي و٣٧٪ فقط يرون في استعمال الانجليزية في التعليم دليل ارتباط بالمستعمر. هذا بالاضافة ان نسبة المعارضة لفقرات هذا العامل لا تقل عن نسبة الموافقة، مما يدل على ان هناك قطاعا لا يقل عدده عن القطاع المذكور سابقا يرفض مثل هذه الرؤية للانجليزية.

وبالنسبة للمتغيرات التي تؤثر على هذا العامل، وعند تطبيق ما طبق سابقا - اي اعتبار الفقرات (١٢، ١٣، ١٤) بمعزل عن الفقرة ٢٢ للسبب المذكور، فان معدل متوسط نقاط هذه الفقرات للمجموعات المختلفة (تم استخلاصها من مرفق ٤) تظهر اتجاهين: اتجاها معارضا لمضمون الفقرات، واتجاها محايدا: فمجموعات المسيحيين (٢٣ر) والانجليزي (٢٨ر) المرتفع (٢٨ر)، التربية (٢٨ر) والاناث (٢٩ر) تمثل الاتجاه المعارض، بينما مجموعات المدن (٣) الادارة (٣) العربي (٣)، الريف (٣١ر)، المنخفض (٣١ر)، الذكور (٣٠٧ر)، المسلمين (٣٠٩ر) والعلوم (٢٢ر) تمثل الاتجاه المحايد. اما اذا اخذنا جميع فقرات العامل، بما فيها

الفقرة (٢٢) فان معدل متوسط نقاط جميع المجموعات لهذا العامل قد تراوحت ما بين (٣٠٨) الى (٣٢٨) مما يظهر حياد جميع المجموعات . الا ان الفرق الوحيد ما بين معدل متوسط نقاط المجموعات ذى الدلالة الاحصائية ، هو ما بين مجموعة المسلمين والمسيحيين ، مما يعني ان لمتغير الدين تأثيرا على هذا العامل .

٠٣ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو استعمال الانجليزية

على نطاق واسع في المجتمع العربي ، وتأثير ذلك على الهوية العربية :
دأب العرب على الافتخار بلغتهم ، واعتبارها عنوانا لهويتهم القومية ، ورمزا من رموز وحدتهم ما زالوا متمسكين به في وقت يسود التفكك والانقسام البلدان العربية ، وقد نوه عدد من الكتاب - العرب والغربيين - بهذا الدور الذي تلعبه اللغة العربية (انظر: ساطع الحصري ١٩٥٨ ، يوركي ١٩٧٧) .

ومن الطبيعي ان يكون هذا التمسك بالعربية مصاحبا بالمطالبة بالغاء الاستعمال غير الضروري لاي لغة اجنبية في اي مجال كان ، الا ان هذه المطالب لم تحقق النجاحات المرجوة . والامثلة على هذا عديدة ، فاستخدام اللغة الانجليزية في حقول التجارة والصناعة والاعمال والطيران والتعليم لم يتراجع ، وما زال معظم المحلات التجارية ، يحمل اسماء اجنبية ، وما زال معظم الفنادق والمطاعم يضع قوائم اسعاره ، بالانجليزية فقط . هذا بالاضافة الى سيل البرامج الغربية التي تبثها محطات التلفاز في البلدان العربية .

كيف ينظر الطالب العربي الى استخدام اللغة الانجليزية الواسع النطاق

في المجتمع العربي؟ كيف ينظر اليه بالاشارة الى هويته القومية؟

كان للفقرات (١٦، ١٧، ١٥) قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على هذا العامل، ومعدل متوسط نقاط هذه الفقرات (٣ر٣) يشير الى ميل بسيط نحو الموافقة. ويختلف الامر بالرجوع الى النسب المئوية لتكرار الاجابات على كل فقرة؛ فقد وافق ٥٢٪ من المشاركين مع مضمون الفقرة (١٥) التي تنص على ان الاستخدام الواسع للانجليزية يشكل تهديدا للهوية العربية، وعارض ذلك ٣١٪ تقريبا. وهناك موافقة اجماعية ٦٠٪ مع الفقرة (١٦) التي تقول إن الشخصية العربية مهددة لو طغى التعليم بالانجليزية، وعارضها ٢٧٪ فقط. وعلى النقيض من هذا الاجماع، يرى ٤٠٪ فقط في هذا الاستخدام تهديدا للوحدة العربية، ويعارض ذلك ما يقارب من نفس النسبة ٣٩٪ تقريبا.

والجدير بالذكر هنا ان مضمون فقرات هذا العامل يطرح مسألتين: أولا: الارتباط السلبي ما بين استخدام الانجليزية والشخصية العربية، وبمعنى آخر الارتباط ما بين العربية والشخصية العربية. وقد اكدت الغالبية العظمى من المشاركين على هذا الارتباط بين اللغة والشخصية. ثانيا: الارتباط السلبي ما بين استخدام الانجليزية والوحدة العربية. وقد انقسم المشاركون حول هذه المسألة، وربما كان لهذا الانقسام بالرأي تفسيرات ليس من مهمة هذا البحث ايجادها، الا انه لا بد من الاشارة الى الرأي السائد حول انتشار اللهجات العامة في البلدان العربية؛ ففي الوقت الذي يوصف به انتشار العامية كعامل يهدد الوحدة (انظر: حسين ١٩٤٤، ناصيف ١٩٥٧، ومبارك ١٩٧٠). لا ينطبق الوصف ذاته الى حد ما على انتشار الانجليزية.

أما بالنسبة للمتغيرات التي تؤثر في هذا العامل - وبمراجعة متوسط لمعدل النقاط لفقرات هذا العامل لكل مجموعة - نرى ان هناك فرقا ذات دلالة

احصائية بين مجموعة المسيحيين (٢٧٦) والمسلمين (٣٣٨). مما يدل على ان لمتغير الدين تأثيرا على هذا العامل . اما بقية المتغيرات وبالرغم من وجود فروق بين متوسط معدل النقاط : الذكور (٣٣٨) اعلى من الاناث (٣١٨) ، الريف (٣٣٦) اعلى من المدن (٣٣٢) ، المنخفض (٣٣٨) اعلى من المرتفع (٣١٩) العربي (٣٦١) اعلى من الانجليزي (٣٤٠) والتربية (٣٣٠) والعلوم (٣٢٦) والادارة (٣٣٢) ، الا ان هذه الفروق ليست ذات دلالة احصائية . فان متوسط معدل النقاط يشير الى ان جميع المجموعات تظهر ميلا نحو الموافقة على فقرات هذا العامل ، عدا مجموعة المسيحيين التي تعارض ذلك . ومما هو جدير بالذكر ان درجة موافقة مجموعة الانجليزي كانت هي الثانية بين المجموعات . ويمكن تفسير ذلك بأن هذه المجموعة ، من خلال دراستها الاكاديمية ، هي اكثر المجموعات اطلاعا على اللغة والثقافة والقيم للشعوب الناطقة بالانجليزية ، وبالتالي اكثر وعيا للعلاقة العضوية ما بين اللغة والثقافة . ولهذا كانوا اكثر من غيرهم من المجموعات - عدا العربي - اقتناعا بأن الاستعمال الواسع للانجليزية يؤدي الى تأثيرات ثقافية من الممكن ان تهدد مكونات الشخصية العربية .

٥٤ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب حول «منفعة» اللغة

الانجليزية مقارنة «بمنفعة» اللغة العربية :

المقصود هنا بعبارة «منفعة» اللغة ، هو مدى تأثير معرفة - او عدم معرفة - لغة ما ، سلبا او ايجابا ، على تحقيق الاهداف العلمية او العملية لفرد ما ، ومن هنا فان عبارة منفعة اللغة الانجليزية تعني : هل تساهم معرفة اللغة الانجليزية مساهمة فعالة في تحقيق الاهداف العملية والعلمية للفرد العربي ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية : هل تعوق عدم معرفته لهذه اللغة تحقيق تلك الاهداف ؟

كان للفقرتين (٢٠ ، ٢١) قيمة اشباع ذات دلالة احصائية ، وكان معدل متوسط النقاط لهاتين الفقرتين ٣٥٥. وهذا يشير الى الموافقة على «منفعة» اللغة الانجليزية في مجالي التعليم العالي والوظائف العالية. لاقت الفقرة (٢٠) التي تنص على ان الانجليزية اكثر منفعية من العربية في ايجاد وظائف عالية ، موافقة ٥٩٪ من المشاركين ومعارضة ٢٤٪ فقط ، اما من حيث منفعية الانجليزية في التعليم العالي (فقرة ٢١) فان ٧٠٪ من المشاركين يرون ان الانجليزية انفع من العربية في هذا المجال ، ويعارض هذا ١٧٪ فقط .

ان انتشار استعمال اللغة الانجليزية في مجالات العمل والتعليم العالي ، يبرر الموافقة الاجماعية على مقولة «منفعة» اللغة الانجليزية . ومن الممكن ان يتبادر الى الذهن ان هذا الاقرار بمنفعة اللغة الانجليزية على العربية ، يتعارض واتجاه الطلبة السلبي نحو استخدام الانجليزية في مجال التعليم ، الا انه في الواقع ليس كذلك ؛ فالاعتراف بمنفعة الانجليزية يقوم على واقع لا يمكن للطلاب ان يتجاهله . فمعرفة الانجليزية متطلب ضروري للنجاح في التعليم الجامعي ، وشرط مسبق للحصول على وظيفة محترمة . ونظرة سريعة الى اعلانات الوظائف في الصحف المحلية تثبت ذلك .

والاتجاه السلبي نحو استخدام الانجليزية يعني رفضه لهذا الواقع الخاطيء النابع من وعيه ، بمدى ما يمثله هذا الواقع من تهديد لمقومات الشخصية العربية واللغة العربية ، ولا ينبع من موقف قومي متعصب .

وقد توصل هاريسون (هاريسون وآخرون ١٩٧٥) في مسحه لاستعمال الانجليزية في الاردن الى نفس النتائج ؛ فقد اجمع المشاركون في المسح ، وعددهم (٤٨٠٤) ويمثلون القطاعين العام والخاص في الاردن ، على ان من

اهم اسباب الاقبال على تعلم الانجليزية هو الحصول على عمل جيد، ولمتابعة التعليم الجامعي . ويشير الباحث الى ان المشاركين في هذا المسح يرون في الانجليزية سبيلا للرفي الوظيفي والتعليمي . ومن هنا نرى ان دافعية تعلم الانجليزية هي دافعية آلية، لا دافعية اندماجية . والمقصود بالدافعية الآلية والدافعية الاندماجية هو ما اورده جاردنر ولامبرت (١٩٧٣) في بحثهما عن الدافعية : فالدافعية الآلية تعني تعلم لغة ما لغرض الحصول على عمل ما او وظيفة ما؛ اما الدافعية الاندماجية فهي تعلم لغة ما لغرض الانصهار في المجتمع الناطق بتلك اللغة . وهذه النتيجة ايضا تدعم ما جاء في دراسة زغول وآخر عن (زغول وآخرون ١٩٧٩) التي تناولت طلبة عرباً يتلقون العلم في الولايات المتحدة، ودراسة صالح (١٩٨٠) التي تناولت طلبة الثانوية في المدارس الحكومية الاردنية .

وبالرجوع الى المتغيرات التي تؤثر في هذا العامل ، نرى ان «منفعة» اللغة الانجليزية امر تتفق عليه جميع المجموعات الثلاث عشرة . فمتوسط معدل نقاط هذا العامل لكل مجموعة من المجموعات الثلاث عشرة، اعلى من (٣) . وسجلت مجموعة المسيحيين اعلى معدل (٤٢٤) . وسجل متغير الدين والتخصص (الادارة والتربية) فروقا ذات دلالة احصائية . ففي متغير الدين سجلت مجموعة المسيحيين اعلى معدل (٤٢٤) وسجل المسلمون (٣٥٥) . وهذا الفرق يمكن تفسيره بمدى منفعية اللغة الانجليزية بسوق العمل في الاردن، وعلاقة كل من المجموعتين بهذا السوق، فمن الملاحظ ان اللغة الانجليزية اكثر (منفعة) في القطاع الخاص منها في القطاع العام، وذلك لارتباطات القطاع الخاص بالسوق العالمي، ولانتشار الشركات الاجنبية في هذا القطاع، ومن المعروف - ولاسباب ليست من صلب هذا البحث - ان المسيحيين، بشكل عام، يميلون الى العمل في القطاع الخاص

لا العام . واما في متغير التخصص فقد كان معدل متوسط نقاط مجموعة الادارة (٣٨٢ر٣) ومعدل التربية (٣٤٨ر٣) وهذا الفرق يفسر ايضا مدى ارتباط كل من التخصصين بسوق العمل . فمن المعروف ان مجموعة الادارة اكثر ارتباطا بالقطاع العام منها بالقطاع الخاص ، والعكس تماما ينطبق على مجموعة التربية .

٥ . اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو اللغة العربية في سياق الدين الاسلامي :

ترتبط اللغة العربية ارتباطا وثيقا بالاسلام : فهي لغة القرآن ، المرجع الاول لجميع المسلمين ، وهي لغتهم الام . وهذه العلاقة الحميمة لم تؤثر فقط في اتجاهات العربي المسلم نحو لغته العربية ، بل تعدى تأثيرها ليشمل اتجاهات اي مسلم نحو اللغة العربية . ويمكن القول ان اي مسلم سواء اكان عربيا ام باكستانيا ام اذربيجانيا ، يرى في العربية وعاء الاسلام .

كيف يرى الطالب العربي علاقة العربية بالاسلام؟ الفقرتان (١٠ و١١) لهما قيمة اشباع ذات دلالة احصائية ، وبلغ متوسط معدل نقاط هاتين الفقرتين (٤٣ر٤) ، وهو اعلى معدل لمتوسط نقاط فقرات الاستبيان . وتدل هذه النتيجة على اجماع عام بين الطلبة حول قدسية العربية ، اذ وافق ٨٧٪ من المشاركين على فقرة (١٠) التي تنص على ان اهمية العربية تكمن بأنها لغة القرآن ، وعارضها ٣٪ فقط ، كما ان غالبية المشاركين -٧٧٪- وافقت على ما جاء في الفقرة (١٢) التي تقول بأن الاهتمام باللغة العربية اهتمام بالاسلام ، وعارض ذلك ٩٪ .

هذا الاجماع العام على العلاقة الحميمة بين الاسلام والعربية امر لا يبعث على الدهشة، فقد اشار عدد كبير من اللغويين (انظر زغول: ١٩٨٠) على ان الاسلام حفظ اللغة العربية؛ فلولا الاسلام لتطورت اللهجات العربية الى لغات منفصلة، كما حدث في حال اللاتينية التي تحولت الى ما يسمى باللغات الرومانسية: كالفرنسية والاسبانية والاطليانية.

ولم تشذ اي مجموعة من المجموعات الثلاث عشرة عن الاجماع العام، فجميعها متفقة على قدسية اللغة العربية. وقد سجلت مجموعة الانجليزية اعلى النقاط (٤١٥) بين جميع المجموعات، الا ان مدى الموافقة على مضمون هذا العامل سجل فروقات ذات دلالة احصائية ما بين المسيحيين (٣٤٣)، والمسلمين (٣٨٧)، وبين الانجليزية (٤١٥) والعلوم (٣٧٧)، وبين الانجليزية (٤١٥) والادارة (٣٦٩) مما يدل على ان لمتغير الدين والتخصص تأثيرا على هذا العامل.

٥٦ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو اللغة العربية مقارنة بالانجليزية، من حيث الخصائص اللغوية لكل منهما:

بالاضافة الى كون العربية لغة القرآن، فهي لغة حضارة عربية، ساهمت مساهمة فعالة في الحضارة الانسانية، ولغة ثروة ادبية غنية كانت ولا تزال موضع اعتزاز كل عربي. فلا عجب في هذه الحال ان تكون العربية موضع اعتزاز العربي منذ زمن طويل. ففي القرن السابع يصف الجاحظ العربية بأنها اجمل اللغات واقدرها على التعبير واكثرها منطقية. والآن وبعد مرور ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا على كلام الجاحظ عن العربية، لا يزال

العربي يستعمل نفس العبارات في وصف العربية، وقد وصف ارتشر (١٩٦٤: ٤٤) تمسك العرب بلغتهم بأنه «تعلق العربي العاطفي بلغته»؟ اما جاك بيرك (١٩٦٤: ١٩) فيقول فيقول إن العرب متمسكون بلغتهم اكثر من متكلمي اي من اللغات الوطنية الثقافية السياسية (حسب تسميته) كالفرنسية والروسية والاسبانية. ويعترف فيليب حتى (١٩٦٠) بأنه ليس هناك لغة قادرة على ممارسة تأثير لا يقاوم على عقول ناطقيها كالعربية، اما شارلز فيرجسون (١٩٦٨) الباحث اللغوي المعاصر، فانه، كلغوي، لا يعترف بتفوق لغة ما، مهما كان اتساع انتشارها او عراقا تاريخها، على غيرها من اللغات - فيطلق على ما يسميه العربي مزايا العربية «خرافات عن العربية»، ويعترف بأن هذه الخرافات تعيش في ذهن العربي كحقائق، لانه يرى في لغته لغة تتفوق على غيرها من اللغات، لاسباب منها: جمالها البارع الذي يفترض ان يكون واضحا حتى للامي، واتساع قواعدها وتركيبها المنطقي، وسعة مفرداتها، وطبيعتها المقدسة. وفي دراسة الزغول وآخرين (١٩٧٩) لاتجاهات الطلبة العرب نحو لغتهم، مقارنة باتجاهات الطلبة الاسبان نحو لغتهم، وجد الباحثون ان الطلبة العرب يستعملون اسماء التفضيل كالاكمل والاكثر منطقية... الخ، عند وصفهم للغتهم، أكثر من الطلبة الاسبان في وصفهم للاسبانية.

هل ينظر الطالب الجامعي الى اللغة العربية كلغة متفوقة على اللغة الانجليزية؟ كان للفقرت (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على هذا العامل. وبلغ متوسط معدل النقاط لهذه الفقرات الثلاث (٣٦٢). وهذا يشير الى ان الطلبة العرب ميالون للنظر الى العربية بأنها متفوقة على الانجليزية، من حيث القوة التعبيرية (الفقرة ٢٣)، المنطق (الفقرة ٢٤)، الجمال (الفقرة ٢٥)، القدسية (الفقرة ٢٦).

وبالرجوع الى النسب المثوية لتكرار الاجابات على كل فقرة نرى ان ٥١٪ من المشاركين اتفقوا على الفقرة (٢٣) وعارضها ٢٦٪ فقط، و٥٧٪ اتفقوا على الفقرة (٢٤) وعارضها ١٨٪ و٥٩٪ اتفقوا على فقرة (٢٥) وعارضها ١٦٪ فقط وان ٦٦٪ اتفقوا على فقرة (٢٦) وعارضها ١٤٪ فقط، وهذا يؤكد ميل الغالبية للموافقة على مضمون فقرات هذا العامل.

لقد اتفق المشاركون على مقولة ان العربية متفوقة على الانجليزية في النواحي التعبيرية، والجمالية، والمنطقية، والقدسية. وبتفحص اتجاهات الثلاث عشر مجموعة، نرى ان جميع هذه المجموعات تتفق مع هذه المقولة. الا ان هناك فروقاً ذات دلالة احصائية بين مجموعات متغير التخصص: فمدى موافقة العربي (٣٢٥)، الانجليزي (٣٤١) والادارة (٣٨٢) اقل من مجموعة العلوم (٣٨٢)، والتربية (٣٨٩). وهذا يدل على ان لتغير التخصص تأثيراً على هذا العامل. وبمقارنة متوسط معدل نقاط مجموعات بقية المتغيرات، نرى ان مدى موافقة الذكور (٣٦٤) اعلى من الاناث (٣٦) والمنخفض (٣٦٦) اعلى من المرتفع (٣٦٣) والريف اعلى من المدن (٣٦٠). والمسلمين (٣٦٦) اعلى من المسيحيين (٣٣٤)، الا ان الفروق بين هذه المجموعات ليست ذات دلالة احصائية.

٥٧ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو الانجليزية كمؤشر للمكانة الاجتماعية:

نظرا لمنفعة اللغة الانجليزية، ولعلاقتها المباشرة بالرقى الوظيفي والتعليمي المشار اليهما في العامل الرابع، فان من المتوقع ان ينظر للغة الانجليزية كمؤشر للرفعة الاجتماعية. ان انطباع الباحثين هو ان هناك

قطاعات معينة في المجتمع الاردني تنظر الى اللغة الانجليزية كمؤشر الانتماء الى الشريحة العليا من المجتمع ، بالرغم من عدم اعترافهم الصريح بذلك . وخير دليل على ذلك تفضيل هذه القطاعات المدارس الخاصة على المدارس الحكومية لالحاق ابنائهم بها . ان تحملهم لأعباء الاقساط المرتفعة لهذه المدارس يعود لرغبتهم في حصول ابنائهم على معرفة افضل باللغة الانجليزية ، فمنهاج المدارس الخاصة والحكومية منهاج مشترك ، عدا منهاج اللغة الانجليزية ، اذ تبدأ المدارس الخاصة تدريس هذه اللغة في سن مبكرة ، وبالإضافة الى هذا فان هذه القطاعات تميل الى تطعيم احاديثها بعبارات انجليزية ، بالرغم من معرفتها البسيطة بهذه اللغة وارتكابها العديد من الاخطاء .

كيف ينظر المشاركون في هذه الدراسة الى الانجليزية من هذه الزاوية؟ كان للفقرات (١٨ و ١٩) قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على هذا العامل ، وكان معدل متوسط نقاط هذا العامل (٢٧٤) مما يعني ان المشاركين لا يوافقون على ما جاء في الفقرتين السابقتين : الفقرة (١٨) التي تنص على ان معرفة المشارك بالانجليزية تشعره بالتفوق على من لا يعرفها ، نالت موافقة ٣٣٪ من المشاركين وعارضها ٤٦٪ . اما الفقرة (١٩) التي تقول بأن المشارك يشعر بأنه افضل من خريجي الجامعات التي تدرس بالعربية ، لانه درس بالانجليزية ، فنالت موافقة ٢٧٪ من العينة فقط ومعارضة ٥٠٪ . تدل هذه النتيجة على انه ، بالرغم من معارضة غالبية الطلبة لما جاء في الفقرتين ، الا ان هناك قطاعا لا بأس به من الطلبة (ما يقرب من ٣٠٪) ينظر للانجليزية كمؤشر للرفعة الاجتماعية .

ان رفض مقولة الارتباط ما بين معرفة الانجليزية والرفعة الاجتماعية، امر تشارك به جميع المجموعات الثلاث عشرة؛ الا ان هناك فروقا ذات دلالة احصائية ما بين المنخفض (٢٦٦) والمرتفع (٣٠٥) وما بين الادارة (٣٠٨) وبقية مجموعات التخصص: العربية (٢٥١)، الانجليزية (٢٧٩)، العلوم (٢٦٤)، والتربية (٢٥٩). وهذا يدل على ان لمتغير مستوى التعليم للاسرة و متغير التخصص تأثيرا على هذا العامل، وليس لمتغيرات الدين والجنس والاقامة اي تأثير عليه.

٠٨ اتجاهات الطلبة الجامعيين العرب نحو الغربية:

المقصود «بالغربة»، هو ميل فرد ما من خارج الحضارة الغربية الى تبني سلوك وقيم اجتماعية مستمدة من الحضارة الغربية، ومخالفة لقيم حضارة المتبني، بالرغم من ان المبررات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لتلك القيم والسلوكات الغربية لا وجود لها في مجتمع المتبني. بمعنى آخر ان تبنيه للسلوك وللقيم قد يكون نابعا من حبه لتقليد المجتمعات الغربية، ظناً منه انها متفوقة على مجتمعه. ويمكن فهم هذه الظاهرة في المجتمع العربي عند وضعها في سياقها التاريخي؛ فقد ترافق ظهور هذه الظاهرة مع بداية الاحتكاك بالمجتمعات الغربية، الا انها بقيت محصورة في فئة قليلة جدا حتى بداية عهد الاستعمار، حيث بدأت بالانتشار بين الطبقات العليا، ورفضها عامة الشعب من ضمن رفضه للاستعمار نفسه. ويفسر ابن خلدون هذه الظاهرة برغبة المغلوب في تقليد الغالب. ولهذه الرغبة دوافع واسباب سياسية واجتماعية ونفسية؛ فاحدى الوسائل لنيل الامتيازات او الابقاء عليها هي التماثل مع الفئة الحاكمة، وذلك باكتساب قيمها وسلوكها. ولم تنحسر هذه الظاهرة بزوال عهد الاستعمار بل اخذت اشكالا اكثر خطورة. وتأتي هذه

الخطورة من اتساع مدى التعرض لهذه القيم ، وشموله لفئات لم تكن مشمولة به سابقا . وساعد في ذلك وسائل الاعلام المختلفة ، وخاصة التلفاز الذي يبث هذه القيم للاطفال والشباب على السواء ، عن طريق المسلسلات والافلام والبرامج الغربية . ان ظواهر «الغربة» هذه تبدأ بأحلام اطفالنا بأن يكونوا «ساندي» شقراء جميلة ، او «سوبرمان» لا يقاوم ، وولع شبابنا بحياة رعاة البقر . ولا تنتهي هذه الظاهرة عند رؤية بعض مثقفينا للمجتمع الغربي ومشاكله ، وحتى حلول هذه المشاكل من خلال المنظار الغربي .

كيف ينظر الطالب العربي الى بعض جوانب الحضارة الغربية مقارنة بحضارته؟ كان للفقرات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) قيمة اشباع ذات دلالة احصائية على هذا العامل . وكان متوسط معدل نقاط هذه الفقرات (٢١٨)، وهذا يشير الى معارضة مضمون فقرات هذا العامل ، ورفض فكرة تفضيل جوانب من الحضارة الغربية ، مثل الموسيقى والافلام والاعمال الادبية على مثلتها في الحضارة العربية ؛ فقد فضل ١٠٪ فقط من المشاركين الاغنية الغربية على العربية و١٦٪ فضلت البرامج الاجنبية على البرامج العربية و٩٪ فضلت قراءة الكتب الانجليزية على قراءة الكتب العربية . هل تعني هذه النتائج ان الطالب العربي لم يتأثر بظاهرة الغربة؟ ان انطباع الكاتبين عكس ذلك تماما لسببين : (١) ان الدراسة لم تعن بدراسة الجانب السلوكي من الظاهرة ، بل بالجوانب الادبية منها . ويمكن ان تكون اللغة عائقا امام اقبال الطالب على هذه الجوانب . (٢) ان الرفض الواعي لجانب من جوانب الحضارة الغربية لا يعني عدم تبني سلوكات مستمدة من تلك الحضارة . على اية حل ، ان هذا الموضوع بحاجة الى بحث وتنقيب ، وليس من ضمن اهداف الدراسة .

وبمقارنة معدل متوسط نقاط المجموعات الثلاث عشرة لهذا العامل، يظهر ان هناك فروقا ذات دلالة احصائية بين مجموعات متغير الجنس، والدين، والمستوى التعليمي للأسرة، والاقامة والتخصص؛ فالاناث (٢٣٩) اكثر تفضيلا للجوانب الادبية من الحضارة الغربية من الذكور (٢١١) والمسيحيون (٢٧٥) اكثر من المسلمين (٢١٤) والمدن (٢٣٦) اكثر من الريف (١٩٠)، والمرتفع (٢٥٥) اكثر من المنخفض (٢٠٨) والانجليزي (٢٤٤) والعلوم (٢١٥) والادارة (٢٤٣) اكثر من العربي (١٨٠) والتربية (١٩٧).

الخلاصة والاستنتاجات:

تظهر نتائج هذه الدراسة ان الطلبة الجامعيين العرب يفضلون استعمال اللغة العربية لغة التعليم الجامعي. وبالرغم من ادراكهم لمنفعة الانجليزية في ايجاد وظائف عالية وفي الدراسات العليا، الا انهم لا يجدون اي مبرر لاستعمال الانجليزية لغة التدريس الجامعي، اذ ان بالامكان استعمال العربية.

وينقسم الطلبة العرب حول تقييمهم لاستخدام الانجليزية الواسع في مجالات الصناعة والتجارة والاعمال، وتأثير هذا على الهوية العربية؛ فما بين ٤٠-٥٠٪ من المشاركين يرون في هذا الاستخدام الواسع تهديدا للهوية العربية والوحدة العربية. الا ان غالبية الطلبة مدركون لخطورة الاستخدام الواسع في الثقافة. ولا يعود هذا الى موقف قومي متعصب، فان ٣٠-٤٠٪ فقط يحكمون على الانجليزية من خلال كونها لغة مستعمر سابق.

وتدل النتائج على التعلق الشديد للطلبة العرب بلغتهم العربية، فهم يرونها اكثر جمالا، واقدر على التعبير، واكثر منطقية وقدسية من اللغة الانجليزية. ولا شك ان شعورهم بقدسية اللغة العربية يعود الى الارتباط الوثيق بين العربية والدين الاسلامي.

وتظهر النتائج ان فئة قليلة من المشاركين (٣٠٪) تقريبا يعترفون بأن معرفة اللغة الانجليزية دليل على الرفعة الاجتماعية. الا ان الشعور السائد هو ان حجم الذين يربطون بين معرفة الانجليزية والرفعة الاجتماعية اكبر من هذا بكثير، غير انهم لا يحبون الاعتراف بذلك. اما الفئة التي تحبذ الجوانب الادبية من الحضارة الغربية، كالموسيقى والافلام والادب، على مثيلاتها في العربية فهي ضئيلة جدا.

وعند النظر في المتغيرات الخمس التي افترض الباحثان ان لها تأثيرا على هذه العوامل، فان النتائج تبدو عائمة لا رابط بينها. ولوضع هذه النتائج ضمن اطار عملي، ولجعلها اكثر شمولية، افترضنا وجود «تدرج» لاتجاهات الطلبة، يقع في احدى طرفيه من يمكن ان نسميهم «الحفاظيين» وعلى الطرف الآخر «اللاحفاظيين».

يتصف الحفاظيون، حسب ما يراه الكاتبان، ب:

- ١ - المطالبة الشديدة برفض استخدام الانجليزية لغة التعليم الجامعي.
- ٢ - النظر الى الانجليزية كلغة مستعمر سابق.
- ٣ - اعتبار انتشار استخدام اللغة الانجليزية تهديدا للهوية العربية ووحدة العرب.
- ٤ - التحفظ على «منفعة» اللغة الانجليزية مقارنة بالعربية.

- ٥ - رؤية العربية من خلال الاطار الديني .
- ٦ - اعتبار العربية اكثر جمالا ومنطقية واقدر على التعبير من الانجليزية .
- ٧ - عدم ربط الانجليزية بالرفعة الاجتماعية .
- ٨ - عدم الانبهار بالحضارة الغربية .

ويرتبط اللاحفاظيون بما يلي :

- ١ - الموافقة على استخدام اللغة الانجليزية لغة التعليم الجامعي .
- ٢ - النظر الى الانجليزية بمعزل عن كونها لغة مستعمر سابق .
- ٣ - اعتبار انتشار الانجليزية لا يشكل خطرا .
- ٤ - الاعتراف بأن منفعية الانجليزية اكثر من منفعية العربية .
- ٥ - النظر الى العربية خارج الاطار الديني .
- ٦ - اعتبار العربية كغيرها من اللغات من حيث الجمال والقدرة على التعبير .
- ٧ - ربط الانجليزية بالرفعة الاجتماعية .
- ٨ - الانبهار بجوانب من الحضارة الغربية .

وحسب هذا التدرج لا يمكن وضع اي من الثلاث عشر مجموعة في حدود «اللاحفاظيين»، الا فيما يتعلق بالاعتراف بمنفعة اللغة الانجليزية في الحصول على وظائف عالية وفي الدراسات العليا. فجميع المجموعات اظهرت ميلا للموافقة على هذا العامل. واذا استبعدنا هذا العامل من المقارنة، واعتبرنا متوسط معدل النقاط اساسا للمقارنة، يبقى مجال المقارنة محصورا في مجال الحفاظيين فقط. بمعنى آخر يمكن المقارنة بين من هم اكثر حفاظية ومن هم اقل حفاظية: ففي متغير الجنس، مثلا، نجد ان الذكور اكثر حفاظية من الاناث بالنسبة للنقاط (١، ٢، ٣، ٦، ٨) من النقاط

المتقدمة، بينما الاناث اكثر حفاظية في النقاط (٧، ٥). ولم يكن لاي من الفروق دلالة احصائية سوى حول النقطة الثامنة: الانبهار او عدمه بالحضارة الغربية.

اما في متغير الدين فان مجموعة المسلمين اكثر حفاظية من مجموعة المسيحيين في جميع النقاط الواردة. وهناك فروق ذات دلالة احصائية في ٦ عوامل من العوامل الثمانية (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٨).

وفي متغير مكان الإقامة، فان سكان الريف اكثر حفاظية من سكان المدن فيما يتعلق بالنقاط (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨)، وسكان المدن اكثر حفاظية فيما يتعلق بالنقطة الخامسة. وفي متغير المستوى الثقافي فان مجموعة المنخفض اكثر حفاظية من مجموعة المرتفع في جميع النقاط.

اما فيما يخص متغير التخصص فان مجموعة العربية هي اكثر المجموعات حفاظية، وتليها مجموعة التربية، مما يعني ان مجموعة العربية والتربية اكثر حفاظية من الانجليزية والعلوم والادارة.

وبمراجعة الاطار السابق يمكن القول ان مجموعة الاناث من المسيحيين والمدن والمرتفع، والادارة، والانجليزية، والعلوم، يشكلن خطأ اقل حفاظية من الخط الآخر الذي تمثله مجموعات الذكور، والمسلمين، والريف، والمنخفض، والعربية والتربية.

المصادر

المصادر باللغة العربية :

- الجاحظ - البيان والتبيين . القاهرة، ١٩٦٨.
- حسين، طه - مستقبل الثقافة في مصر . القاهرة، ١٩٤٤ .
- الحصري، ساطع - آراء في اللغة والادب . بيروت، ١٩٥٨ .
- خليفة، عبدالكريم - «تجربة مجمع اللغة العربية الاردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي» في الموسم الثقافي الاول لمجمع اللغة العربية الاردني . منشورات مجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٨٣ .
- مبارك، مازن - نحو وعي لغوي . دمشق، ١٩٧٠ .
- ناصيف، علي - من قضايا اللغة والنحو . القاهرة، ١٩٥٧ .

المصادر باللغة الانجليزية :

- Archer, Jules. Legacy of the Desert. Boston: Little, Brown and Co., 1976.
- Berque, Jacques. The Arabs: Their History and Future. London: Faber and Faber, 1964.
- Chejne, Anwar. The Arabic Language: Its Role in History. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1969.
- Conrad, A. and J. Fishman, "English as a World Language: The Evidence", in Fishman et al (eds.), The Spread of English. Rowly, Mass.: Newbury House, 1977.

- El-Araby, Salah. "TEFL Survey 111: Unwilling to Class - But Help is at Hand"
Middle East Education, 1, 2, 1979.
- Fishman, J. "Knowing, Using and Liking English as an Additional Language", in
J. Fishman et al (eds.), The Spread of English. Rowly, Mass.: Newbury House,
1977.
- Fellman, Jack. "Language and National Identity: The Case of the Middle East",
Anthropological Linguistics, 15, 1973.
- Fishman, J., R. Cooper and W. Conrad. The Spread of English. Rowly, Mass:
Newbury House, 1977.
- Ferguson, Charles. "Myths about Arabic" in J. Fishman (ed.), Readings on the
Sociology of Language. The Hague: Mouton, 1968.
- Harrison, W., C. Prator and G. R. Tucker. English Language Policy Survey of
Jordan. Arlington: Center for Applied Linguistics, 1975.
- Hitti, Philip. History of the Arabs. London: MacMillan, 1960.
- Gardner, Robert and W. Lambert. Attitudes and Motivation in Second Language
Learning. Rowley, Mass.: Newbury House, 1972.
- Mukattash, Lewis. "Further Studies in Jordanian English", Unpublished
manuscript, University of Jordan, 1978.
- Salih, Mahmoud. "The Attitudes of Secondary School EFL Jordanian Students",
Unpublished MA thesis, American University of Beirut, 1980.
- Samaritan, W. "Lingua Francas with Special Reference to Africa", in F. Rice
(ed.), Study of the Role of Second Languages in Asia, Africa and Latin American.
- Zughoul, M. R., R. Maple and L.P. Fallon. "Cultures in Contact: The Arab Student
in the EFL / Esl Classroom", A paper presented at the Thirteenth Annual TESOL

Convention held in Boston, Mass., 1979.

– Zughoul, M. R. "Diglossis in Arabic: Investigating Solutions", Anthropological Linguistics, 22, 5, 1980.

– zughoul, M.R. "An Evaluative Case Study of English as a Foreign Language in Jordan: Implications for Language Planning on a Country Wide Basis", Arab Journal for the Humanities, 12, 3, 1984.

ملحق (١)

الاستبيان

المعلومات الشخصية :

- ١- الجنس : ذكر، انثى .
- ٢- الديانة : الاسلام، المسيحية .
- ٣- مكان الإقامة : مدن، ريف، بادية .
- ٤- المدارس التي درست بها : حكومية، خاصة، خاصة وحكومية .
- ٥- المستوي الاكاديمي الحالي : اولى، ثانية، ثالثة، رابعة .
- ٦- ثقافة الاب : امي، ابتدائي، اعدادي، ثانوي جامعي، (يتضمن معاهد المعلمين) .
- ٧- ثقافة الام : امي، ابتدائي، اعدادي، ثانوي جامعي، (يتضمن معاهد المعلمين) .
- ٨- العمر :
- ٩- مصروفك
الشهري :
- ١٠- التخصص :
- ١١- مهنة الأب :
- ١٢- مهنة الام :

-
- ١ - افضل بأن تكون اللغة الغربية لغة التعليم في الجامعة .
 - ٢ - لو كان لي الخيار لتعلمت كافة المواد باللغة الانجليزية .

٣ - اعتقد بأنني كنت مؤهلا للدراسة باللغة الانجليزية عند تخرجي من التوجيهي .

٤ - اعتقد ان نتائجي ستكون افضل لو درست باللغة العربية .

٥ - تفاعل الطلاب افضل داخل الصف اذا درست المواد باللغة العربية .

٦ - اعتقد ان المنهاج يخدم المتعلم بفاعلية اكثر لو درس باللغة العربية .

٧ - اعتقد ان اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الحديثة .

٨ - اعتقد انه بالامكان التدريس باللغة العربية على المستوى الجامعي .

٩ - اشعر ان بالامكان استخدام العربية كلغة للتعليم لكن الجامعة لا ترغب في ذلك .

١٠ - اهمية اللغة العربية تكمن بأنها لغة القرآن .

١١ - اعتقد ان الاهتمام باللغة العربية اهتمام بالدين .

١٢ - استعمال الانجليزية في بعض الشؤون الحياتية مظهر من مظاهر الاستعمار .

١٣ - استعمال الانجليزية لغة للتعليم مظهر من مظاهر الاستعمار .

١٤ - استعمال الانجليزية في بعض الشؤون الحياتية دليل تخلفنا الحضاري .

١٥ - استعمال اللغة الانجليزية في المجالات التي تستخدم حاليا تهديد للغة العربية .

١٦ - اعتقد ان الشخصية العربية مهددة فيما لو طغى التعليم بالانجليزية .

١٧ - في استعمال الانجليزية في المجالات المستخدمة بها حاليا، تهديد للوحدة العربية .

١٨ - معرفتي للانجليزية تشعرني بالتفوق على من لا يعرفها .

١٩ - اشعر بأنني افضل من خريجي الجامعات العربية لاني درست باللغة الانجليزية .

- ٢٠ - الدراسة باللغة الانجليزية تفيدني في ايجاد وظيفة افضل من الدراسة بالعربية .
- ٢١ - الدراسة باللغة الانجليزية تفيدني في اتمام تعليمي الجامعي العالي اكثر من الدراسة بالعربية .
- ٢٢ - يجب ان نبقي اللغة العربية خالية من الالفاظ الانجليزية .
- ٢٣ - مقارنة بالانجليزية ، اللغة العربية اقدر على التعبير .
- ٢٤ - مقارنة بالانجليزية ، اللغة العربية اكثر منطقية .
- ٢٥ - مقارنة بالانجليزية ، اللغة العربية اجمل .
- ٢٦ - مقارنة بالانجليزية ، اللغة العربية اكثر قدسية .
- ٢٧ - افضل سماع الاغاني والموسيقى الانجليزية على العربية .
- ٢٨ - افضل مشاهدة الافلام الانجليزية على مشاهدة الافلام العربية مهما كان موضوع الفيلم .
- ٢٩ - افضل قراءة الاعمال الادبية المكتوبة بالانجليزية على المكتوبة بالعربية .

مرفق رقم (٢)

مصنوفة العوامل المدورة

الفقرة	عامل ١	عامل ٢	عامل ٣	عامل ٤	عامل ٥	عامل ٦	عامل ٧	عامل ٨
٠١	٠٧٧-	٠١١	٠١٨	٠١٧-	٠١٢	٠٠٨	٠٠٥-	٠١٣
٠٢	٠٥٠	٠٢٠-	٠٠٥-	٠٠٦	٠١٢	٠٠٦-	٠١٩	٠٣٣
٠٣	٠٢٨-	٠٢٦-	٠١٧	٠١٩-	٠٤٥	٠٠١	٠٠٢-	٠٣٢
٠٤	٠٧٨-	٠١٥	٠٠٤	٠٠٢	٠٠٠	٠٠٥	٠٠٨-	٠١١-
٠٥	٠٧٦-	٠١٧	٠١٠	٠٠٦	٠٠١	٠١٣	٠١٥-	٠٠٨
٠٦	٠٨١-	٠١٠	٠١٤	٠٠٥	٠٠٨	٠٠٣	٠٠٩-	٠٠٥-
٠٧	٠٥٨	٠٠٦-	٠١٩	٠١٨	٠٢٤	٠٢١	٠٠٧	٠٢١-
٠٨	٠٦٧-	٠٠٣-	٠١٨	٠١٦-	٠	٠١٣	٠٠٣-	٠١٧-
٠٩	٠٥٣-	٠٠٧	٠٢٧	٠١٩-	٠٠٣	٠٠٠	٠١٢	٠٠٨
١٠	٠١٣-	٠١٦	٠٠٠-	٠٦١	٠٧٨	٠١٠	٠٠٦	٠١٥-
١١	٠٢٤-	٠١٦	٠٠٨	٠٠١	٠٧٥	٠٠٩	٠٠٣	٠١٥-
١١	٠٢٤-	٠١٦	٠٠٨	٠٠١	٠٧٥	٠٠٩	٠٠٣	٠١٥-
١٢	٠١٨	٠٧٢	٠٢٦	٠١٢-	٠١١	٠٠٤	٠٠٣-	٠٠٥-
١٣	٠٢٨	٠٦٧	٠٢٩	٠١٢-	٠٠٦	٠١٥	٠٠٣	٠٠٣-
١٤	٠١٤-	٠٥٨	٠٣٧	٠١١-	٠٠٣-	٠١٥	٠٠٣	٠٠١-
١٥	٠٢٥-	٠٢٧	٠٧١	٠٠٩-	٠٠٦	٠٠٤	٠٠٥	٠٠٨
١٦	٠٢٩-	٠٠٧	٠٧٧	٠٠٦	٠٠٩	٠٠٦	٠١٣-	٠١١-
١٧	٠٢٠-	٠٣٣	٠٧٣	٠٠٣	٠٠٠	٠١٢	٠٠٥-	٠٠٥-
١٨	٠٠٧	٠٠٢-	٠٠٣-	٠٠٦	٠٠٧	٠٠٢-	٠٨٣	٠١٠
١٩	٠١٨	٠٠٨	٠٠٥-	٠٢٤	٠٠٠	٠٠٢-	٠٧٦	٠١٧
٢٠	٠٠٤	٠١٣-	٠٠٣	٠٧٧	٠٠٧	٠٠٥	٠٠٨	٠١٢

الفقرة	عامل ١	عامل ٢	عامل ٣	عامل ٤	عامل ٥	عامل ٦	عامل ٧	عامل ٨
٢١	٠١٩	٠٠٦-	٠١٠-	٠٧٠	٠١١-	٠٠٣-	٠١٨	٠٠٢
٢٢	٠٠٣	٠٥١	٠٠٥-	٠٠٦	٠٢٩	٠٠٧	٠٢٨	٠٠٦-
٢٣	٠٠٢-	٠٢٢	٠١٠-	٠١٠-	٠٠٥	٠٦٥	٠٠٢-	٠٦٦-
٢٤	٠١١-	٠٠١	٠٠٩	٠٠٧-	٠٠٢-	٠٨٦	٠٠٢-	٠٠٥-
٢٥	٠١٥-	٠٠٢	٠١٢	٠٠٣	٠٠٤	٠٨٥	٠٠٥-	٠٠١-
٢٦	٠٠٩-	٠٠٦	٠١٢	٠١٩	٠١٥	٠٧٧	٠٠٣	٠٠٢-
٢٧	٠١٣	٠٠٠	٠١٣-	٠٠٦	٠١٧-	٠٠٨	٠٠٨	٠٧٥
٢٨	٠١٨	٠٠٥	٠٠٩-	٠٠٤	٠١٢-	٠٠٢-	٠٢٠	٠٧٧
٢٩	٠٢٢	٠١٣-	٠٠٠-	٠٠٦	٠٠١	٠٠٣-	٠٠١	٠٧٦

مرفق رقم (٣)
معاملات الارتباط

الفقرة	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
٠١	٤٧٠ر	١٢٠ر	١٦١ر	٦٠ر	٥٩ر	٥٥ر	٦١ر	٤٦ر	٢٢ر	٣٠ر	٣٤ر	٣٩ر	٢٩ر	
٠٢	٢٠ر	٤٨ر	٤٤ر	٤١ر	٣١ر	٣٦ر	٢٢ر	٠٦ر	١٣ر	٢٥ر	٢٨ر	١٩ر		
٠٣	١٨ر	٢٢ر	١٦ر	٠٨ر	١٤ر	١٢ر	١١ر	٠٤ر	٠٨ر	٠٩ر	٠٧ر			
٠٤	٦٢ر	٦٥ر	٣٩ر	٤٥ر	٣٧ر	١٦ر	٢٢ر	٢٤ر	٣٢ر	٢٢ر				
٠٥	٦٧ر	٣٩ر	٤٥ر	٣٥ر	١٧ر	٢٥ر	٢٧ر	٣٣ر	٢٥ر	٢٥ر				
٠٦	٤٦ر	٥٤ر	٤٠ر	١٦ر	٢٩ر	٢٦ر	٣٦ر	٢١ر	٢١ر	٢٣ر				
٠٧	٥٨ر	٣٧ر	٢٧ر	٣٥ر	٢٧ر	٣٥ر	٣٠ر	٢٣ر	٢٣ر					
٠٨	٤٤ر	٢٧ر	٢٣ر	٣٤ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٧ر	٢٢ر						
٠٩	٠٩ر	١٤ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر						
١٠	٥٨ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر						
١١	٢٤ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر	٢٣ر						
١٢	٦١ر	٦١ر	٦١ر	٦١ر	٦١ر	٦١ر	٦١ر	٦١ر						
١٣	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر	٤٩ر						
١٤														
١٥														
١٦														
١٧														
١٨														
١٩														
٢٠														
٢١														
٢٢														
٢٣														
٢٤														
٢٥														
٢٦														
٢٧														
٢٨														
٢٩														

۲۹	۲۸	۲۷	۲۶	۲۵	۲۴	۲۳	۲۲	۲۱	۲۰	۱۹	۱۸	۱۷	۱۶	۱۵
۰۳۳-	۰۲۹-	۰۲۸-	۰۱۹-	۰۱۹-	۰۱۸-	۰۱۲-	۰۰۶-	۰۳۱-	۰۱۴-	۰۲۷-	۰۱۴-	۰۳۵-	۰۳۸-	۰۳۶-
۰۳۶-	۰۲۹-	۰۲۵-	۰۱۳-	۰۱۳-	۰۱۳-	۰۱۲-	۰۱۳-	۰۲۰-	۰۱۷-	۰۲۷-	۰۱۸-	۰۲۷-	۰۲۹-	۰۲۹-
۰۳۵-	۰۱۲-	۰۱۰-	۰۰۳-	۰۰۱-	۰۰۶-	۰۰۱-	۰۰۰-	۰۰۱-	۰۰۱-	۰۰۹-	۰۰۹-	۰۰۲-	۰۰۴-	۰۰۷-
۰۳۹-	۰۳۴-	۰۲۴-	۰۰۲-	۰۰۹-	۰۰۵-	۰۱۱-	۰۰۹-	۰۱۷-	۰۱۰-	۰۲۲-	۰۰۹-	۰۳۱-	۰۳۴-	۰۲۷-
۰۳۸-	۰۳۵-	۰۲۴-	۰۲۱-	۰۲۵-	۰۲۰-	۰۱۵-	۰۰۹-	۰۱۸-	۰۰۹-	۰۲۵-	۰۱۶-	۰۳۴-	۰۳۶-	۰۳۳-
۰۳۴-	۰۲۰-	۰۲۵-	۰۱۴-	۰۲۲-	۰۱۳-	۰۰۵-	۰۰۹-	۰۱۷-	۰۰۶-	۰۲۲-	۰۰۱-	۰۳۲-	۰۳۷-	۰۳۵-
۰۳۸-	۰۳۰-	۰۳۱-	۰۱۸-	۰۲۶-	۰۱۳-	۰۱۳-	۰۰۴-	۰۲۲-	۰۰۶-	۰۱۷-	۰۰۶-	۰۲۵-	۰۳۲-	۰۲۹-
۰۳۷-	۰۳۱-	۰۲۸-	۰۱۹-	۰۲۵-	۰۲۰-	۰۱۱-	۰۰۸-	۰۲۴-	۰۱۲-	۰۲۳-	۰۱۲-	۰۲۸-	۰۳۴-	۰۳۳-
۰۱۸-	۰۱۶-	۰۲۱-	۰۰۵-	۰۱۰-	۰۱۰-	۰۰۰-	۰۰۷-	۰۱۸-	۰۰۹-	۰۱۰-	۰۰۷-	۰۳۱-	۰۲۸-	۰۲۵-
۰۱۸-	۰۱۸-	۰۲۲-	۰۲۰-	۰۱۶-	۰۱۱-	۰۱۵-	۰۱۴-	۰۰۹-	۰۰۰-	۰۰۴-	۰۰۳-	۰۱۲-	۰۱۴-	۰۱۸-
۰۱۹-	۰۳۳-	۰۲۳-	۰۲۴-	۰۱۵-	۰۱۵-	۰۱۵-	۰۲۱-	۰۱۶-	۰۰۱-	۰۰۷-	۰۰۲-	۰۲۱-	۰۲۷-	۰۲۴-
۰۱۹-	۰۰۱-	۰۱۶-	۰۱۵-	۰۱۴-	۰۱۱-	۰۱۲-	۰۲۱-	۰۱۷-	۰۱۴-	۰۲۲-	۰۰۹-	۰۴۴-	۰۳۰-	۰۴۰-
۰۱۹-	۰۱۳-	۰۱۳-	۰۲۳-	۰۲۳-	۰۲۱-	۰۱۶-	۰۲۳-	۰۲۲-	۰۱۱-	۰۱۵-	۰۰۶-	۰۴۹-	۰۳۵-	۰۴۳-
۰۱۶-	۰۰۶-	۰۱۲-	۰۱۷-	۰۱۸-	۰۱۸-	۰۲۰-	۰۱۵-	۰۱۴-	۰۰۹-	۰۱۳-	۰۰۸-	۰۴۶-	۰۳۰-	۰۴۰-
۰۱۷-	۰۱۴-	۰۱۸-	۰۱۵-	۰۱۹-	۰۱۴-	۰۰۸-	۰۱۶-	۰۲۱-	۰۱۲-	۰۱۲-	۰۰۱-	۰۵۷-	۰۵۹-	
۰۱۹-	۰۲۱-	۰۱۸-	۰۱۷-	۰۱۸-	۰۱۸-	۰۰۷-	۰۱۱-	۰۱۶-	۰۰۳-	۰۱۹-	۰۰۱-	۰۶۰-		
۰۱۷-	۰۱۷-	۰۱۸-	۰۲۱-	۰۲۱-	۰۲۲-	۰۱۲-	۰۱۶-	۰۱۸-	۰۰۹-	۰۱۴-	۰۰۹-			
۰۱۸-	۰۲۰-	۰۱۶-	۰۰۲-	۰۰۷-	۰۰۵-	۰۰۴-	۰۱۲-	۰۱۸-	۰۱۲-	۰۵۳-				
۰۱۷-	۰۲۲-	۰۲۲-	۰۰۰-	۰۰۷-	۰۰۱-	۰۰۹-	۰۱۳-	۰۲۹-	۰۲۶-					
۰۱۸-	۰۱۰-	۰۱۲-	۰۱۳-	۰۰۱-	۰۰۰-	۰۰۴-	۰۰۵-	۰۳۴-						
۰۰۳-	۰۱۶-	۰۱۴-	۰۰۳-	۰۰۶-	۰۰۱-	۰۰۷-	۰۰۰-							
۰۰۸-	۰۰۹-	۰۱۶-	۰۰۹-	۰۱۱-	۰۰۸-	۰۱۶-								
۰۰۶-	۰۱۲-	۰۰۹-	۰۳۹-	۰۳۳-	۰۴۹-									
۰۱۱-	۰۰۹-	۰۱۳-	۰۵۴-	۰۷۳-										
۰۱۱-	۰۰۷-	۰۱۴-	۰۶۵-											
۰۰۸-	۰۰۶-	۰۱۳-												
۰۴۶-	۰۵۷-													
۰۵۰-														

مرفق رقم (٤)
متوسط النقاط لخمس متغيرات

الفترة	الجنس		الدين		مكان الإقامة		المستوى التعليمي		التخصص				
	ذكور	إناث	مسلمين	مسيحيين	مدن	ريف	منخفض	مرتفع	عربي	انجليزي	علوم	ادارة	تربية
٠١	٤١١	٣٩٧	٤٢٤	٣٢٨	٣٩٤	٤٣٠	٤٢٦	٣٢٣	٤٧٥	٤٢٠	٣٨٤	٣٦٦	٤٥٧
٠٢	٢٥٠	٢٦٧	٢٥١	٣٠٠	٢٦٩	٢٣٢	٢٤٣	٢٩٤	٢٢٤	٢٩٢	٢٥١	٢٩٥	٢٠٥
٠٣	٢٧٩	٣٣٥	٢٩٠	٣١٧	٣٠٨	٢٦٩	٢٩٢	٣٠٧	٢٦٨	٣٧٤	٢٨٦	٢٧٦	٢٨٥
٠٤	٤٠٢	٣٧٩	٤٠٠	٣٥٠	٣٨٨	٤٠٩	٤١١	٣٣٧	٤٤٣	٣٥٤	٣٨٦	٣٧٣	٤٤٥
٠٥	٤٢٤	٣٩١	٤٢٠	٣٧١	٤٠٨	٤٣٠	٤٢٥	٣٨٠	٤٦٠	٣٨٠	٤٠٦	٣٩٤	٣٥٩
٠٦	٤٠٢	٣٧٩	٤٠١	٣٤٢	٣٨٧	٤١٢	٤٠٩	٣٥٤	٤٣٤	٣٧٦	٣٥٣	٣٨١	٤٣٣
٠٧	٤٣٦	٤٢٠	٤٣٧	٣٦٧	٤٢٤	٤٤٥	٤٤١	٣٩٤	٤٥١	٤٣٨	٤٢٠	٤١٧	٤٦٠
٠٨	٤٣٥	٤١٢	٤٣٤	٣٦٧	٤١٨	٤٤٧	٤٣٨	٣٩٠	٤٣٦	٤٤٤	٤١٨	٤١٧	٤٥٢
٠٩	٣٨٠	٣٧٤	٣٨٣	٣٢٥	٣٧٣	٣٨٧	٣٨٦	٣٤٣	٣٩٠	٣٩٤	٣٧٤	٣٦٦	٣٨٦
١٠	٤٤٣	٤٥١	٤٥٠	٣٧٨	٤٤٣	٤٤٨	٤٤٨	٤٤٤	٤٥٣	٤٥٨	٤٣٥	٤٣٢	٤٦٦
١١	٤١٩	٤١١	٤٢٣	٣٣٥	٤٠٩	٤٢٤	٤٣٣	٤٠١	٤٤١	٤١٤	٤١٢	٤٠٠	٤٣٤
١٢	٣١٧	٣٢٢	٣٢٤	٢٣٥	٣١٩	٣١٧	٣١٦	٣١٣	٣٣٦	٣٢٠	٣٤٢	٢٠٨	٢٨٧

مرفق رقم (٥)
الانحراف المعياري

التغير	عامل ١	عامل ٢	عامل ٣	عامل ٤	عامل ٥	عامل ٦	عامل ٧	عامل ٨
ذكور	١ر٠٢	٠ر٢٥	١ر٢٢	١ر١٠	١ر٠٦	١ر١٨	١ر١٢	١ر٠٢
اناث	١ر٠٦	١ر٨٢	١ر٢٣	١ر١٨	٠ر٩٩	١ر١٧	١ر١٤	١ر٠٢
المسلمين	١ر٠١	١ر٢٦	١ر٢٢	١ر١٣	١ر٠٣	١ر١٨	١ر١١	١ر٠١
المسيحيين	١ر١٧	٠ر٩٩	١ر٢٢	٠ر٨٠	١ر٠٨	٠ر٩٦	١ر١٧	١ر٠٠
المدن	١ر٠٥	١ر٢٢	١ر٢١	١ر٠٥	١ر٠١	١ر١٦	١ر١٢	١ر٠٣
الريف	١ر٠٠	١ر٣١	١ر٢٦	١ر٢٣	١ر١٠	١ر٢٠	١ر١٢	٠ر٩٥
المنخفض	٠ر٩٦	١ر٢٣	١ر٢١	١ر١٢	١ر٠٢	١ر١٧	١ر٠٨	٠ر٩٦
المرتفع	١ر٢٥	١ر٢٧	١ر٢٢	١ر١٧	١ر١٩	١ر١٤	١ر٢٠	١ر٢١
العربي	٠ر٧٧	١ر١٩	١ر١٩	١ر٤٤	٠ر٩٩	١ر٤٥	١ر٢٨	١ر٠٠
الانجليزي	١ر٠٥	١ر١٩	١ر١٧	١ر١٢	٠ر٩٥	١ر٢٣	٠ر٩٤	١ر٠٥
العلوم	١ر٠٥	١ر٢٤	١ر٢٤	١ر٠٦	١ر٠٧	١ر٠٩	١ر١٠	١ر٠٤
الادارة	١ر١٤	١ر٢٣	١ر٢٦	١ر٠٢	١ر١٢	١ر١٨	١ر١٧	١ر٠٥
التربية	٠ر٨٠	١ر٢٦	١ر٢١	١ر٠٧	٠ر٩٣	١ر٠٠	٢ر١٠٧	٠ر٨٣

ثانياً - مع الكتب

مجدد علي و المعاصرون

للأستاذ عيسى الناعوري

«المعاصرون»: كتاب للرئيس محمد كرد علي، مؤسس المجمع العلمي في دمشق (مجمع اللغة العربية الآن)، صدر في منشورات المجمع السدمشي عام ١٩٨٠، وعلّق عليه وأشرف على طبعه الأستاذ محمد المصري. ويقع الكتاب في ٥٤٠ صفحة من القطع الكبير، منها ٤٨٠ صفحة للحديث عن الأعلام، من العرب والمستشرقين، الذين عرفهم المؤلف واتصل بهم، والصفحات الباقية كلها للفهارس والمراجع. وقد صدر الكتاب بكلمتين تمهيديتين: الأولى لرئيس المجمع الدكتور حسني سبّح، والثانية للأستاذ محمد المصري، المشرف على الطباعة والتحقيق.

من مقدّمة الدكتور حسني سبّح نعرف ان المجمع، حينما احتفل سنة ١٩٧٦م بمرور مئة سنة على ميلاد مؤسسه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، كان يودّ «لو ظفر ببعض ما لم يُنشر من آثاره ليقدمه الى جمهور العلماء والباحثين في تلك المناسبة»... وبعد الاحتفال قدّم المهندس طريف كرد علي ظرفا يحتوي على أوراق من أوراق والده، وعليه عنوان «المعاصرون»، ترجم فيه المرحوم محمد كرد علي «طائفة ممّن اتصلت أسبابه بأسبابهم من علماء البلاد العربية وأدبائها، ومن المستشرقين... وقد كان من هذه التراجم ما نشره الأستاذ في بعض الصحف والمجلات، ومنها ما طبع بالآلة الكاتبة، وأكثره مسودّات بخطه». فعمد المجمع الى تكليف الأستاذ محمد المصري النظر في هذه الأصول واعدادها للطبع.

ومن كلمة الأستاذ المصري نعلم أنه قام بعمل المحقق: من نسخ للكتاب، وتصحيح لبعض ما سقط منه من ألفاظ أو عبارات، وتعريف لبعض الأعلام والكتب الواردة فيه، وشرح، وإضافة هوامش حسبما يقتضيه المقام، وشكل ما يجب شكله من الحروف والكلمات، ووضع الفهارس، وما إلى ذلك مما يقتضيه تحقيق الكتب. وقد أضاف إلى ذلك أنه رتب ورود الأعلام حسب الحروف الهجائية. وبهذا جاء اسم إبراهيم الحوراني الأول في الترتيب، يليه إبراهيم اليازجي، فأحمد الإسكندري، فأحمد تيمور، وهكذا، وكانت الأسماء الأخيرة هي أسماء: يعقوب صروف، ويوجين غريفي، ويوسف هوروفيتز؛ والأسماء الأخيرة لاثنتين من المستشرقين الغربيين.

ويشتمل الكتاب على ترجمات لسبعة وأربعين شخصا من أعلام العرب والمستشرقين الذين عرفهم المؤلف، وكتب عنهم عن معرفة شخصية: العرب منهم سبعة وثلاثون شخصا، والمستشرقون عشرة فقط، بعضهم - لا كلهم - من أصحاب الأسماء المعروفة جيدا في العالم العربي ومن هؤلاء: كرنيلوس فاندايك (أميركي)، اجناس غولديسبير (مجري) وكارلو نلليو، وليون كاثيتاني (إيطاليان). أما العرب فمعروفون جميعهم، ومن أشهرهم الشعراء: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والبارودي، وخليل مطران، وإسماعيل صبري، والعلماء: أحمد زكي (شيخ العروبة)، وأحمد تيمور، ويعقوب صروف (صاحب مجلة المقتطف)، وإبراهيم اليازجي، والأب انتاس الكرملي، وغيرهم. والواقع أنهم جميعا من ذوي العلم والفضل والأدب: العرب منهم والمستشرقون على السواء، وقد استطاع محمد كرد علي أن يبرز فضل كل منهم، في كتابه هذا، دون تحيز ولا تحيف.

بعض فصول الكتاب واضح جدًا أنه كُتب لينشر في مجلة أو صحيفة، وبعضها تعريفات قصيرة ذات صفحتين أو ثلاث صفحات فقط. وحين نطالع ما كتبه عن احمد شوقي، والبارودي، واحمد زكي، واسماعيل صبري، واحمد تيمور، ومحمود شكري الألوسي، مثلا، نحس بأن فيه دراسة وافية للنشر. ومثل ذلك ما كتبه عن كرنيليوس فان دايك، من المستشرقين. وهذا يدل على مدى صلة المؤلف بالأشخاص، ومدى تقديره لفضلهم، وإطلاعه على انتاجهم.

والمؤلف لا يكتب الحسنات فقط، فليس في الدنيا انسان كامل، ولكنه يشير في كثير من الأماكن الى ما قد يكون له من مآخذ، فإذا كان لديه مجال للتبرير او للدفاع عنها، بررها ودافع عنها، وآلا عرضها وابدى أسفه لها.

وانت تشعر بأنه حين يتحدث عن عالم مثل المستشرق كرنيليوس فاندايك، فانما يتحدث عنه باعجاب، وتقدير لفضله وعلمه ونزاهته واخلاصه، وحبّ للعرب ولغتهم، الى حدّ أنه يستقيل من الجامعة الامريكية حين يقرّر رؤساؤها أن يجعلوا التدريس فيها بالانكليزية بدلا من العربية.

يقول المؤلف في الصفحة ٣١٢ - ٣١٣: «لما أنشئت الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٨٦٦م، عهد اليه تدريس علم الفلك والظواهر الجوية، والباثولوجيا، وشرع يترجم الى العربية ما يلزم الجامعة الجديدة من كتب الطب والعلوم باللغة العربية. وما برح على ذلك حتى بدا لرؤساء الجامعة ان يجعلوا اللغة الانكليزية لغة التعليم بدلا من العربية، فاستقال هو وزميله الدكتور ورتبات احتجاجا على من رجّحوا الانكليزية على العربية، قائلين انهما ما نزلا ارض الشام الا ليعدما العرب، بتدريس العلوم بلغتهم».

ويذكر المؤلف أن فاندايك قد كتب باللغة العربية عشرين كتابا في العلوم والفنون، وأنه أنشأ مدارس كثيرة في لبنان، وأنشأ المرصد الفلكي في الجامعة من ماله الخاص، وكان العامل الأكبر في انشاء مستشفى مار جرجس، في بيروت (ص ٣١٣-٣١٤).

ويضيف قائلا: «وعرف الاحسان لكل انسان، فأحبه جميع الطوائف... ففضل فاندايك على ديارنا وأهلها يذكر بالحمد على الدهر... ولعلنا لا نعدو الصواب اذا حكمنا على فاندايك بأن دعوته الدينية ذابت في شخصه، وغلبت عليه النزعة العلمية، وبها ظهر في هذه الديار ظهورا رائعا».

وهو يشهد بأن فاندايك قد «أحب العرب، فقلدهم في لباسهم وطعامهم وفي كل جميل من مظاهرهم، وعلم الناس بالقدوة الصالحة».

لقد عرف محمد كرد علي فضل كرنيليوس فاندايك، الاميركي الجنسية والهولندي الأصل، وقدر علمه وفضله وخلقه، فلم يجد في سيرته الا كل ما يستحق الحمد والثناء، فشهد له شهادة حق، وأعجب به اعجاب العالم بالعالم، ورجل الفضل برجل الفضل.

ولم يكن كذلك كل ما كتبه عن جميع المستشرقين الذين عرفهم، والذين تحدث عنهم في كتابه «المعاصرون». لقد قدر لهم علمهم وفضلهم، فاذا وجد لأي منهم عيبا وتقصيرا، أو اساءة الى العرب والاسلام، لم يكن يكتمه. فهو حين يتحدث عن المستشرق الفرنسي كليمنت هوار، يقول في الصفحة ٣٠٨-٣٠٩:

«ولقد رأينا الفرنسيين - على شدة ذكاء علمائهم - يخوضون أبحاثاً لا تظهر عليها العناية، كما تظهر عناية الألمان والانكليز والهولنديين في ما أحيوا من آثار العرب. ولهذا وقعت للسيد هوار، في كتاب «البدء والتاريخ»، أغلاط كثيرة، ما كان ليسقط فيها لو تروى في نشره، ولورجع الى عالم عربي لصحح معظم هفواته، وصدر الكتاب سليماً من العيوب في الجملة».

وقبل ذلك قال فيه، في الصفحة ٣٠٨ عنها: «ونشر في «معلمة الاسلام» تراجم بعض علماء المسلمين الأقدمين بأسلوب مقتضب، لا نسبة بينه وبين ما نشره غيره من المحققين المستعربين في تلك المعلمة، وكانت تراجمه كالفهارس الموجزة، لا تراجم رجال تملأ حياتهم صفحات. وما ترجمه لهم يتيسر لأي طالب أن يكتب أمتع منه».

وفي تقدير محمد كرد علي لفضل ذوي الفضل، نراه أحياناً يُنحي باللوم على الشرقيين، حين يقارن بينهم وبين بعض المستشرقين. ففي ختام حديثه عن المستشرق المجري اجناس غولدسيهر يقول في الصفحة (١٣٦):

«... رأيت طريقته طريقة العلماء يعشقون الحقائق ولا يعباون بما عداها. ولا عجب ان اصبح غولدسيهر مرجع علماء المشرقيات الاسلامية في ديار الغرب لعهدده.. ان الدراسات التي وجّهت اليها همّة غولدسيهر ممّا يعزّ مثله لعالم شرقي: ذلك لأن الشرقيّ بعيد عن الاتقان، يصاب بالملل، ولا سيّما يوم تعرض له مشاكل تحتاج الى أناة طويلة وطول تفكير».

أما في بيان الإشارة الى المساوية والعيوب في الأعمال العلمية، دون تمييز بين عربي ومستشرق، فحين يتحدث المؤلف عن الأب لويس شيخو، مثلا، فإنه يقول رأيه صريحا في آثاره العلمية والأدبية، وما كانت تصدر عنه من هوى ظاهر. ففي الصفحة ٣١٩ يقول:

«... وراعى في كتبه نظام رهبانيته، فجاءت كتاباته - الأ قليلا - أشبه بالدعايات المذهبية منها بكتب علمية مشتركة، تنشق ربح دينه في كل ما كَتَبَ ونَشَرَ. ولو خَلَّتْ بعض أسفاره - وبخاصة «شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده»، و«الأداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده» من هذه النزعة، لكانت في الغاية من جودة التأليف، لكثرة مادته وحسن تنسيقه».

ويضيف الى ذلك في الصفحة عينها: «لم يُرْزَقَ الفقيه ذوقا عاليا في الأدب العربي، وظلَّتْ كتابته الى أخريات أيامه كما كانت لأول عهده: نمطاً واحداً، لا تناسب مقدرته على التأليف، ووقوفه على ادب العرب والافرنج وبعض علوم العصر... وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب، ان يظَلَّ بعد درس خمسين سنة ضعيفا في الانشاء على كثرة ما قرأ وكتب».

الى جانب هذا الرأي الصريح في نقد الأب لويس شيخو، لم يسمح للمؤلف خلقه الا أن يشيد بما له من جهود مشكورة في حقول التأليف والتصنيف، وبفضل مجلته «المشرق» على النهضة الفكرية العربية.

ان اعجاب المؤلف - وقد يبلغ ابعد الحدود - ببعض العلماء العرب وبعض المستشرقين، لا يمنعه من ان يقول الحق في اخطائهم. ومن ذلك مثلا انه اعرب عن اعجابه الشديد بالمستشرق الفرنسي ادوار مونتيه، الى حدِّ

انه زاره في جنيف - كما يقول في الصفحة ١٠٩ - وشكره «على حسن ظنه بالاسلام . وقال ان من كتبوا مثله ، دون تحزب ، من الاوروبيين قلائل جدا» . ثم لا يلبث أن يقول بعد ذلك ، في الصفحة ١١٠ :

« . . . حتى اذا تكلم عن المسلمين في شمالي افريقيا ، وفي غيرها من ديار الاسلام التي استعمرها الانكليز والهولنديون وغيرهم ، تكلم بلسان المستعمرين ، وأشار على المسلمين ان يخضعوا لمن استعمرهم ، وقال : ان فرنسا ساعية في تعليم المراكشيين والجزائريين والتونسيين ، على النحو الذي قرأه في ما كتبه كتاب الاستعمار عنهم . . . وكان حكمه على الظواهر بما لا يليق بعالم من عيابه» .

مثل هذه الأحكام يحترمها القارىء ، لأنها تصدر عن عالم يعرف اقدار العلماء ، ويدرك مواطن الفضل والخطأ في اعمالهم . وهي لا تصدر عن حقد ، او تعصب ، او عن رغبة في الاساءة ، بل عن أسف وشعور بالألم ، لأن الذين صدرت عنهم أناس كان يجب ان يكونوا ارفع وأجل قدراً .

وحين يكتب محمد كرد علي عن كبار شعراء عصره ، تحس بأنه يكتب دراسات للنشر في الصحف ، فهو يمدّ الحديث ويطيله ، ويكثر من الاستشهاد بالشعر في نماذج متلاحقة كثيرة يكاد لا يفصل بينها الا : «وقال» أو «وقال ايضاً» ، حتى اذا شبع من ايراد النماذج ، مضى يعلق عليها .

كذلك فعل مع أحمد شوقي ، والبارودي ، واسماعيل صبري ، وحافظ ابراهيم ، وخلييل مطران ، ومعروف الرصافي ، وغيرهم . وفي دراسته لكل منهم

كان عادلا في أحكامه، وصريحا في قول كلمة الحق. من ذلك مثلا قوله عن احمد شوقي في الصفحة (٦٢):

«وغريب من شاعر هو أسير خياله والهامة في ليله ونهاره، أن يخضع مختارا لهذه القيود الثقيلة، ويشرب قلبه حبّ المظاهر والرتب والأوسمة».

وأیضا: «ان اتصال الشاعر بالخدوي كان منه الهبات والعطايا، ونفوذ في القصر دعا ارباب الغرام بالمراتب والرتب والأوسمة أن يوسّطوه في نيل ما تطمح نفوسهم من الرغائب. فجمع من ذلك ثروة لم يحرزها شاعر في عصرنا وفي كثير من العصور الماضية، ونعم بالأطياب في الحياة، وعاش عيش العظماء وأرباب القصور، واستطاع أن يبذل بعض ما يسترضي به من يخدمه...».

وحين يتحدّث عن نثر شوقي (ص ٦٣) يقول: «أراد شوقي منذ صباه أن يعاني النثر كما عانى الشعر، وكتب بعض الروايات في آخر أمره، ووضع كتابا أسماه «أسواق الذهب»، فما جود في الأول ولا في الآخر، لأن الكتابة لم تسلس له قيادها كما أسلس له الشعر قيادة».

ان النقد الصحيح يتطلب دقة الاحكام، وعدلها، وصراحتها، وجرأتها. وهذا هو النقد الذي يملي على محمد كرد علي أحكامه في كتابه «المعاصرون». فاذا كان قد رأى بعض النقص لدى شوقي، في الحياة وفي الأدب، فسجل فيه أحكامه العادلة، فانه لم يفعل مثل ذلك في ما كتبه عن أحمد تيمور، مثلا، لا في حياة تيمور، ولا في خلقه، ولا في علمه وادبه. وفي ادب تيمور وعلمه وخلقته يقول محمد كرد علي (ص ٤٦):

«كان اماما مدققا في علوم اللغة والبيان، كاتباً نقيّ العبارة، يكتب على أجمل ما يكتب نبغاء المؤلفين: لا تعمل ولا تصنع... وغلب عليه التواضع، وتملكه الحياء...».

وفي الصفحة (٤٥) يقول: «لا اعرف في بلاد العرب رجلا جمع مثل هذه الصفات، وأحبّ العلم هذه المحبة الشديدة، وخدمه في نطاق طاقته هذه الخدمة. وهو في أصله من طبقة النبلاء وأرباب الثراء، فما أبطرته النعمة، ولا استهواه الغنى والجاه، وراح في كل أدوار حياته يتعد عن الشهرة...».

ومثل هذا الاعجاب بأحمد تيمور، كان اعجاب المؤلف بابرهم اليازجي، وأحكامه في علمه وخلقه وفضله. وفي احد المجالات يدافع عنه ويبرئه مما اتهمه فيه بعض الناس ممن قصدوا الاساءة اليه. فقد جاء في آخر الصفحة (١٥) وأول الصفحة (١٦) ما يلي:

«أولع الشيخ (ابراهيم اليازجي) ببلاغة القرآن. حدّثني تلميذه صديقي خليل مطران الشاعر أنه كثيرا ما كان يقول لتلاميذه اذا تصدّوا للكتابة ونشر المقالات، أن يستشهدوا بآيات القرآن ليكون بها رونق لما يكتبون، او ما هذا معناه. فمن كان هذا اعتقاده، لا يُعقل أن يطعن ببلاغة الكتاب العزيز وفصاحته، على ما اتهمه بذلك بعض الطوائف من أنه عارض القرآن، وخطأ من شأنه في رسالة له نَحَلْتُهُ اياها، وما هي الآ من أقلام بعض دعائهم».

وقال في علمه وفضله، ص(٢٩): «افنى أيامه في التحقيق والتدقيق: عقل عالم، وحكمة حكيم، وعين فنّان، وذوق شاعر. كان الشيخ مأخوذا بعلمه، مخلصاً له. لم يتعلّق من الحياة بغير المعنويات...».

وإذا كان محمد كرد علي قد عظم صديقه أحمد زكي باشا (شيخ
العروبة) وأثنى على علمه ثناء لا مزيد عليه، فقال عنه في الصفحة (٤٩):
«ليس على أديم الأرض رجل عرف المدنيّة العربية والاسلامية كما عرفها
أحمد زكي: بذّ في هذا الفرع المسلمين وغير المسلمين»؛ فانه مع ذلك
يعيب عليه انه كان «يريد الاستثثار بكلّ شيء، وأن يخوض عباب كل مبحث»
(ص ٥٣). وروى عنه حادثة أراد فيها أن يستأثر بمبلغ كبير من المال وضعت
وزارة المعارف المصرية لمشروع احياء الآداب العربية، وطُبِعَ سبعة
وعشرين كتاباً من أهم كتب التاريخ والأدب والعلوم القديمة. ولكنه «إبطاً في
إخراج العمل، فاستُرْجِع المبلغ الذي كان قد خُصَّص لهذه الغاية». وهكذا
خسر أحمد زكي المبلغ؛ ولم يسمح بأن يستفيد منه سواه ليقوموا بالعمل، ولم
يسمح بخروج المشروع الى التنفيذ؛ وكل ذلك بسبب جشعه.

.....

ولست أستطيع ان امضي مع الكتاب، فأتحّد عمّا كتبه المؤلف
حول السبعة والأربعين من الأعلام جميعهم، وانما أردت ان أقدم نماذج
من دراساته لهؤلاء الأعلام ومن أحكامه العادلة، المتزنة والجريئة في الوقت
نفسه، ومن تقديره لذوي الفضل والعلم.

ومن حق محمد كرد علي أن يكون كتابه هذا بين المراجع المهمة عن
هؤلاء الأعلام، ومن حق مجمع اللغة العربية في دمشق أن نزجي له الشكر
الخالص على نشره لهذا الأثر الجليل لمؤسسه العظيم الأستاذ الرئيس محمد
كرد علي.

ثالثاً - تعليقات ومناقشات

مقابلة في جملة الصلة: هل تقع شرطاً؟

للدكتور نهاد الموسى

تلقيت العدد المزدوج ٢٣-٢٤ (١) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني بإقبالٍ قد أعْتِيد، إقبالَ المستفيد. وقد أظرفني ذلك العدد من غير وجه.

ثم وقفت فيه على نظرات الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي في كتاب الأمل والمأمول المنسوب للجاحظ بتحقيق الدكتور رمضان شيشن، فهياً لي بلمحاته وملحوظاته متاعاً لطيفاً.

وقد استوقفني في تعاليق الأستاذ السامرائي بضعة مواضع إلا أن واحداً منها ظلّ يلحّ عليّ حتى رأيت أن أقابِس الأستاذ فيه استزادةً وتحقيقاً.

فقد أورد الأستاذ (٢) قول المؤلف في الصفحة التاسعة (٣): «... والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما إن فاته قَعَد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة» فأنكر الأستاذ على المؤلف أن جاء بالصلة، صلة «ما»، جملة شرطية، ورأى الأستاذ أن «الوجه أن يقال: والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما قَعَد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة

(١) السنة السابعة، ربيع الأول - رمضان ١٤٠٤ هـ، كانون الثاني - حزيران ١٩٨٤ م.

(٢) ص ١٣٩ من العدد المزدوج ٢٣-٢٤ المذكور في صدر هذه المقابلة.

(٣) من كتاب الأمل والمأمول.

ذوي المروءة إن فاتته»، وقرّر الأستاذ عقب ذلك «أنّ تقديم الفعل «قعد»، وهو جواب الشرط في كلام المؤلف، متطلّب؛ لأنّ التقديم يجعل هذا الفعل صدرا لجملة الصلة للموصول «ما». وشرط جملة الصلة أن تكون خبرا لا إنشاء. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نصّ المؤلف لكانت جملة الصلة إنشاء وهي جملة شرطية (إن فاتته قعد)، وهذا ممتنع، وقد ورد هذا كلّه في المظانّ النحويّة».

والتغيير الذي يرى الأستاذ إجراؤه في كلام المؤلف من نصّ الكتاب يمثل جراءة تتجاوز المتعارف من أصول التحقيق؛ إلا أن يكون حاشية يعلّقها المحقق خارج المتنّ.

ثم إنّ تصويب الأستاذ السامرائي لعبارة المؤلف فيه نظّر؛ إذ مؤداه أنّ جملة الصلة لا تقع شرطا وأنّ مجيء الصلة جملة شرطية ممتنع.

وذلك أنّه يردّ على الأستاذ السامرائي من شواهد التنزيل: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك)^(١)، (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا)^(٢)، (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صمّا وعميانا)^(٣)، (إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجّلت قلوبهم)^(٤)، (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع)^(٥)، (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك، ومنهم من إن

(١) سورة الفرقان، الآية ١٠

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٧

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٣

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢

(٥) سورة التوبة، الآية ٩٢

تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك، إلا ما دمت عليه قائما^(١)، (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)^(٢)، (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم)^(٣)، (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)^(٤)، (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله)^(٥)، (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)^(٦)، (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)^(٧)؛ إذ وقعت جملة الصلة فيما تقدّم من الآي جميعا، شرطا غير مُلتبس.

وغريب ما قرره الأستاذ السامرائي في ختام تعليقه إذ قال: . . وهذا ممتنع، وقد ورد هذا كله في المظان النحوية.

وذلك أنّ الأستاذ ترك أن يدلنا على مؤرد هذا الحكم في تلك المظان، ولم يذكر شيئا منها على التعيين. بل إن التماس حكم هذه المسألة في المظان النحوية يُفْضِي بنا الى خلاف ما قرّر الأستاذ. ومن التزيّد الإفاضة في ذلك بعد الذي تقدّم من شواهد التنزيل؛ فلنَجْتَزِيء بما ساق المبرد في المقتضب عند كلامه على هذه المسألة، وذلك قوله: « . . . وقد أعلمتك أنّ (الذي) يوصل بالفعل والفاعل، وبالإبتداء والخبر، والظرف، ولا بُد في صلة (الذي) من راجع إليه يوضّحه. فإذا قلت: رأيت الذي قام، فاسمه في قام،

(١) سورة آل عمران، الآية ٧٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) سورة النساء، الآية ٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٦) سورة الحج، الآية ٣٥.

(٧) سورة المطففين، الآيتان ٢، ٣.

وكذلك: رأيت الذي في الدار. فإذا كان الاستقرار والقيام لغيره قلت: رأيت الذي في الدار أبوه، ورأيت الذي قام صاحبه. على ذلك يجري كذلك: رأيت الذي إن يأتني آتِه؛ لأنَّ المجازاة جملة، وفيها ما يرجع إليه»^(١).

مرجياً أن تكون هذه المقابلة من تمام الفائدة بتعاليق الأستاذ، مزجياً له التحيّة الخالصة.

د. نهاد موسى
(الجامعة الأردنية)

(١) المقطع ٣ / ١٣٠.

ردّ على مقابلة الدكتور نهاد الموسى

للدكتور إبراهيم السامرائي

اقول: كنت قد ذكرت في مقالي الموسومة «الأمل والمأمول»، وهي تعليق على هذا الكتاب المنسوب الى الجاحظ، في ذلك العدد المزدوج (٢٣-٢٤) من «مجلة» المجمع:

إنه جاء في الصفحة التاسعة قول المؤلف:
والمجد في التماس ما هو اعذر من التجافي عما إن فاته قعد به عن
مرتبة أهل الفضل... وقلت:
والوجه أن يقال: «والمجد في التماس... عما قعد به عن مرتبة
الفضل...»

وقلت: ان تقديم الفعل «قعد» وهو جواب الشرط متطلب لان التقديم يجعل هذا الفعل صداراً لجملة الصلة للموصول «ما». وشرط جملة الصلة أن تكون خبراً لا إنشأء. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نص المؤلف لكانت جملة الصلة انشاء وهي جملة الشرط «إن فاته قعد» وهذا ممتنع.

وقد علق الأخ الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، وكأنه أنكر عليّ هذا القول، وهو كون جملة الصلة خبراً لا إنشأء واستشهد بجملة من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى: «ومنهم من إن تأمنه بقنطار يؤدّه اليك».

أقول: والمراد من الآيات واضح كل الوضوح، والمعنى جلي لا إبهام فيه ولا غموض، ومجيء هذه الجمل الشرطية معروف، والمعنى: ومنهم من

يُؤدُّ القنطار إن تأمنه به . ولكننا في جملة المؤلف لا نقف على هذا الوضوح الذي نلمسه في الآيات الكريمة . ومن أجل ذلك لم يكن ورود هذا الأسلوب في هذه الآيات مناقضاً للقاعدة النحوية وهي مجيء جملة الصلة خبرية لا إنشاءً فلا يصح أن يقال : جاء الذي إضرته (فعل أمر) ، أو جاء الذي لا تضربه (مضارع مسبوق بلا الناهية) وكذلك سائر أنواع الطلب .

وليس للناقد الكريم أن يُرد هذه القاعدة . ولعلي أوجزت في تعليقي في مقالتي المشار إليها على هذه المسألة ، فتمسك الناقد بجزء مما ذهبت إليه .

أعود فأوجز ثانية : أن ما ورد في الآيات ليس نظيراً لهذا الذي جاء في جملة المؤلف التي افتقرت إلى الوضوح والبيان ، وكان عليّ أن أطيل قليلاً في بسط المسألة لأكفي الأخ مؤونة التعليق .

د . ابراهيم السامرائي

تَقْيِيبٌ عَلَى نَقْدِ كِتَابِ «الْأَمَلُ وَالْمَأْمُولُ» الْمُنْسُوبِ لِلْجَاحِظِ

لِلدَّكْتُورِ إِبْرَاهِيمِ السَّامِرَائِيِّ

لِلأستاذ محمد أحمد الدالي

أُتِيحَ لِي أَنْ أُطَلِّعَ عَلَى مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُرْدُنِيِّ (العدد المزدوج ٢٣-٢٤، السنة السابعة، كانون الثاني - حزيران ١٩٨٤م)، فوجدت فيها نقداً لكتاب «الأمَلُ والمَأْمُولُ» المنسوب للجاحظ الذي حققه الدكتور رمضان ششن، وطبع ببيروت مرتين عام ١٩٧٢ و١٩٨٣م.

وكنت طالعت الكتاب، وعرفت أن الكتاب ليس للجاحظ غير شك، وإنما هو لمحمد بن سهل بن المرزبان البغدادي الكرخي المتوفى بعد سنة ٣٢٢هـ، والملقب بـ«الباحث» أو «الباحث عن مُعْتَصِرِ الْعِلْمِ». وعنت لي جملة تعليقات يسيرة عليه، فكتبت مقالة أرسلتها إلى مجلة الفيصل بتاريخ ١٧/٧/١٩٨٤، وعنوانها «كتاب الأمل والمأمول - تحقيق نسبه ونظرات فيه» لَمَا تَنْشُرَ.

فقرأت ما كتبه الدكتور الفاضل إبراهيم السامرائي، فوجدته شاركني في بعض ما اخذته على المحقق، وقد أصاب في بعض ما قاله، ووهم في بعض، ولم يوفق إلى معرفة صاحب الكتاب.

ورأيت أن أقف عند بعض ما قاله الدكتور الفاضل، وهذا بعض ما أتفق لي أعرضه على القراء ليروا فيه رأيهم:

١ - وقف الدكتور الفاضل عند قول صاحب الكتاب (الآمل والمأمول ٩، المجلة ١٣٩): «... والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما إن فاته قعد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة»، وعلق عليه بقوله: «أقول: والوجه أن يقال: والمجد في التماس... عما قعد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة إن فاته...» ثم احتج لما ذهب إلى أنه الوجه بقوله: «إن تقديم الفعل «قعد» وهو جواب الشرط في كلام المؤلف متطلب، لأن التقديم يجعل هذا الفعل صدىً لجملة الصلة للموصول «ما». وشرط جملة الصلة أن تكون خبراً لا إنشاء. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نص المؤلف لكانت جملة الصلة إنشاءً وهي جملة شرطية (إن فاته قعد) وهذا ممتنع وقد ورد هذا كله في المظان النحوية».

كذا قال الدكتور، ولعله أتكا على ما وعته الذاكرة ولم يعد إلى المظان النحوية.

فقول صاحب الكتاب «... عما إن فاته قعد به...» صواب محض، وهو كقول المجنون:

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي وأنت التي إن شئت أنعمت باليا

والجملة التي تكون شرطاً وجزءاً (الشرطية) تقع صفة وصللة للموصول. قال ابن يعيش (شرح المفصل ٥٢/٣): «وقد تقع الجمل صفات للنكرات، وتلك الجمل هي الخبرية المحتملة للصدق والكذب، وهي التي تكون أخباراً للمبتدأ وصلات للموصولات، وهي أربعة اضرب:

الاول: أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل
والثالث: ان تكون الجملة الصفة جملة من شرط وجزء، وذلك نحو:

مررت برجل إن تكرمه يكرمك ، فقولك « ان تكرمه يكرمك » في موضع الصفة لرجل

وقال (شرح المفصل ٣/١٥١) : « . . . ومثال وَصَلِكْ بالشروط والجزاء قولك : جاءني الذي إن تأته يأتك عمرو، فقولك « إن تأته يأتك عمرو » صلة، والعائد الهاء في تأته . . . » وذكر ان القائل بالخيار في إلحاق العائد، فإن شاء أتى به في الجملة الأولى نحو المثل الذي ذكره، وان شاء أتى به في الجملة الثانية، نحو: جاءني الذي ان تكرم زيدا يشكرك، وان شاء أتى بالضمير فيهما، وهو « أحسن شيء، نحو قولك : جاءني الذي إن تزُرّه يحسن إليك »

فالجملة الشرطية تكون خبرية وتكون انشائية، وذلك باعتبار جوابها، فإذا كان الجواب خبراً كانت خبرية ووقعت صفةً وصلة للموصول، وإذا كان الجواب إنشاءً كانت إنشائية ولم تقع صفة ولا صلة للموصول.

وانظر مع الهوامع ١/٨٦ (١/٢٩٦، ط الكويت)، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/٧٧، وحاشية الصبان على الأشموني ١/١٦٣، والنحو الوافي ١/٣٧٤ - ٣٧٥، وانظر المقتضب ٣/١٣٠.

٢ - ووقف عند قول الشاعر (الأمل والمأمول ٤٣، المجلة ١٤٨).

لئن أخطأتُ في مَدْحِ كَ ما أخطأتُ في منمّي
فقد أحللت حاجاتي بوادٍ غير ذِي زرعٍ
وقال: «أقول: الصواب: لقد أحللت حاجاتي»

وذلك لأن ورود «لثن» في البيت الأول يؤذن أن يكون الجواب مقترناً باللام التي هي لام القسم [كذا] وهذا كقوله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم». كذا قال الدكتور؛ والصواب كما جاء «فقد» والفاء فيه تعليلية استثنائية. اما جواب القسم فهو قوله «ما اخطأت في منعي» وهو كلام واضح لا يحتاج الى تقدير.

٣ - ووقف عند قول المؤلف (الامل والمأمول ٤٨، المجلة ١٥٠):
«... ثم انه اثرى فاستفاد نيفاً وتسعين بيراً للنخل بالمدينة» وقال: «اقول لا وجه لكلمة «بير» في هذا النص، والذي أراه أن يكون الأصل «جريباً» والجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة يغرس نخلاً، وهو معروف، وما زال الجريب معروفاً لدى أهل النخل. وليس من مكان للبير، وهو من وحوش السباع».

كذا قال الدكتور، وليس لنا ان نغير النصوص بما نراه. وعندي أن «بيراً» محرفة عن «بِثْراً».

ويثر النخل: حفيرة تحفر حول الفسيلة لتغرس فيها، واسم البثر «الفَقِيرُ». قال أبو عبيد (المخصص ١١/١٠٤): «فإذا قلعت الودية من أمها بكَرْبِهَا قِيلَ وَدِيَةٌ مُنْعَلَةٌ، فإذا حَفَرَ لَهَا بِثْرًا وَغَرَسَهَا ثُمَّ كَبَسَ حَوْلَهَا بِثْرُنُوقَ الْمَسِيلِ وَالذَّمْنَ - يعني بالثرنوق السمد والطين - فقد فَقَّرَ لَهَا، واسم البِثْرِ: الْفَقِيرُ. وجمعها فُقُرٌ». وانظر المخصص ١٠/٣٤، واللسان (فقر).

٤ - دفع الدكتور نسبة الكتاب الى الجاحظ بقوله (ص ١٣٧ من المجلة): «... ففي الكتاب من الرجال ممن [كذا] عاشوا بعد الجاحظ، وهذا دليل قاطع على ان الكتاب ليس للجاحظ كما سنشير الى ذلك...».

وقد أشار الى ذلك في تعليقه على قول محمد بن حازم الباهلي (الأملى والمأمول ١٢-١٣، المجلد ١٤١):

ما كان مال يفوت دون غد فليس بي حاجة الى احدٍ
قال: «وقد علق المحقق على محمد بن حازم الباهلي، فأثبت موجزاً
بترجمته في الحاشية جاء فيها انه توفي سنة ٣١٥ هجرية» ثم قال الدكتور
السامرائي: «اقول: وتاريخ وفاة الباهلي هذا دليل كاف على ان الأملى
والمأمول ليس من كتب الجاحظ، وعلى هذا فالقول انه منسوب للجاحظ
ليس بشيء».

أقول: أما ان الكتاب ليس للجاحظ فهو حق صحيح، وقد سلف اسم
صاحب الكتاب في اول هذه الكلمة.

وأما ما استدل به الدكتور ليقطع بأن الكتاب ليس للجاحظ فخطأ، لانه
بناه على ان وفاة محمد بن حازم الباهلي كانت سنة ٣١٥ هـ، وقد تابع في
ذلك ما ورد في تعليق محقق الكتاب من غير أن يتثبت منه. واطن ما وقع
في حاشية محقق الكتاب خطأ مطبعياً، وصوابه (٢١٥ هـ)، وكان ينبغي
للدكتور الفاضل السامرائي ان يتحقق منه قبل ان يبني عليه ما بناه.

وليس بين أيدينا ما يعين على تحديد وفاة محمد بن حازم الباهلي
تحديداً دقيقاً. وقد استظهر الزركلي رحمه الله (الاعلام ٧٥/٦) بما انتهى
الينا من أخباره وأشعاره أن وفاته كانت نحو سنة ٢١٥ هـ، ولم يقل إن شاء الله
إلا صواباً أو قريباً منه.

وقد مدح ابن حازم الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) ولم يمدح من الخلفاء غيره، واتصل بابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ)، والحسن بن سهل وزير المأمون ووالد زوجه بوران (ت ٤٣٦هـ)، وله مع ابراهيم بن المهدي خبر، وقد شاب وتجاوز الخمسين من عمره.

ثم إن الجاحظ انشد له أبياتاً في كتاب الحجاب (رسائل الجاحظ ٦١/٢) وفي كتاب البغال (رسائل الجاحظ ٢٥٥/٢ - ٢٥٦، ٣٠٣).

انظر ترجمة ابن حازم في معجم الشعراء ٣٧١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣١٨-٣١٩، والمحمدون من الشعراء ٣١٢-٣١٣، والسورقة ١١٧-١١٩، والأغاني ٩٢/١٤-١١١.

وجمع شعره محمد خير البقاعي، ونشرته دار قتيبة بدمشق سنة ١٩٨٢م.

٥ - وعلّق الدكتور الفاضل علي قول المؤلف (الأمّل والمأمول ٣٩، المجلة ١٤٧): «انشدني هشام بم محمد للعتابي . . .» بقوله:

«اقول لا بد أن يكون هشام بن محمد ابي النضر بن السائب بن بشر الكلبي المؤرخ النسابة والعالم بأخبار العرب وأيامها. انظر ارشاد الأريب ٢٥٠/٧-٢٥٤.»

كذا قال، ولم يكن حتماً أن يكون «هشام بن محمد» هو ابن السائب الكلبي؟ وكيف يورد المؤلف أبيات ابن حازم - وهو المتوفى سنة ٣١٥هـ - كما ذكر الدكتور نقلاً عن محقق الكتاب، وبنى عليه ما بناه - ثم يروي عن هشام بن محمد ابي النضر بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ؟!!

فليس هشام بن محمد هو ابن السائب الكلبي بل هو رجل آخر لعل
البحث يكشف عنه .

وبعد، فهذا ما اتفق لي من القول، وأرجو أن أكون أصبت في بعضه،
وأثني على الجهود التي يبذلها الدكتور الفاضل ابراهيم السامرائي في خدمة
التراث العربي . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

محمد أحمد الدالي
(حماء - سورية)

تقرير حول كتابة الأرقام

للجنة الأصول والتراث في المجمع

في اجتماع لجنة الأصول والتراث بتاريخ ٢٨/٨/١٩٨٣م، درست اللجنة مذكرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم رقم ٢٦٧١ تاريخ ٣٠/٤/١٩٨٣م، المتعلقة بمحاولة استعمال الأرقام المغربية بدلا من المشرقية.

وقد ناقشت اللجنة الموضوع مناقشة مطوّلة، ورأت ما يلي :-

لقد سبق أن بعث المجمع برأيه في موضوع الأرقام الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والى مجلس الوزراء الأردني، وهو رأي لم يتغير، ولم يجد فيه ما يوجب تغييره. وقد قال المجمع في ردّه ان الأرقام المشرقية والمغربية على السواء انتشرت في العالم بواسطة العرب، فبأيها أخذنا فنحن على هدى من تراثنا، ولا يجوز أن تنفرد في القرار هيئة واحدة او بلد واحدة؛ والأفضل أن يناقش الموضوع في اجتماع عام، لتقرير ما يلتزم به العالم العربي والاسلامي بأسره.

وقال المجمع ان الرقم المشرقي أصبح جزءا من التراث العربي الاسلامي، وهو تراث عزيز، ذو مسحة اسلامية، مثلما أن للحرف العربي مثل هذه المسحة؛ ولذا فان تغييره الى الرقم المغربي تنبني عليه احياءات ضارة، نحن في غنى عنها، ولا سيما في الظروف القاسية التي نمرّ بها.

وان اللجنة لتتساءل: أكلما واجهتنا مشكلة، او عنت لنا فكرة طارئة في جانب من جوانب تراثنا، اسرعنا الى التخلي عن هذا الجانب بأكمله، دون أن نكلّف انفسنا جهدا في إصلاح المشكلة الطارئة؟

ففي الأرقام المشرقية تقوم المشكلة في الصفر، وفي الرقم (٢) الذي يمكن أن يلتبس مع الرقم (٣): وهي مشكلة اهون من ان نضطر معها الى ترك الأرقام المشرقية برمّتها؛ فهذه الأرقام في مجموعها افضل في الاستعمال من الأرقام المغربية.

فمشكلة الصفر يمكن التغلب عليها بأن يكتب الصفر بالشكل التالي (Ø) كما يقترح الزميل الدكتور عبد المجيد نصير مستندا الى ما يلي :-

- ١ - أن الصفر بهذا الشكل يتميز تميزا تاما عن الرقم (٥) وعن النقطة (٠).
- ٢ - ان هذا هو شكل الصفر عند كتابة البرامج للحاسوب، للتمييز بين الصفر العربي وحرف (O) اللاتيني.
- ٣ - لا يستدعي هذا التعديل همّا كثيرا، وتطبيقه سهل ميسور، وليس في كتابته او قراءته شيء من الصعوبة.

أما الرقم (٢) فمن السهل كتابته بالشكل التالي: (٢)، كما يقترح الزميل الدكتور احمد سعيدان - وهو واحد من ابرز الخبراء في الرياضيات، وفي التراث العربي الإسلامي - لان كتابة الرقم بهذا الشكل تزيل الالتباس بينه وبين الرقم (٣).

ويؤكد الدكتور سعيدان ان الأرقام المشرقية - اذا زالت مشكلة الصفر والرقم (٢) - افضل كثيرا في الاستعمال من الأرقام المغربية من جميع الوجوه.

واللجنة ترى ان مثل هذا الموضوع المهم يجب ان لا يتولى معالجته
الآ العلماء الذين يجمعون بين المقدرة الفائقة في الرياضيات، والاطلاع
الواسع الواعي على التراث العربي الاسلامي ؛ فهؤلاء وحدهم هم المؤهلون
للبت في هذا الموضوع .

وشيء آخر تراه اللجنة، وهو ان الاكثريّة الساحقة من الكتب العربية
مطبوعة في المشرق العربي، ولا سيما في مصر ولبنان، والارقام فيها هي
الارقام المشرقية، وقد اصبحت مألوفة في العالم العربي، والعالم الاسلامي
كله ؛ وهذا يحتم علينا أن نفكر كثيرا قبل ان نقطع برأي في امر تغيير هذه
الارقام .



رابعاً - أخبار جمعية



١- تعيين ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع :

استناداً الى المادة ٩/أ من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م . ، قرّر مجلس المجمع تعيين ثلاثة أعضاء عاملين جدد . ورفع بذلك كتاباً ، بواسطة وزير التربية والتعليم ، الى دولة رئيس الوزراء لاتخاذ الاجراءات اللازمة لصدور إرداة ملكية سامية بالموافقة على تعيينهم ؛ وهم :

الدكتور ابراهيم بدران .

والدكتور إبراهيم زيد الكيلاني .

والدكتور همام غصيب .

٢- تعيين خمسة زملاء اعضاء شرف في المجمع

وافق معالي وزير التربية والتعليم على تنسيب المكتب التنفيذي للمجمع ، تعيين الزملاء التالية اسماؤهم أعضاء شرف في المجمع ، وهم :

الدكتور مهدي علام - من مصر
الأستاذ عبدالسلام هارون - من مصر
الدكتور شاکر الفحام - من سوريا
الأستاذ المستشرق خيسوس ريوساليدو - من اسبانيا
الدكتور علي عبدالله الدفاع - من المملكة العربية السعودية .

مناقشة رسالتي ماجستير

١ - جرت صباح يوم الخميس ١٩٨٤/٨/٩ م مناقشة رسالة ماجستير في قاعة المحاضرات والندوات في المجمع .

عنوان الرسالة: «أثر التوحيد والتنزيه في توجيه اعراب القرآن الكريم عند السنة والمعتزلة» .

صاحب الرسالة: السيد خالد عبدالقادر السعيد، وقد أشرف عليها الأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي والأستاذ الدكتور راجح الكردي وناقشها الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد .

٢ - وجرت في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ١٩٨٤/٩/١٥ ، مناقشة رسالة ماجستير عنوانها: «المنهج النفسي عند النقاد المصريين المعاصرين» - للطلاب بسام قطوس .

وتألفت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور محمود السمرة، المشرف والأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة والدكتور خالد الكركي .

٣ - الطالب: السيد عبدالفتاح عمرو - من كلية الشريعة .
المشرف: الدكتور محمد أبو فارس .
عنوان الرسالة: التفريق لعدم الانفاق في الفقه الاسلامي وقانون
الأحوال الشخصية الأردني .
لجنة المناقشة: الدكتور عبدالعزيز الخياط .
والدكتور مصطفى الزرقاء .
التاريخ: ١٤ / ١٠ / ١٩٨٤ م .

٤ - الطالب: السيد حسين مناصرة - من كلية الآداب .
المشرف: الدكتور محمود السمرة .
عنوان الرسالة: فرح أنطون روائياً ومسرحياً .
لجنة المناقشة: الدكتور نصرت عبدالرحمن .
والدكتور سمير قطامي .
التاريخ: ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٤ م .

تصحيح

١ - ورد على الصفحة ٢٣٧ من العدد الماضي من هذه المجلة (العدد المزدوج ٢٣-٢٤)، أن الدكتور رشاد الحمزاوي كان واحداً من الثلاثة الذين ألقوا بحوثاً في موضوع (العامية والفصحى) في العيد الخمسيني لمجمع القاهرة الشقيق. وهذا الخبر نقلناه عن التقرير الذي وضعه الأمين العام لمجمع القاهرة، ونشرناه كاملاً.

وقد كتب الينا الدكتور رشاد الحمزاوي اخيراً يقول ان البحث الذي قدمه في تلك المناسبة كان في موضوع (المعاجم) وليس في موضوع (العامية والفصحى).

ونحن نشكر للأخ الدكتور الحمزاوي هذا التصحيح، ونسجله له مع الشكر والتقدير.

٢ - ورد اسم الدكتور حسن موسى الشاعر سهواً بالشكل التالي (موسى الشاعر)، مع بحثه (التصغير في شعر المتنبي) المنشور في العدد المزدوج (٢٣-٢٤) من المجلة.

ونحن إذ ننبه الى هذا السهو، نعتذر الى صديقنا الدكتور حسن موسى الشاعر.

المحرر

ندوة اتحاد المجامع

شارك مجمع اللغة العربية الأردني في ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية، التي عقدت في عاصمة المملكة المغربية من ٢٦ الى ٢٩/١١/١٩٨٤؛ ومثله في هذه الندوة رئيس المجمع الأستاذ عبدالكريم خليفه، ونائب الرئيس الأستاذ محمود السمرة. وستنشر توصيات هذه الندوة وقراراتها في العدد القادم من المجلة، لأنها وصلت الينا متأخرة.

مشاركة المجمع في ندوتين علميتين:

شارك المجمع هذا العام في ندوتين علميتين، هما:

- ١ - ندوة معجم الفيزياء النووية، وقد عقدت في بغداد من ٢ الى ٦ شباط ١٩٨٤م.
 - ٢ - وندوة معجم الفيزياء العامة، التي عقدت في الرباط من ١٢ الى ٢٨ أيلول ١٩٨٤م.
- وقد مثل المجمع في هاتين الندوتين الدكتور محمود الكوفحي، من أعضاء الهيئة التدريسية في دائرة الفيزياء في جامعة اليرموك.

مشاركة المجمع في معرضين للكتاب

وشارك المجمع كذلك في معرضين للكتب، هما:

١ - المعرض السادس للكتاب، الذي أقيم في صنعاء اليمن من ٩/٢٤ الى ١٠/٨/١٩٨٤، وذلك بإرسال نسختين من كل كتاب من منشوراته العلمية. وقد أهديت هذه الكتب كلها بعد اختتام المعرض لجامعة صنعاء.

٢ - المعرض الثالث للكتاب التقني العربي، الذي أقيم في الجزائر من ٢١ الى ٢٥ نيسان ١٩٨٤ م. وقد أقيم المعرض بالتعاون بين الاتحاد العربي للتعليم التقني، ووزارة التعليم والبحث العلمي في الجزائر.

محاضرة طبية

ألقى الدكتور أكرم الدجاني في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع، مساء يوم الاثنين ١٩/١١/١٩٨٤ م. محاضرة عنونها: (ملاح من مساهمة الطب الإسلامي في الأمراض البولية).

المجمع ينعي زميلين عزيزين

نعي مجمع اللغة العربية الأردني في الأشهر الأخيرة زميلين عزيزين،

هما:

- ١- المرحوم الأستاذ وصفي عنبتاوي، عضو شرف في المجمع.
 - ٢- المرحوم الأستاذ الشيخ ابراهيم قطان، عضو عامل في المجمع.
- وفي ما يلي رسالتا النعي اللتان بعث بهما رئيس المجمع الى زملائه رؤساء المجمع العلمية اللغوية في دمشق، والقاهرة، وبغداد.

وقد تلقى المجمع رسائل تعزية من الزملاء رؤساء المجمع الشقيقة،

تعرب عن مشاركتهم في فقد الزميلين الراحلين . عليهما رحمة الله ورضوانه :



١- الزميل المرحوم وصفي عنتاوي

ينعى مجمع اللغة العربية الأردني ببالح الحزن والاسى الزميل المرحوم الأستاذ وصفي عنتاوي، عضو الشرف في المجمع، الذي انتقل الى رحمة ربه في أحد مستشفيات لندن يوم الجمعة ٨ رمضان ١٤٠٤هـ - ٨ حزيران ١٩٨٤م.

رحمه الله رحمة واسعة، وألهم آله وذويه الصبر والسلوان.

وآنا لله وآنا اليه راجعون

وفي ما يلي نبذة عن حياته ومؤلفاته:

ولد في نابلس / فلسطين سنة ١٩٠٣، وفيها أكمل دراسته الابتدائية، وقسماً من الثانوية، ونال شهادة (ب.ع) من الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٢٦، وشهادة (ب.ع) بمرتبة الشرف من جامعة كمبردج، في بريطانيا في التاريخ والجغرافية عام ١٩٣٠، وشهادة الماجستير من جامعة كمبردج عام ١٩٣٤م.

عمل مدرساً في الكلية العربية في القدس عام ١٩٢٦ / ١٩٢٧، ثم في الكلية نفسها والمدرسة الرشيدية، في القدس من عام ١٩٣٠ الى عام

١٩٤٠ . وعين مفتشاً عاماً في ادارة معارف فلسطين في القدس من ١٩٤٠ الى ١٩٤٨ .

شارك في المؤتمر الثقافي العربي الاول الذي عقده الجامعة العربية في لبنان سنة ١٩٤٧ ، وكان رئيساً للوفد الفلسطيني .

وعمل عضواً في اللجنة الثلاثية التي كانت تساعد المجلس الاسلامي الاعلى .

واشترك في تأليف عدد من كتب الجغرافيا استعملت رسمياً في مدارس فلسطين العربية والمدارس الخاصة ، كما اشترك في ترجمة كتاب (التاريخ العام) من اللغة الانكليزية ، وساهم في اخراج (أطلس العالم) .

عمل مفتشاً للتاريخ والجغرافيا واللغة الانكليزية في وزارة المعارف السورية مدة اربع سنوات ، ابتداء من ايار ١٩٤٨ . وفي الوقت نفسه كان يحاضر في كليتي الآداب والحقوق في جامعة دمشق .

وعمل في وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في سورية مفتشاً للمدارس والشؤون الاجتماعية .

وعين في البنك العربي ، في الادارة العامة في عمان ، مساعداً للمدير العام وسكرتيراً لمجلس الادارة ، من ١/١/١٩٥٢ الى ١/١/١٩٦٥ .

زار اميركا بدعوة من جمعية اصدقاء الشرق الأوسط ، وألقى أكثر من ثلاثين محاضرة في ١٨ ولاية امريكية .

حاضر في الجامعة الاردنية في عمان ثلاث سنوات، من سنة ١٩٦٦،
كما حاضر في الكلية الحربية العسكرية مدة ثمانية اشهر، حول الوطن
العربي والجغرافيا السياسية.

عين وزيراً للمالية في الاردن سنة ١٩٧٠. وكان عضواً في مجلس
التعليم العالي في الاردن.

اختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضو شرف فيه، في شهر أيار
١٩٨١.

من الكتب التي شارك في تأليفها وترجمتها ما يلي:

- ١ - كتاب (تاريخ الاسلام).
- ٢ - (الدنيا الجديدة).
- ٣ - (الجغرافيا الجديدة المصوّرة - ٣ أجزاء).
- ٤ - الجغرافيا الاقتصادية.
- ٥ - معالم التاريخ القديم.
- ٦ - جغرافية الشرق الادنى.
- ٧ - تاريخ العصور المتوسطة والحديثة.
- ٨ - جغرافية فلسطين والبلاد العربية.
- ٩ - حوض البحر الابيض المتوسط وغربي اوروبا.
- ١٠ - جغرافية البلاد العربية.
- ١١ - القارات الخمس.
- ١٢ - المملكة الاردنية الهاشمية.
- ١٣ - الوطن العربي والعالم.

انتقل الى رحمة الله في احد مستشفيات لندن يوم الجمعة
١٩٨٤/٦/٨. رحمه الله وأجزل ثوابه.



٢- الزميل المرحوم الشيخ ابراهيم القطان

وينعى المجمع كذلك الزميل العالم الجليل سماحة الأستاذ الشيخ ابراهيم القطان، العضو العامل في مجمع اللغة العربية الأردني، الذي انتقل الى رحمته تعالى يوم الخميس ١٩٨٤/٩/٢٠، ودفن في المقابر الملكية.

ولد الراحل العزيز في عمان سنة ١٩١٦، وانهى دراسته الابتدائية فيها، ثم انتسب الى الأزهر الشريف سنة ١٩٣٥، وتخرج سنة ١٩٤١ في قسم تخصص القضاء الشرعي، وحصل على شهادة العالمية، وتخصص القضاء.

ثم عمل في القضاء الشرعي من سنة ١٩٤٢ الى ١٩٤٧. ومنه انتقل الى وزارة المعارف مفتشا للغة العربية والدين، وظل فيها الى سنة ١٩٦١. وفي اواخر عام ١٩٦١ نقل مديرا للشرعية.

وفي عام ١٩٦٢ دخل الوزارة قاضيا للقضاة ووزيرا للتربية والتعليم حتى اواسط عام ١٩٦٣.

وفي سنة ١٩٦٥ عين رائدا لسموولي العهد الأمير حسن ابان دراسته في لندن، وبقي معه الى سنة ١٩٦٧، وفي هذه السنة عين سفيراً للاردن في المغرب الى سنة ١٩٧٣، ومن المغرب نقل الى الكويت سفيراً للاردن فيه.

في سنة ١٩٧٤ ألقى محاضرات في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، في موضوع (مقارنة الأديان). وفي العام التالي ١٩٧٥ عيّن سفيرا للاردن في باكستان. ثم أعيد من الباكستان في ١٠/٦/١٩٧٧ وعيّن قاضيا للقضاة في الاردن، وظلّ في منصبه هذا حتى وفاته. عليه رحمة الله.

في اثناء وجوده في وزارة التربية والتعليم شارك في تأليف اكثر من ثلاثين كتابا مدرسيا في الدين واللغة العربية. وكان عضوا في اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر، من عام ١٩٦١ حتى تأسيس مجمع اللغة العربية الاردني، وقد عيّن عضوا عاملا في المجمع منذ عام ١٩٧٧، وكان من الأعضاء النشيطين المتحمسين للعمل المجمع، والمؤمنين به.

كان اول عمل علمي كبير له كتاب (عثرات المنجد) الذي صدر عن دار القرآن عام ١٩٧٢، وعلى اثره انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة. ثم تلاه بكتابه النفيس (تيسير التفسير) الذي صدر منه جزآن قبل وفاته.

لقد خسر المجمع بوفاته عضوا عاملا نشيطا وعالما جليلا، وانسانا رفيع الخلق، رحمه الله رحمة واسعة.

صدر أخيراً في منشورات المجمع :

١ - من المصطلحات العسكري

١- مصطلحات سلاح الجو.

٢- مصطلحات سلاح المشاة.

٣- مصطلحات سلاح الصيانة.

٤- مصطلحات سلاح التموين والنقل.

٢ - منشورات أخرى :

١- فهرس مخطوطات المكتبة الاسلامية في يافا.

اعداد الأستاذ - حمود علي عطا الله

٢- كتاب الموسم الثقافي الثاني - ١٩٨٤م -

٣- الفيزياء الكلاسيكية والحديثة - الجزء الثالث -

تأليف كنيث فورد - وترجمة عمر الشيخ

